تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٢٤) ربيع الآخر ١٤٣٠هـ - ابريل ٢٠٠٩م



الشيخ الأديب أحمد غنام الرشيد في ذمة الله

الصحة بين التراث والحداثة

الإسلام في سكند لايف

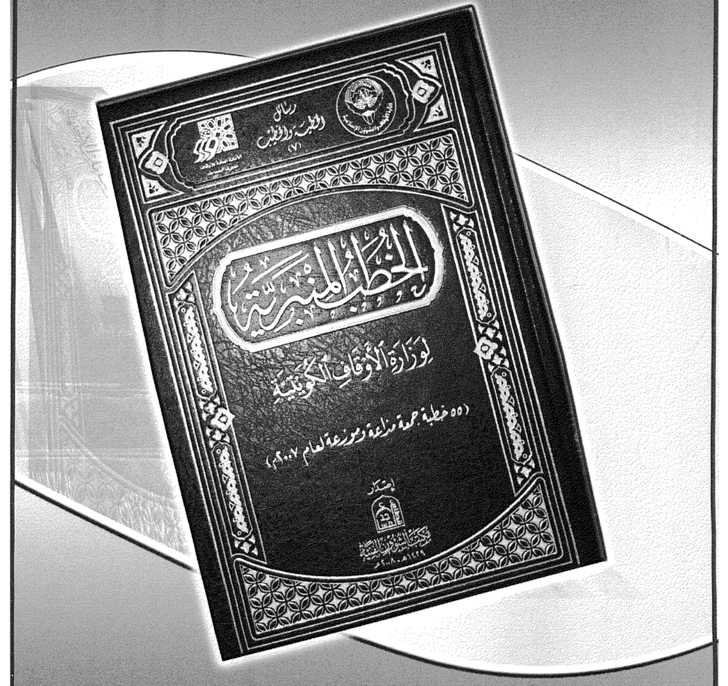
العطاء الحضاري للإسلام

التدابير الوقائية لحفظ كيان الاسرة

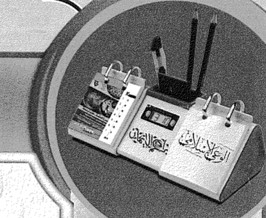
التنوع الثقافي في ظل العولمة

مجالس السماع .. مفخرة الكويت

من إصدارات مكتب الشئون الفنية
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية



الإصدار الثالث لكتاب الخطب المنبرية لوزارة الأوقاف يحتوي على ٥٥ خطبة لعام ٢٠٠٧م
من إعداد اللجنة النموذجية لإعداد الخطبة لتحقيق الأهداف العامة الموحدة







الافتتاحية

ورثة الأنبياء

العلماء ورثة الأنبياء، وهم قدوة الأتقياء، وصفوة الأولياء، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض، وهم سراج الأمة وضياؤها بلا مراء، يبينون لها الأحكام، ويفرقون بين الحلال والحرام، ويخرجونها بفتاواهم من الآثام، ويوضحون شرائع الإسلام، وهم الموضحون والحافظون لما جاء من المنقول، وهم الداعون إلى ملته ﷺ، الذابُّون عن شرعه وسنته.

والعالم كالعين العذبة نفعها دائم، وكالغيث حيث وقع نفع، وكالسراج من مر به اقتبس.

وموت العلماء ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها
فإن يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها
وإن نأى عاد في أكنافها التلف

فالعلماء الأثبات والأئمة الثقات والمفتون القضاة هم الذين نقلوا أحكام الرسالات، فهم الرؤساء في كل الحالات، ولهم في الدنيا شرف الولايات، وهم أهل الحل والقصد والرئاسات، بهم تفهم العبارات.

أوجب الله تعالى على العباد، وعلى الحكام الذين مكنهم في البلاد، طاعة العلماء، فهم النور الذي يستضيئون به، وهم ورثة الأنبياء، وفي تبيين الشرع والفرض أمناء.

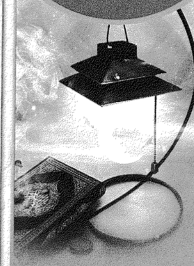
وقد عرف الحكام للعلماء حقوقهم، وسلكوا بأفعالهم طريقهم، ومهدوا الأرض للعلماء، لأنهم العارفون بما يجب من رعاية حقهم، فقدروهم قدرهم، وشدّوا بهم أزرهم، وتواضعوا للعلم والعلماء.

وقد نجم في هذا الوقت ناجم، وهجم على العلماء هاجم، باللوم والعقوق، وإهمال الشرائع والحقوق، مع أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار مُنتقصهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب.

فعلى الكل أن يحسنوا الظن بحملة القرآن، وبالقائمين بالعلم والتقوى والبرهان، وأن يجلوهم على مر الزمان، وأن يرفعوا قدرهم على كل الإخوان، فوجودهم زيادة في الإيمان، وسعادة في البلدان وعمارة للأوطان، وصلاح للرعية والسلطان، فينبغي إعانتهم على ما هم فيه من الشان.

وقالوا: جالس العلماء، فإنك إن لم تعمل بعملهم، أخذت من أخلاقهم، وإن لم تأخذ من أخلاقهم، نزلت الرحمة وأنت فيهم.

إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء.



رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد



مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٢٤
العام السادس والأربعون
ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ
ابريل ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

مدير التحرير
ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح
تمام أحمد الصباغ

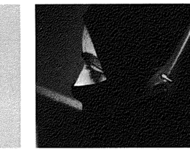
الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

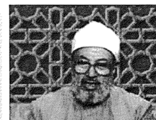
المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com









التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

موضوع الغلاف



هل تختلف الصحة في الماضي عن الصحة في الحاضر؟ وأيهما أفضل في التمريض اليوم؟ وهل فرّغ الطب النبوي من محتواه بفعل فاعل؟ وهل الطب الحديث ألغى تراث العلماء في العصور السابقة؟

داخل العدد



كلمة العدد

الحوار بين العالم الإسلامي واليابان

تولي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية اهتماماً خاصاً بقضايا الفكر الإسلامي بعدما أخذت على عاتقها بناء أرضية فكرية خصبة في العالم الإسلامي من خلال عقد المؤتمرات والندوات والفعاليات.

وقد عقدت الوزارة أخيرا ندوة الحوار الحضاري بين اليابان والعالم الإسلامي باعتبار أن الحوار بين الشعوب سنة اجتماعية يتقوى بها العمران الإنساني، وتسهل سبل التعاون والتعايش وتبادل المصالح لتسمو بالحوار من مقام الجدال النظري والبحوث النخبوية الى ممارسة تستوعب مختلف جوانب الحياة.

وسلطت الندوة الضوء على موضوع البيئة من خلال الموروث الثقافي لكل من الجانبين، والتعرف على الخبرات في التعامل مع البيئة ومكوناتها ودراستها وعرض نماذج تلك التجارب وطرح مناقشة التحديات التي يلقاها العالم في مواجهة التلوث البيئي، والعمل على صياغة أدوات وأساليب عملية في التعاون بين الجانبين.

الوعي الإسلامي

الأسعار

●الكويت : ٥٠٠ فلسا ●السعودية : ٧ ريالات ●البحرين : ٥٠٠ فلس ●قطر : ٧ ريالات ●الإمارات : ٧ دراهم ●سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن : دينار واحد ●مصر : ٢ جنيه ●السودان : ٥٠٠ جنيه ●موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ●تونس : ٢ دينار ●الجزائر : ١٠ دنانير ●اليمن : ٧٠ ريال ●لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ●سورية : ٣٠ ليرة ●المغرب : ١٠دراهم ●ليبيا : دينار واحد ●اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ●اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا

● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).

● للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



بدعة اسمها «دار للمسنين»

من أهم أسباب عمارة الدنيا الترغيب في المقاصد الصالحة وتعاطي الأسباب التي تقتضيها الحكمة الربانية ليعلم المسلم ما له من خير فيرغب فيه وما يسبب له الشر فيتجنبه، ومن رحمة الله بعباده ان جعل بعد شكره تعالى شكر الوالدين، فقال عز وجل ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾(لقمان:١٤)، وقد قال سفيان ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه عقب كل صلاة فقد شكر لهما فما بالنا بمن نسي والديه على الاطلاق فتركهما وحيدين فيما يسمى بدار المسنين، شاعرا بأنه قام بكل واجباته نحوهما بهذا النفي لهما من حياته، فكل منا تدور عليه الدوائر، فكيف يحدث هذا بيننا نحن المسلمين وديننا دين الرحمة ورسولنا رحمة مهداة، وقد قال ﷺ «من لا يرحم لا يرحم» وقال «لا يدخل الجنة قاطع رحم»، فهذا عين الافساد في الأرض لأن الفساد لا يقتصر على مجرد فعل الفواحش بمعناها المحدود ولكنه ايضاً يحوي هذا الجرم في حق والدينا، فيرتكب العاق لوالديه كبيرة من أكبر الكبائر فقد روي أن النبي ﷺ قال لأصحابه «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الاشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور»، فمن العجب هذا الخلل الرهيب الذي يجتاحنا، والتغريب لشرعنا وقيمنا لهدم صرح الأسرة المسلمة وكسر دعائمها في الوقت الذي نعمل فيه على ترسيخ شرعنا في نفوس ابنائنا فنجد من يعبثون بتلك الفضائل بدعوى التقدم الحضاري ويجاهرون بأفكارهم المسمومة بتقليدهم الأعمى للغرب والذي أكثر ما يبهره الترابط الأسري للمسلمين، ولا أدري ما وجه الاستدلال على شرعية ذلك العمل المشين الذي يتسبب في خسارة الدنيا والآخرة، فلقد قدم رسول الله ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله عندما سئل أي العمل أحب الى الله – عز وجل فقال: «الصلاة على وقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله»، كما ان برهما في حد ذاته جهاد، وقد سأل رجل النبي ﷺ الجهاد فقال: ألك ابوان؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد، فتجريدنا من اسلامنا وهويتنا ردة حضارية وليس تقدماً ولا علواً، فلا يقول قائل إن الواقع مرير والحياة صعبة ومن يتواطأ معه في هذا يشاركه الذنب، فالدين حرص على بر الوالدين واقاربهما واصدقائهما حتى بعد وفاتهما لكي يبسط الله لنا الخير في ارزاقنا ويستجاب دعاؤنا، فلعلنا نواجه هذا التيار الجارف لمخاطر العولمة فننقذ القيم الشرعية لابنائنا، فهم الفروع التي يسهل كسرها بتضليلهم بعد محاولة خلع جذور آبائنا من بيوتنا، وليعلم العاقون لآبائهم ان بعض مشرفي دور المسنين لا يتقون الله في الآباء والأمهات، فلا يقدمون لهم الرعاية المستحقة على الرغم من المقابل المادي الكبير، فلم تكون الشكوى بعد أن تخلى عنهم أرحامهم، فأرجو من الله عز وجل زيادة الاهتمام والرقابة ليلاً ونهاراً من المسؤولين عن تلك الدور، وان تخصص كل اسرة مسلمة من وقتها ولو القليل لزيارة هؤلاء الكرماء فلا نتخلى جميعاً عنهم، أكرمنا الله وإياكم.

■ هدى الكاشف

فنزويلا

فنزويلا، لقد صنعت باليهود ما صنعت.. وأبقيت على قلة منهم حتى يعرف العالم ويتأكد لماذا قمت بالقضاء على اليهود.. أهل الشر والفساد في الأرض (هذا ما قاله هتلر).

أول مرة أعرف ان فنزويلا دولة عربية! أو هي اكثر عروبة من العرب أنفسهم عندما قطعت علاقتها بالدولة الصهيونية وطردت السفير الإسرائيلي من بلادها!

والسؤال: ما السر الذي جعل بعض زعماء الدول العربية حتى الآن يتمسكون بالعلاقات مع أقذر الدول إسرائيل؟ هل هو الخوف؟ أين الكرامة؟ هل هي المصالح الشخصية؟ لقد أكدت إسرائيل في أكثر من موقف أنها لا تحترم أحدا وآخر هذه المواقف موقفها مع تركيا!

هذه الدول العربية فقدت شخصيتها وتأثيرها ووزنها واحترامها أمام شعوبها. المعروف عن إسرائيل أنها لا تحترم عهوداً أو مواثيق، نحن لا ندعو الى الحرب، نحن ندعو الى العقل، وهذا ابسط مطلب شعبي يقره العقل.

ما السر وراء كل هذا التخاذل والضعف؟ هل وراءه شيء آخر لا نعرفه نحن الشعوب؟ نريد معرفته الان وبسرعة.

■ علي سليم

افتحوا باب الاجتهاد

لقد ساعد إغلاق باب الاجتهاد في تآكل الجانب العقلي في الإسلام ونمو الجانب الغيبي فيه.

ونحن نعرف أن في الإسلام أكثر من جانب واعجازه هو التوازن المدهش بين جوانبه كلها فلا ينمو جانب الإيمان بالغيب على جانب اعمال العقل ولا ينمو الجانب العقلي على حساب الإيمان بعالم الغيب.

وبهذا التوازن يلعب الاسلام دوره في الحياة ويعيد تغيير الانسان لتمكينه من أداء مهمته كخليفة في الأرض.

وقد أدى اغلاق باب الاجتهاد الى ابتعاد الاسلام عن بعض القضايا المعاصرة، الامر الذي جعل هذه القضايا بمنجاة من رقابة الاسلام وهيمنته.

مثلاً ألقي في روعنا أن الاسلام يقف ضد الفنون، ايضاً أبعد الإسلام عن مجال الاقتصاد والمال، وايضاً قيل ان الاسلام عقيدة لا علاقة لها بالحكم ولا تتدخل فيه.

ولقد كانت النتيجة المنطقية لهذا كله ان العالم الاسلامي يعيش عالة على الغرب او الشرق ويتبنى انظمة الاقتصاد الغربي ويحكم طبقاً لنظم الفرد.

من هنا نشأ التناقض بين الفرد المسلم وبين المجتمع وساد الغلو في الدين او التفريط فيه، فإذا نحن امام شباب يحكم بتكفير المجتمع، او امام شباب يلحد عن اصول دينه ويرعى بعقله في حقول الغرب.

وليست سيادة نزعات التكفير أو الالحاد الا وجهان لعملة واحدة هي أزمة التوجيه الإسلامي وهي ازمة ترجع جذورها الى ما قبل الاجتهاد.

ونحن نحسب ان عودة الاجتهاد الى عرشه كفيلة بحل كثير من المشكلات التي تواجه المسلمين اليوم.

■ محمد السيد عامر

هارون الرشيد ظلمه التاريخ

لم يظلم التاريخ أو المؤرخون أحداً بقدر ما ظلموا الخليفة العباسي هارون الرشيد بن المهدي، فقد أغرقوا في القول ونسبوا اليه ما هو بريء منه، حتى أصبح للناس ولع شديد بهذا الاسم، وسماع ما يقال عنه من الروايات الكاذبة المختلفة التي دوّنها الأقدمون.

فراحوا يتهمونه بالترف والبذخ والاسراف وبالأعمال الكثيرة التي هو بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليهما السلام.

ولم يكتف هؤلاء الرواة بتشويه ذلك الاسم العظيم، بل راحوا يتناولون الكلام الخيالي عن زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد وعن العباسة أخته، ولو أن في القوانين ما يحاسب هؤلاء لقال القضاء في غير هوادة: إنهم خونة كاذبون.

■ محمد السحرتي

فلسطين نبع فياض للمبدعين

كان الأدب ومازال بفنونه وأساليبه مصاحبا لمحنة أهلنا في فلسطين، وأعظم دور يؤديه الأدب هو المواكبة والمباركة والمعايشة وتمجيد البطولات وإلهاب الحماسة وتعبئة الشعوب للتعايش مع أهلنا في القدس وأكنافها، ويعتبر الأدب من أعظم وأخطر وسائل الإعلام، حيث يرى العالم أجمع من خلال فنونه القضية عبر شاعر بروائع تصويره وخياله ورسام بلمسة فنية رائعة من خلال ريشته وقصاص بحبكته الفنية ومصور بآلته ونحات بأدواته.

فالحركة الأدبية كي تمنح نفسها الحياة الخالدة يجب ان تكون قريبة من دنيا الناس، تعظم فيهم الفضائل والمبادئ والقيم وتحط من شأن الرذائل والمفاسد والشرور وتعيش الألم بصدق وتعبر عنه بكل شفافية وحيادية، ويوم يحدث هذا تجد كل الطوائف والشرائح على اختلاف مشاربها وثقافاتها تقبل على الأدب وابداعات أصحابه قارئة ومعايشة لابداعات المبدعين ومن هذه الزاوية أجد فلسطين قد استقطبت الأدباء رغماً عنهم. لكنه الاستقطاب الرائع الجميل الذي منح تلك الفنون الحياة الخالدة الطاهرة.. ألف



تحية ثم ألف تحية لفلسطين الحبيبة، فلا جدال أن فلسطين، والاقصى، والقدس، والأرض المباركة، تمثل نبعا متفجرا للابداع واصحاب الاقلام الطاهرة، فمنذ زمن والكتاب يكتبون - ومازالوا - مقالات وقصصا وروايات تهز الجبال وتحرك الساكن، فالكتاب يقفون أمام هذا النبع المتدفق مشدوهين.. من اين يبدأون، وعن اي شيء يتحدثون، فنهر الدماء الحارة يجري وآهات الثكالى، وتبدو بقايا الديار واطفال شبه عرايا وارامل رسمت على وجوههم مرارة الحزن الدفين.

يقف الكتاب أمام هذه الصور المعبرة ليرسم لنا بقلمه ملامح المأساة لعالم مات قلبه، وجمدت مشاعره ويعبر بقلمه حتى يكاد القلم يبكي على الحال.

■ محمد أبوعيد

الشيخ الأديب أحمد غنام الرشيد في ذمة الله

(١٩٢٨ - ٢٠٠٩م)

د. وليد المنيس ود. ياسر المزروعي والشيخ محمد العجمي وفيصل العلي

قبل أيام وفي السابع من شهر ربيع الأول لهذه السنة 1430هـ الموافق 4 مارس 2009 يوم الأربعاء فقدت دولة الكويت والأمة الإسلامية أحد أعز أبنائها وأوفاهم لها ومن آخر علماء الكويت الذين مارسوا الإمامة في أول حياتهم قبل إنشاء وزارة الأوقاف، وكان له دور بارز في الوعظ والإرشاد على مستوى دولة الكويت والأحياء القديمة في ذلك الوقت كالقبلة وشرق والمرقاب وأم صدة، ألا وهو فضيلة الشيخ الأديب أحمد غنام الرشيد الحمود الحنبلي.

اسمه ونسبه

هو فضيلة الشيخ أحمد غنام الرشيد الحمود، المعروف بأحمد الغنام أو بـ «أبوعبدالرحمن» من عائلة كان منهم بعض العلماء قبل قدومهم للكويت في نجد وفي الزبير.

مولده ونشأته

ولد الشيخ في بيت والده بالمرقاب بدولة الكويت عام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٨م، وتربى في بيت والده حيث نشأ في كنف ورعاية والديه.

ويقول عن منطقته:

قلبي يحن الى حي ولدت به
حي يقال له بعرف الناس مرقاب

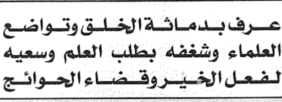
طلبه للعلم

درس الشيخ أحمد كعادة أهل الكويت قديما في الكتاتيب حيث ابتدأ دراسته في مدرسة العثمان في سوق الدعيج التي كان يدرّس فيها الملا عثمان عبداللطيف العثمان وأخوه الملا عبدالله العثمان، وكان يدرس معه أخوه عبدالرحمن الذي يكبر الشيخ أحمد بسنة وتوفي بعدها بسنوات وهو صغير، ثم الى كتاب الملا سليمان العلي الخنيني بالمرقاب فتعلم عليه الكتابة وتصحيح القراءة وحفظ بعض سور القرآن الكريم، وظل عنده فترة من الزمن، ثم انتقل بعدها الى مدرسة الملا مرشد محمد السليمان، وبعدها فتح المعهد الديني فالتحق به عام ١٩٤٨م، حيث كان ضمن الدفعة الأولى له، ويقول «وكانوا يعطونا ثلاثين روبية مكافأة للطلبة الدارسين بالمعهد الديني».

كما درس على أيدي كثير من علماء الكويت، وممن استفاد منهم الشيخ العلامة محمد سليمان الجراح رحمه الله حيث درس عليه في الفقه من باب الحج، كما درس على الشيخ محمد أحمد الفارسي متن الأجرومية في النحو مع شرحها، ودرس متن الرحبية وشرحها في الفرائض عند الشيخ عبدالرحمن الدوسري، وكذلك اصول الفقه عنده، ويقول رحمه الله «مازلت احتفظ بمذكرة الاصول في مكتبتي» كما درس على الشيخ أحمد عطية الأثري.

عمله

يقول الشيخ رحمه الله أنه عمل أولا مؤذنا في مسجد العجيري المعروف الآن بمسجد الغربللي قرب مبنى البلدية، وكان ذلك عام ١٩٤٨م، ثم انتقل الى مسجد الوزان في المرقاب مؤذنا، وبعدها اصبح خطيبا في مسجد دسمان عام ١٩٥٢م، وكان عمره آنذاك ثلاثة وعشرين عاما، وكان أمير البلاد الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح رحمه الله، وصاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الصباح أمير البلاد الآن حفظه الله يحضران خطبة الجمعة في المسجد نفسه.



ثم تم تعيينه إماما في مسجد ابن بحر، وموقعه مقابل ادارة الجمارك عند قصر السيف على شارع الخليج العربي، وهو اول مسجد في الكويت واقدم مساجدها، وقد جدده المحسن عبدالله الابراهيم وعرف بمسجد الابراهيم قبل اكثر من مائة سنة، ثم جاءت وزارة الاوقاف وهدمته ورفعته ووضعت تحته دكاكين لكي يوازي منطقة بهيتة، ومن تاريخ ١ اغسطس من عام ١٩٥٧م كان الشيخ فيه اماما حتى عام ١٩٦٢م، وبعدها تمت ازالته لتوسعة شارع الخليج.

ثم انتقل الى مسجد العجيري مرة أخرى كإمام له، وبعدها اصبح اماما وخطيبا في مسجد قطعة «٦» بالفيحاء، وذلك عام ١٩٦٢م، ثم الى مسجد الحداد مقابل البنك التجاري، وبقي به اماما سنوات عدة، وفي عام ١٩٦٧م رجع الى مسجد العجيري وبقي به اماما لمدة احدى عشرة سنة حتى تقاعد في عام ١٩٧٨م، وقد خدم في وزارة الاوقاف مؤذنا واماما وخطيبا ثلاثين سنة، كما انه كان يقوم بدل الشيخ العلامة محمد سليمان الجراح خطيبا في اوقات مرض الشيخ محمد فكان يخطب في مسجد الساير، وبعدها في مسجد المطير بضاحية عبدالله السالم بدل الشيخ محمد وذلك حتى عام ١٩٩٦م.

كما قام بالتدريس في مدرسة الملا سليمان

الخنيني، وكذلك في مدرسة تابعة لجمعية الاصلاح حيث درس القرآن الكريم وبعض الأمور الواجبة في الفقه كالعبادات.
وله حلقات مسجلة في إذاعة دولة الكويت في مجالس رمضان للشيخ عبدالله خلف الدحيان وهي في ثلاثين حلقة.

مكتبته النادرة

له مكتبة عامرة بالكتب الكثيرة والمتنوعة في جميع العلوم، وفيها طبعات قديمة، فيقول عن نفسه: «أنا كونت مكتبة علمية لا بأس بها أقرأ فيها وانهل من العلم لانني احب القراءة واجمع كل كتاب قيم واشتريه لأقتنيه».

التواضع ولطف المعشر

كان رحمه الله تعالى لطيف المعشر، فهو صاحب طرف ونكات مع وقار لا يخرجه عن سمته المعتاد فيدخل السرور على جلسائه بما يختاره لهم من قصص وحكايات يتخللها ابيات من الشعر الذي قد تكون وليدة لحظتها، وربما رد على احد محدثيه بنفس سؤاله بسجع غير متكلف، مع ابتكار وتفنن طبيعي، من اجل ذلك كان مجلسه لا يمل.

حبه للعلم ومشايخه وطلبته

كان الشيخ أحمد رحمه الله يحب العلم ويحب محدثيه اليه، ويدعو الى طلبه ويذكر مشايخ العلم بأحسن ما يذكر عنهم، ويوجه طلبة العلم اذا رأي منهم نجابة وفهما، ولا يبخل عليهم بالنصح، ويزودهم بنوادر الكتب والمراجع، او ربما عرضها عليهم بأقل من سعرها الحقيقي تشجيعا لهم على اقتنائها، فمن ذلك اذكر انه اهداني نسخة نادرة من كتاب «صحيح الإمام البخاري»، قديمة جداً - غلافها جلدي له زوائد تطوى حوله - لا تقدر عندي بثمن، واهداني نسخة نادرة «للاختيارات العلمية» للبعلي، وهي اختيارات شيخ الاسلام ابن تيمية كما هو معلوم، وآخر ما تسلمته منه قبل دخوله المستشفى كتاب «الكوثر الجاري الى رياض احاديث البخاري» في مجلدات عدة.

قوة ذاكرته

امتاز الشيخ أحمد بقوة ذاكرة يسرت له - بعون الله - استرجاع الحوادث والأخبار التي مرت به أو حدثت في الكويت وما حولها بدقة واضحة فيذكرها كما لو أنه حديث عهد بها، وكم مرة سألناه عن علماء واخبار وحوادث فيجيب بثقة ووضوح، كان آخرها لما كان على فراش مرضه الأخير رحمه الله في المستشفى الاميري، عندما سألته عمن زار الكويت من علماء الاحساء من عائلة الملا، فأجاب وبدد كل شك في ذلك رحمه الله.

زياراته العلمية

حرص الشيخ رحمه الله على القيام بزيارات علمية كل فترة، خاصة عندما كان في قوته حيث زار المدينة المنورة، وحضر مجالس المشايخ ومن أشهرهم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان»، ووصف حاله وعلمه وحليته وترحم عليه، وكذلك زياراته لعنيزة في فترة تواجد العلامة الشيخ محمد العثيمين، وكان يحضر صلاة الجمعة معه إذا توافق ذلك، وكان يختار نوادر المؤلفات من مكتبات عنيزة، ويأتي بها الى الكويت، كما زار علماء الاحساء في زيارة جمعته مع الاخوة المشايخ فيصل العلي وياسر المزروعي ورائد الرومي حيث مروا على مشايخها من آل ملا، والعفالق، والمبارك، والسماعيل وغيرهم ... وزياراته لعلماء الشام كذلك.

سعيه لفعل الخير ونفع المحتاجين

كان الشيخ أحمد رحمه الله قبل أن يقعده المرض، من الذين يسعون في قضاء حاجات المعوزين، فكان يوزع عليهم الزكوات والصدقات ويتنقل بنفسه من مكان الى مكان ليضمن تسليم الزكوات الى اهلها، وقد تشرفت بالذهاب معه لهذا الغرض اكثر من مرة، وقد أمنه اهل الزكاة فكانوا يسلمونه جزءاً من زكواتهم ليوزعها بمعرفته على مستحقيها، فكان يوزعها بأمانه ودقة، وكان يقول دائما: «انظر الى المستحقين خاصة من عنده بنات فانهن احوج من غيرهن، وذلك لحفظهن من تعريض انفسهن لأي شر اذا ما ظهرت حاجاتهن» لهذا كان يخصص لهن كثيراً لمعرفته بحاجاتهن.

من شعره

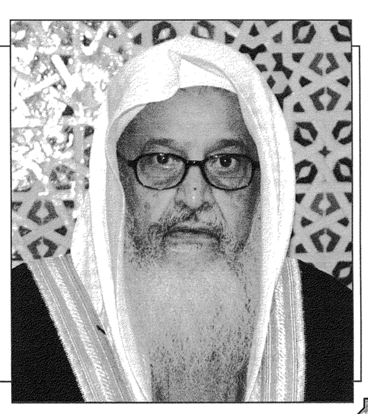
لآلــئ تـخـلـيـد لحـبـر مـبـجـل
هـو الشيخ عبدالله ذاك السميدع
لـقـد صـاغـهـا صـوغ الخبـيـر محمد
الى ناصر العجمي في الاصل يرفع
أبــان بـهـا يــا صــاح خـيـر مـنـاقـب
لـشـيـخ المعـالـي والخـلائـق تجـمـع
مـحـمـد لا شـلـت يـمـيـنـك مـن فـتـى
فـأنـت لـفـعـل الخـيـر ورد ومـنـبـع
فـسـفـرك عـقـد فـوق صـدر مليحة
تــلألأ نــوراً فــي الـدجـنـة يـلـمـع
لـقـد كـنـت فـي مـسـعـاك بـرا مـوفـقـا
روائـح عـطـر الـصـدق فـيـك تـضـوع
جــزاك الــذي أولاك خـيـر جـزائـه
فـلا زلـت بـالـعـلـيـاء تـرقـى وتـطـمـع
فـأنـعـم وأكـرم مـن فـتـى زانـه الـتـقـى
عـلـى سـنـن الأسـلاف مـاض ومـزمـع
مـحـمـد مــن لـلـعـلـم كـرس وقـتـه
فـمـن كـل بـحـر لـلـمـعـارف يـكـرع
لـقـد زانــه جـد وحــزم وحـنـكـة
فـيـشـفـيـك فـي الـتـحـقـيـق لا يـتـصـنـع
حكى الـصـدق مـخـتـاراً ودون تكلف
أتـى بـسـطـور فـي الحـقـائـق تـصـدع
مـنـاقـب عـبـدالـلـه جـلـى كـثـيـرة
فـمـا طـالـهـا المحصـون حـين تتبعوا
تـقـي حـلـيـم عـالـم مـتـورع
ففي معضل التحكيم هاد ومرجع
وأحـيـا دروس الـعـلـم بـعـد انـدراسـهـا
وليس له في ذي الدنا قط مطمع
مـواعـظـه كـانـت دواء وبـلـسـمـاً
لها في سويدا القلب وقع وموقع
رسـائـلـه در يـتـيـم منـضـد
وألـفـاظـهـا لـهـي الـلـجـين المـرصـع
فـعـنـه فـسـل أهـل المـحـبـة والـوفـا
تجدهم لعمر الحق بالمدح أجمعوا
ويكفيه إجماع الورى في امتداحه
فإن قام يدعو الناس فالكل يسمع
فـكـان رؤوفـاً بـالـفـقـيـر حـيـاتـه
وصـولاً لحـبـل الـود حـاشـاه يـقـطـع
فـذا الحـبـر عـبـدالـلـه بـدر زمـانـه
فـذكـراه بـين الـنـاس بـالـنـور تـسـطـع
وصــلِّ الــهــي بـكـرة وعـشـيـة
عـلـى أحـمـد المخـتـار فـهـو المـشـفـع
على الآل والأصحاب خير بني الورى
وتـابـعـهـم مــن لـلـشـريـعـة يـتـبـع
بـعـدَ الحـصـى والـرمـل مـا وابـل هـمـى
وما صاح طير السعد في الأفق يسجع

وفاته

وبعد أن ركبت له بطارية للقلب خرج من المستشفى بعد ثلاثة أسابيع، وكان قد شفي مما أجلسه في المستشفى وفي صباح يوم الاربعاء خرج من المستشفى كعادته ماشيا، وبعد ان وصل الى البيت اخذ في الاغتسال من آثار المستشفى، وبعدها توفي رحمه الله، وكان خبر وفاته فاجعة لاهله واقاربه واحبابه وطلبته القريب منهم والبعيد، فرحم الله الشيخ أحمد الغنام واسكنه أعلى فراديس الجنان.

العلامة الهاشمي في حوار خاص:

مجالس السماع تضع الكويت على خريطة الريادة في العلوم الشرعية



حوار: عبادة نوح

أكد العلامة الشيخ عبدالوكيل الهاشمي أن مشروع مجالس الاستماع للمسانيد والسنة يعد احياء لذكرى المحدثين، باعتباره وسيلة لحفظ سنة النبي ﷺ وشريعته الغراء.

وقال إن وجود ثلة من العلماء الملمين بالحديث والاسناد يتطلب جلوس طلبة العلم على عتبات مجالسهم للمدارسة لتصل إليهم السنة كما جاءت عن النبي المصطفى ﷺ. وأوضح ان الامة الاسلامية اليوم تعيش في تراجع بسبب بعدها عن الدين، حتى إن بعض المسلمين بات لا يعرف أبجديات دينه من الفروض والعبادات. وأشاد الهاشمي بدولة الكويت لاحتضانها هذا المشروع الرائد في المنطقة العربية، داعياً القائمين عليه إلى الحرص على عمل اسطوانات أو كتيبات أو ملخصات لهذه المجالس لنشرها في أمصار الأرض لتعميم الفائدة.

«الوعي الإسلامي» حاورت الشيخ .. واليكم نص الحوار:

طلبة العلم مطالبون بالجلوس على عتبات مجالس العلماء لمدارسة علوم الشرع

■ **ما دور مجالس الاستماع للسنن والمسانيد؟**

– بداية نود أن نسدي الحق لأهله، فأول من أحيا هذه السنة الحسنة في الكويت مدير مكتب الشئون الفنية في وزارة الأوقاف آنذاك فيصل يوسف العلي – رئيس التحرير الحالي – عندما سمع بهذا المشروع في رحلة الحج، فتحمس لنقل هذه التجربة لتعم الاستفادة لطلبة العلم والباحثين الشرعيين.

فهذه المجالس تعد إحياء لذكرى المحدثين، لاسيما أن مجالس الاستماع في العصور السابقة كانت تحيى بأكثر من ٤٥٠ ألف طالب علم، ليستمعوا لكلام خير البرية ﷺ لينفعهم في الدنيا والآخرة.

■ **لكن الواضح أن دورها تقلص في ظل تواجد الجامعات والمؤسسات العلمية في عصرنا الحالي.. كيف ترون ذلك؟**

– نعم، تقلص الى حد ما، ولكن هذه المجالس لها فوائد علمية وعملية لا توجد في الجامعات، مثل مراجعة أحاديث الرسول ﷺ والمرور عليها وتفقهها ومعرفة بعض الأحكام، وحفظ بعضها، فمثلاً عندما أقرأ ألف حديث، فإني أحفظ خمسين حديثاً، كذلك تكرار الأحاديث يساعد على المداومة على الصلاة على رسول الله ﷺ، وأخيراً رحب النبي المصطفى ﷺ بطالب العلم، والملائكة تحب طالب العلم، وحتى الحيتان تدعو لطالب العلم، فما أجمل ان يكون لسان المسلم رطباً بقول رسول الله ﷺ.

■ **هل تقتصر المجالس على مجالات الحديث النبوي الشريف؟**

– المعروف هو مجالس الحديث، ولكن يمكن أن تكون هناك مجالس في الفقه باعتباره طريق العمل، فالرسول ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً، يفقهه في الدين» (صحيح البخاري)، وهي كذلك تعين على استنباط المسائل من الأحاديث النبوية.

■ **يلاحظ أن المحدثين في عصرنا قل عددهم واتجهوا الى العلوم العصرية..**

بماذا تفسر ذلك؟

- هذا الأمر واضح للعيان، ذلك لقلة العلماء وطلبة العلم، ولكن توجد ثلة من العلماء الثقات الملمين بالحديث والإسناد، ما يوجب الجلوس على عتبات مجالسهم لمدارستها كما جاءت عن النبي المصطفى ﷺ.

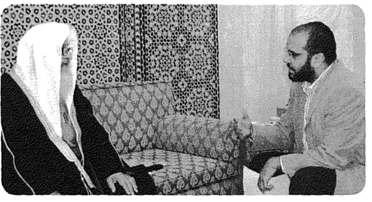
■ كيف يمكن لطالب العلم أن يجاز في مجالس الاستماع؟

- يذهب طالب العلم الراغب في التعلم للشيخ المجيز، فيقول أجزني في الاستماع الى المسانيد والسنن ليكون لي عالي الاتصال بهذه السنن، فلا بأس بذلك شرط ان يكون لديه خلفية عما يسمعه.

■ كيف ترون واقع الأمة الإسلامية اليوم؟

- حال الأمة اليوم لا يسر أحدا، فنحن نعيش في تراجع بسبب بعدنا عن الدين، فلا بد ان ندرك حقيقة هذا الشيء، فخريجو الجامعات اليوم لا يعرفون فروض الصلاة، ولايعرفون ابجديات أمور الدين، ولكن في أمور الدنيا متميزون ومبدعون، لذلك فهذا الأمر يوجب على العلماء أن يرشدوا المسلمين الى طريق الصلاح والفلاح، كذلك ينبغي على وسائل الاعلام - ومنها مجلتكم - كتابة المقالات لتصحح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، وتنير دروب الهداية والسعادة الحقيقية.

أيضاً لا بد من قيام الأئمة والمؤذنين في المساجد بالعمل جدياً على توعية المصلين بأمور دينهم بعد كل صلاة ليفقهوا شؤون أمتهم.



ضرورة إيجاد مجالس استماع لكتب الفقه باعتبارها طريق العمل

■ ما رأيكم في دور دولة الكويت في الاهتمام بالعلوم الشرعية؟

- تميزت الكويت عن باقي الدول باحتضانها مشروع مجالس الاستماع للمسانيد والسنن، بداية من الكتب الستة حتى آخرها سنن الدارمي يرحمه الله.

وأقترح في هذا الشأن أن يحرص القائمون على هذا المشروع بعمل اسطوانات أو كتيبات أو ملخصات لتوزيعها على طلبة العلم في مشارق الأرض ومغاربها، لتعميم الفائدة، ولتشويق الناس بالحرص على حضور هذه المجالس.

■ كلمة أخيرة لعموم المسلمين.

- يجب على كل مسلم الاستمرار في الجهاد بأشكاله المختلفة، لأن القابض على دينه اليوم كالقابض على الجمر، وعلى المسلم ألا يلتفت إلى الشبهات والفتن والاتهامات.

ترجمة موجزة للشيخ

هو الشيخ أبو خالد عبدالوكيل بن الشيخ عبدالحق الهاشمي، ولد سنة ١٣٥٧هـ درس في بداية حياته في بلدة جلال بور بملتان.

ثم رحل مع والده الى مكة المكرمة حيث عين والده مدرساً في المسجد الحرام وذلك لمكانته العلمية، ثم التحق بمدرسة تحفيظ القرآن في مكة المكرمة وبعدها في مدرسة دار الحديث في دار الأرقم وعمل مدرساً بالمسجد الحرام باللغة الأردية وهو يجيد عدة لغات، الأردية والسريكية والبنجابية قراءة وكتابة.

وقد أخذ عن جمع كبير من العلماء على رأسهم والده الشيخ عبدالحق الهاشمي والشيخ عبيدالله الرحماني تلميذ صاحب تحفة الأحوذي، والشيخ عبدالسلام البستوي، ولقي جمعا من العلماء وأجازوه كالشيخ أحمد شاكر والشيخ عبدالرزاق حمزة وقد قرأ عليه بعض مجلدات من كتاب البداية والنهاية لابن كثير، والشيخ عبدالرحمن المعلمي والشيخ سليمان بن حمدان وغيرهم.

وقد درس عدة مرات الكتب الستة ومسند الإمام أحمد والسنن الكبرى للبيهقي وغيرها.

وله مؤلفات ومصنفات منها: عناية الباري في ضبط مواضع اسماء الرجال في صحيح البخاري، وانعام الباري في معجم احاديث شيوخ البخاري، والحطة في معظم احاديث شيوخ الأئمة الستة، والبحر الزاخر فيما روى البخاري في جامعه عن شيخه بواسطة شيخه الآخر وغيرها.

وقد قرأ عليه الكثير من طلبة العلم حفظه الله ورعاه.

مشروع قراءة وسماع كتب السنة

اختتم مكتب الشؤون الفنية في وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت أخيراً - مجالس قراءة وسماع مسند الامام الدارمي.

ويأتي هذا المشروع ضمن سلسلة مشاريع وزارة الاوقاف بدولة الكويت في الاهتمام بعلم الحديث والسنة النبوية دراية ورواية على مشايخ أجلاء مسندين محدثين، وكانت بداية المشروع الأول في ابريل ٢٠٠٧ وهو مشروع قراءة وسماع الكتب السبعة (البخاري - مسلم - أبوداود- النسائي - الترمذي - ابن ماجة - الموطأ).

وتبعه مشروع قراءة وسماع المسانيد والسنن والمصنفات، وكانت على النحو التالي (مسند الامام أحمد بن حنبل - مسند الإمام الشافعي - مسند الإمام الحميدي - مسند الإمام الطيالسي - الأدب المفرد للامام البخاري).

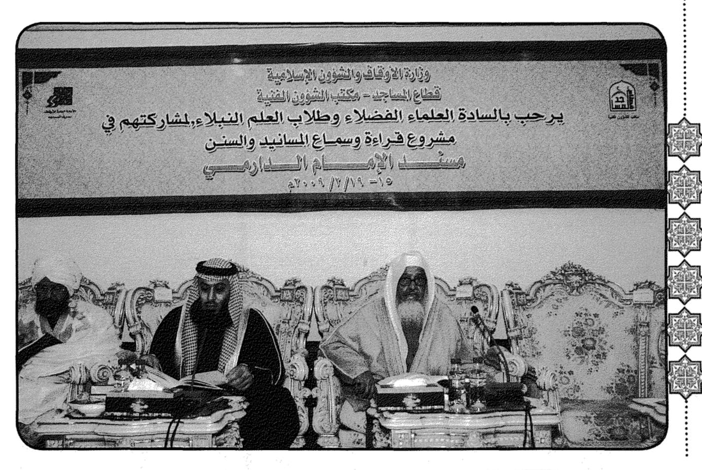
كما قرئ كتاب الشمائل للامام البخاري، ومقدمة علوم الحديث لابن الصلاح، وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر، وكتاب المنتقى للمجد ابن تيمية، والعمدة في الحديث لعبدالغني المقدسي.

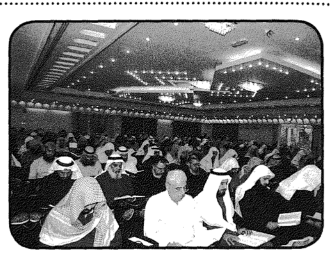
وقرئت هذه الكتب على المشايخ المحدثين (ثناء الله المدني - محمد اسرائيل الندوي - عبدالوكيل الهاشمي - محمد المنصور- مساعد البشير).

فالإسناد خصيصة هذه الامة التي شرفها الله تعالى، وسنة بالغة من سنن العلم وآداب المتعلمين.

هذا وقد خص الله تعالى المسلمين بالإسناد دون سائر أهل الملل كلها، كرامة لهم وتفضيلا على من سواهم لأجل حفظ الدين وحراسة المنقول من نصوص الوحيين الشريفين.

وكفي الراوي المنتظم في هذه السلسلة شرفا وفضلا وجلالة ونبلا ان يكون اسمه منتظما مع اسم المصطفى ﷺ في طرس واحد.





وثبت عند اهل هذا الفن انه لا يتصدى لإقراء كتب السنة والحديث قراءة ودراية او تبركاً ورواية الا من اخذ اسانيد تلك الكتب عن اهلها وأتقن درايتها وروايتها، وباحث الأقران فأحاط بمدارك الروايات ووجوهها وعللها، والاسانيد انساب الكتب.

وفائدة حفظ الاسناد بقاء شريعة محمد ﷺ صافية صحيحة لا تشوبها عوامل الغلط والتصحيف ولا تعتدي عليها عوادي الزيف والتحريف، فإنا لم نشاهد النبي ﷺ ولم تصل الينا سنته الا بالوسائط، فلو لم يكن الاسناد اصلا في نقل الخبر والتوثق منه لم تبق الشريعة.

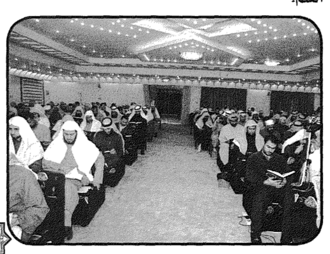
وعلى من يريد أن يكون محدثا ان يقرأ كتب الحديث بحثا ودراية ويسمعها على محدث، ويطالع شروح كتب الحديث وكتب الرجال وغريب الحديث.

ومناهج اهل العلم في دراسة كتب الحديث على عدة طرق، منها: طريقة السرد وهي أن يقرأ الشيخ المسمع أو القارئ مع التعرض للمباحث اللغوية والفقهية وأسماء الرجل وغيرها، فتحصل الدراية والرواية.

ولا يخفى ان تسلسل سماع كتب الحديث وعلومه شرف عظيم وظاهرة علمية، وقد سرد كثير من العلماء هذه الكتب على شيوخهم حتى انهم كانوا يحضرون الأطفال والنساء لعلو الاسناد وبركة السماع.

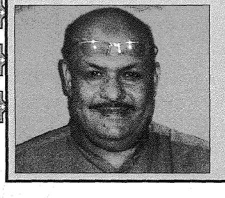
وقراءة هذه الكتب بهذه الطريقة لها عدة فوائد:

١- كثرة ذكر الله بقراءة هذه الدواوين.
٢- كثرة الصلاة على النبي ﷺ.
٣- مراجعة الحفظ لمن كان حافظا لشيء منها.
٤- التدبر والتأمل في الألفاظ النبوية ومعرفة غريبها.
٥- مراجعة الأحكام والمسائل الفقهية.
٦- معرفة الرجال وأنسابهم بذكر الأسانيد.
٧- الدراية العلمية والرواية المتصلة الصحيحة.
٨- إحياء سنة الإسناد والإجازات.
٩- زيادة الرصيد العلمي للبلد وجعله محط الأنظار في اسانيد الكتب التي كانت لا تتحصل إلا بالرحلة في طلب العلم.



وانطلاقا من هذا الباب المهم في العلم والتأصيل ستكمل الوزارة في المستقبل القريب المشروع بسماع كتب مصطلح الحديث ومسند عبدين حميد والمنتقى لابن الجارود ومعجم الطبراني الصغير والسنن الكبرى للبيهقي.

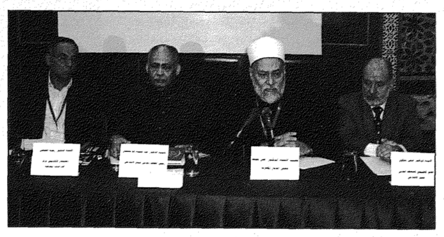
د. عماد عثمان في ذمة الله



فقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة في مجلة «الوعي الإسلامي» أحد أبنائها المخلصين، مستشار التحرير السابق د.عماد الدين عثمان أبوزيد الذي وافته المنية قبل أيام قليلة في مصر.

أسرة التحرير آلمها المصاب الجلل داعين الله أن يرحمه ويغفر له ويلهم أهله الصبر والسلوان.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

في دورة المنهجية الإسلامية .. الغرب ليس دائما في المقدمة



رجب الباسل

أكد المشاركون في الدورة العلمية التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة حول منهجية البحث الإسلامية في العلوم الاجتماعية أن على الباحثين والأكاديميين المسلمين العاملين في مجال البحوث الاجتماعية أن يفطنوا لمنهجية البحث الغربية، فضلا عن مناهج وأدوات البحث المستخدمة في تلك العلوم والتي لا تنفصل عن الواقع الذي نشأت فيه.

وأشار المشاركون في الدورة العلمية التي نظمها المعهد لعدد من أساتذة العلوم الاجتماعية في الجامعات المصرية والعربية إلى أن المسلمين يملكون منهجية للبحث نابعة من مصادرهم الإسلامية المعروفة ومن قراءتهم للواقع، كل في مجال تخصصه، وبما لا يعني في الوقت ذاته تجاهل المجهود العلمي الذي قدمه الغرب في هذه العلوم.

أكد د.علي جمعة- مفتي الديار المصرية وأستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر- أن هناك دلالة لغوية لكلمة منهاج، فكلمة منهج ومنهاج ونهج بمعنى واحد في القاموس المحيط، وأضاف فضيلته أن المنهج اصطلاحا، رؤية كلية ينبثق عنها إجراءات، والرؤية الكلية تتضمن النموذج المعرفي وتتضمن العقيدة، وأن الفكر يغذي العلم، وأن الفكر إذا ابتعد عن العلم أصبح أقرب للتلقين.

وأشار المفتي إلى أن الخالق جل وعلا أوحى النموذج المعرفي مشتملاً على المطلق والنسبي، وهو يختلف عن نموذج معرفي يعتمد على النسبي فقط، وأن النظام الأخلاقي إذا قام على النسبي انهار فلا بد أن يكون المطلق موجودا إذا أردنا الأخلاق الرفيعة.

وأوضح أن التعريف الاصطلاحي للمنهج يتمثل في الإجراءات والتي تشتمل على:

- تحديد مصادر البحث، وإلا نحن بإزاء الفوضى.
- طرق البحث متنوعة باختلاف نوع البحث (نقلي، حسي، عقلي، وضعي...).
- شروط الباحث: يفرق بين العلم والمنهج والثقافة العامة.

أما عن مصادر المنهجية، فقد أشار إلى أن المنهجية الإسلامية مردها إلى النموذج المعرفي، ومصادرها النص، ويشمل القرآن والسنة والتراث (ويسمى ذلك النص سواء موحى به أي مقدسا وهو القرآن والسنة، أو كلام المسلمين وهو من كلام البشر)، ثم الوجود الذي قام الغرب باختزال العلم فيه على التجريب، وبالتالي أصبح الإيمان ليس علميا بينما هو في المنهجية الإسلامية مصدر من مصادر المعرفة.

ويرى جمعة أنّ التراث متنوع ويغطي فترة زمنية واسعة، وهو جهد بشري تنتزع عنه القداسة، وأقر العلماء التغيير مع تغير الأشياء الأربعة: الزمان والمكان والأشخاص والأحوال.

منهج وسطي

د.محمد عمارة المفكر الإسلامي تحدث عن معالم المنهج الإسلامي في التفكير والبحث، حيث أشار إلى أن منهج الفكر الإسلامي يعني الاعتدال والوسطية (الجمع بين الفرد والمجموع- بين الذات والآخر- الدين والدنيا)، مشيراً إلى أن المرجعية الغربية قائمة على النسبي المطلق، ولا تأخذ في اعتبارها المطلق، وهذا أنشأ تطرفا في صور كثيرة، وتناول المرجعية وفق المفهوم الإسلامي، وتعرض لقضية المنهج في دراسة القرآن والسنة والتراث فبين أنه عند دراسة القرآن الكريم تثار قضايا طرحها الغرب والمتأثرون به مثل النسخ والتأويل وتدوين وجمع القرآن، وفيما يتعلق بالنسخ أكد عمارة انه لا يعني المحو، وبالنسبة للتأويل قال: إن هناك ضوابط لغوية وعقدية للتأويل، وصل ابن رشد إلى انه لا مجال للتأويل في مبادئ الشريعة لأنها مبادئ إلهية تفوق العقل الإنساني، وأن من يتجرأ في التأويل يجب قتله، وبالنسبة لجمع القرآن يؤكد عمارة أن هناك ٢٨ صحابيا كانوا كتابا للوحي، و٦ من الصحابة جمعوا المكتوب على عهد النبي ﷺ، وأن ما قام به الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه هو جمع الصحائف، أما عثمان بن عفان

د.محمد عمارة: مشكلتنا في التعامل مع السنة أننا إزاء هواة وليس علماء

ﷺ فقد جمع الناس على حرف واحد، أما منهجية التفكير في التعامل مع السنة النبوية فتقوم على الجمع في العناية بين الرواية والدراية، وان نتعامل معها بمنهاج علماء السنة، والتمييز بين السنة العملية والسنة القولية، وأضاف أن مشكلتنا في التعامل مع السنة وما يسمى مراجعة الأحاديث أننا إزاء هواة وليس علماء، وهذا مجال علم وليس مجال إعلام، ويشترط فيمن يتعرض له الورع والتقوى، وهو ما كان يملكه أحمد بن حنبل، ويرفض ثنائية العقل والنقل التي فرضها الغرب، فمقابل العقل في الإسلام الجنون وليس النقل، وإذا كان يجوز للغرب أن يستخدم مناهجه في مقابل لاهوت، فلا يجوز أن يفرض ذلك على أمتنا.

تطور المفهوم

وفي حديثه عن المنهجية في الفكر الإسلامي أكد د.رائد عكاشة- الأستاذ بجامعة الإسراء الأردنية ومدير تحرير مجلة إسلامية المعرفة- أن المنهجية بدأت من خلال الوحي (قرآن وسنة) يتلقاه الرسول ﷺ وينزله على المجتمع (الواقع)، ومن ثم فمصادر التشريع هي القرآن الكريم، ثم السنة النبوية، ثم الاجتهاد، وهو تنزيل النصوص على الواقع، وأنه كي ندرك تطور مفهوم المنهج في الفكر الإسلامي نستطيع أن نقيس مدى التفاعل بين المتلقي والمصدر خلال التاريخ الإسلامي عبر العصور المختلفة (عصر التنزيل- عصر الخلفاء الراشدين- عصر التدوين- العصر الحالي) لنلاحظ تصدر القرآن الكريم في العصرين الأول والثاني، ثم بداية اختلال الهرم في ترتيب المصادر في عصر التدوين ليتضح الخلل في الترتيب جلياً في العصر الحالي، وأضاف أننا بحاجة إلى مراجعة موقفنا من مصادر التشريع، وضرورة تقديم القرآن الكريم على ما سواه، وقد كان القرآن الكريم مصدرا للتأمل والتدبر والإدراك واكتشاف السنن ووضع القوانين في المرحلة المتقدمة من التاريخ الإسلامي، وكلما ابتعدنا عن القرآن الكريم كلما ابتعدنا عن المنهجية الصحيحة. وأشار إلى تطور مفهوم المنهج في الفكر الغربي حتى وصل إلى درجة الصراع بين الدين والعلم وسيادة دعوات مثل الهرطقة (الخروج على النص).

رؤية كونية إسلامية

د.عبد الحميد أبوسليمان- رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي- تحدث عن أهمية إدراك الفرق بين الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المتكاملة وبين غيرها من الرؤى الأحادية، وأثر تلك الرؤى على الفكر والبحث والسلوك، وأشار إلى أن الأمة الإسلامية جربت كل النظم من الغرب وفي كل المجالات، وكان الخطاب التقليدي على الجانب الآخر سائدا طول الوقت، لذا لا بد من البحث عن أشياء أخرى يمكن أن نسميها الأصالة المعاصرة، والقدرة الإسلامية في الرؤية الكونية هي البنية التحتية للأمة الإسلامية، والرؤية الكونية مرتبطة بالثقافة لأنه إذا غابت الثقافة ضاع كل شيء، وأضاف أن الأمة الإسلامية ضعيفة ومتخلفة، ووظيفة الفرد (المستخلف) في الأمة الإسلامية هو إبداع الحضارة، وأن المسلم إذا لم يدرك غاية وجوده وهي الاستخلاف فقد ضاع الهدف، ومن أكبر المشاكل التي وقع فيها العقل المسلم متأثرا بالثقافة الإغريقية التعارض بين العقل والنقل، لكن الرؤية الفكرية القرآنية عقلية وفطرية معا، ولا تعارض فيها بين العقل والنقل، وأن مشكلة الأمة أنه لما استولى السياسي على الديني قهر الدين، والمطلوب ألا تستولي السلطة التنفيذية (وهي جزء من النظام) على المقدس؛ لأنها عندما تحتكر الحديث عن المقدس تضعف الدين، ولكن لا بد أن تكون الأمة هي مصدر السلطة للنظام.

مدارس المنهجية

الدكتور عبد الحميد مدكور- أستاذ الفلسفة- تحدث عن مناهج التفكير في التراث الإسلامي حيث استعرض مدرستين، هما المدرسة الصوفية العرفانية والمدرسة العقلانية، وأشار إلى أن المنهج العرفاني ليس مطلقا بل هو مشروط ومضبوط، فمن شروطه أن تسبقه مجاهدة طويلة تمر بمرحلتين، الأولى التخلية، والثانية التحلية، وينبغي أن يراعى أن المقصود هنا هو التصوف العلمي لا التصوف السلوكي، وضوابطه ثلاثة: ألا يناقض الشرع، وألا يناقض العقل، وألا يتعارض مع المقاصد العامة وأصول الدين، ويضيف أن الصوفية بذلوا جهدا كبيرا في محاولة إثبات هذا المنهج، فاستدلوا عليه من القرآن الكريم بآيات عدة، ومن السنة النبوية بأحاديث عدة، ودعا المدارس الإسلامية المختلفة إلى الاستفادة من بعضها البعض، والتقييم الذاتي المستمر لخدمة الفكرة الإسلامية بدلا من الهجوم الحاد أو الرفض الكلي لما تقوله كل مدرسة.

تطبيقات المنهجية

د.رفعت العوضي- أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر- قام بتطبيق المنهجية الإسلامية في مجال الاقتصاد، مشيرا إلى أن الغرب يحاول أن يجعل تاريخ العلوم عنده هو تاريخ العلوم للدنيا بأسرها، وحسب تاريخ العلوم الذي كتبه الإنسان الغربي، فإن الفكر الاقتصادي بدأ في الحضارة اليونانية ثم الإغريقية وان العصور الوسطى التي امتدت من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر فترة اضمحلال فكري، وهو ما لم ينطبق على العالم الإسلامي حينها، واستعرض الفكر الاقتصادي عند المفكر المسلم عبدالرحمن بن خلدون في مقدمته التي أسس فيها لمذهب الحرية الاقتصادية حيث دافع عن حرية الإنتاج وعن حرية التبادل، كما كان ضد أن تكون الدولة تاجرا أو منتجا، كذلك كان ضد استخدام أدوات اقتصادية تخل بعمل السوق.

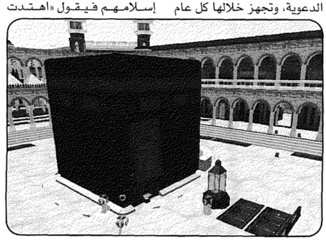
الإسلام في «سكند لايف»

أحمد فتحي

بشرى رسول الله ﷺ بانتشار الإسلام في كل أنحاء العالم تتحقق يوما بعد يوم، ومن تلك البشرى ما يحدث في هذا العالم الجديد «سكندلايف».
إشهار ثلاثة إسلامهم والنطق بالشهادتين، وانتشار المساجد والمراكز الدعوية بشكل مكثف، واستضافة العلماء والدعاة للتعريف بالإسلام وقضايا الأمة، وكذلك التدريب على مناسك الحج خطوة بخطوة.. تلك أبرز ثمار الدعوة الإسلامية داخل عالم سكندلايف الافتراضي الذي يسكنه 15 مليون شخص، بعد القيام بجهود دعوية مكثفة لأفراد ومؤسسات داخل هذا العالم، بحسب رصد لـ «الوعي الإسلامي»، وعزا دعاة وعلماء نجاح الدعوة في سكندلايف للدعوة بالاختلاط داخل هذا العالم، ومعايشة مجتمعات إسلامية، وأيضا تفاعل الداعية المباشر مع غير المسلمين الراغبين في دخول الإسلام.
ويماثل الـ«سكندلايف» في بنائه شكل الألعاب الثلاثية الأبعاد، ولكن ما يميزه إمكانية التفاعل والتعارف بين رواده، والبيئة المصممة للتعايش وإلقاء المحاضرات والتعليم بجانب الترفيه.
وافتتحت وكالة «رويترز» للأنباء مكتبا افتراضيا في هذا العالم، كما سعت دول للحصول على تمثيل سياسي أو رسمي داخل «سكندلايف» كانت أولها جزر المالديف، ثم السويد اللتين افتتحتا سفارتين لهما داخل هذا العالم الافتراضي.

المظاهر الإسلامية

أولى المظاهر الإسلامية، لجوء عدد من المؤسسات أو الأفراد إلى بناء مساجد كبيرة، تحاكي شكلها في الواقع، من أبرزها مسجد «شيبي» الذي يستقبل المئات شهريًا من الزوار لتعريفهم بالإسلام وأركانه وأحكامه، وبناه شاب ألماني بشكل يحاكي تماما مسجد قرطبة الموجود في إسبانيا حاليًا، وقد زينت جدران المسجد بالنقوش الإسلامية، ويحوي محرابا ومئذنة.
ويوجد أيضا مسجد «تسنيم»، وهو مركز دعوي يشرف عليه داعية بريطاني يدعى دراون فيرو، ويقول عنه «هذا المركز أسسته للتعريف بالإسلام...»
وبجزيرة المغرب الافتراضية يوجد مسجد الحسن الثاني الذي يشبه تصميمه في الواقع، وتحتضن جزيرة تركيا بعالم سكندلايف، مسجد السلطان أحمد الملقب بالمسجد الأزرق، وهو من أشهر مساجد تركيا وأجملها، وإضافة إلى الانتشار المكثف للمساجد في عالم سكندلايف، فإن عددا من المؤسسات العربية والإسلامية شرع في شراء جزر افتراضية كمراكز دعوية للتعريف بالإسلام وبرسوله الكريم ﷺ لزوار الحياة الثانية، والرد على الشبهات المثارة حوله في الغرب.
شبكة «إسلام اون لاين.نت» أحد أكبر المؤسسات التي حرصت على الحضور القوي داخل هذا العالم، فقامت بشراء جزيرتين، الأولى خصصت للتدريب على مناسك الحج خطوة خطوة بعد أن أنجزت جميع مناسك الحج بشكل يحاكي الواقع، بداية من الحرم المكي ومرورا بالمسعى (الصفا والمروة) وجبل عرفات ورمي الجمرات، انتهاء بالحلق والتقصير وذبح الأضحية أو الهدي، ويهدف المشروع إلى التدريب على مناسك الحج خطوة بخطوة.
أما الجزيرة الثانية، فخصصت لنقل بعض أدوار الشبكة الدعوية، وتجهز خلالها كل عام خيمة رمضانية، تسعى لنقل أجواء شهر رمضان إلى زوار عالم سكندلايف، ومن أبرزها، البث المباشر لصلاة التراويح من الحرم المكي، وعقد محاضرات لعدد من العلماء والشيوخ، مع إتاحة مائدة الرحمن تحوي أكلات شرقية مختلفة.
وإلى جانب هذه المؤسسة، توجد جزر «إكستروبيا» وهي إحدى المجتمعات داخل سكندلايف، والتي تهتم بحوار الثقافات والأديان، وجزيرة الأندلس الافتراضية أو جزيرة «مشروع الخلافة»، التي تروج لإعادة بناء حضارة القرن الثالث عشر الميلادي في الأندلس، وبناء مجتمع متعدد الثقافات، مع الحفاظ على القيم الإسلامية، حسب كلام أصحاب الجزيرة.
وبدأت هذه المؤسسات تقطف ثمار الدعوة الإسلامية في سكندلايف، حيث أشهر اخيراً ثلاثة إسلامهم داخل جزيرة تعليم الحج.
ويروي مسؤول الجزيرة قصة إسلامهم فيقول «اهتدت



فتاتان في جزيرة الحج الماضي للإسلام، فتاتان هما أمينة زهرة، وآنا».

ونقل مسؤول جزيرة إسلام اون لاين عن أمينة، ٣٦ عاما، «سيندي» سابقا، التي تعيش بالمملكة المتحدة قولها «إن جزيرة تعليم الحج التابعة لإسلام أون لاين أتاحت لي مخالطة المجتمعات الإسلامية، وكانت سببا رئيسيا في تحولي إلى الإسلام، كنتيجة لاحتكاك مباشر بالمسلمين، وممارسة بعض أركان الإسلام بشكل عملي افتراضي على الجزيرة».

وتقول أمينة «وجدتُ دعما كبيرا من المسلمين في جزيرة «إسلام أون لاين.نت»، جعلني أشعر بأنني وسط عائلتي، كما وجدت أماكن ومراكز دعوية عديدة طالما حلمت بتواجدها في عالم الواقع، هنا أعيش إسلامي بشكل كامل، فأقابل مسلمين، وأرتدي الحجاب، كما أن بعض أركان الإسلام تمارس بشكل عملي، كأداء الصلاة ومناسك الحج».

أما «آنا» فترجع اعتناقها الإسلام، إلى أنها أحبت نموذج الحياة الإسلامية على «سكندلايف» بعد أن التقت العديد من المسلمين، وتعرفت عن قرب على أركان الإسلام، وبعدها اختارت اسما عربيا لها، وارتدت الحجاب. وتقول «وجدت العديد من التجمعات الإسلامية، وهو ما لا يتوافر في العالم الحقيقي بالنسبة لي، فالمكسيك دولة كاثوليكية، والأقلية المسلمة فيها غير معروفة، ولا أسمع عنها كثيرا، ولا وجود لها في الإعلام، وطيلة حياتي لم ألتق مسلما أو مسلمة».

الدعوة في «سكندلايف» تثمر عن ثلاثة يشهرون إسلامهم ويتعلمون مناسك الحج

رحلة «موردخاي»، وهو ثالث شخص يشهر إسلامه داخل خيمة رمضانية بعالم سكندلايف، فيرويها قائلا «أنا من مدينة سان ديجو بولاية كاليفورنيا الأميركية، وبدأت رحلتي للإسلام بالكاثوليكية، ثم الإلحاد والشك في وجود خالق لهذا الكون، ثم شرعت في مرحلة البحث والاستكشاف ومناجاة الله سرا، حتى كان السابع من رمضان هذا العام (١٤٢٩هـ).

فبعد انتهاء تلاوة سورة «المائدة»، ضمن الجزء السابع من القرآن الكريم، في خيمة «إسلام أون لاين.نت»، أعلنت أمام من بالخيمة أنني أريد معرفة المزيد عن القرآن وأداء أركان الإسلام.

ومضى قائلا: «نعم.. بداخلي دافع كبير للدخول في الإسلام، بدأت أقرأ عن أركان الإسلام وكيفية أدائها، ومن بينها الصيام، أصوم لفترات طويلة من اليوم».

وأرجعت بتول بوثا أستاذ اللغة العربية للأجانب في جامعة حلب بسوريا، ومشاركة في مركز دعوي بعالم سكندلايف، انتشار الإسلام على سكندلايف إلى أنه ترجمة حقيقية لأسلوب الدعوة بالاختلاط، وليس فقط بنشر المعلومات عن الإسلام، فالمسلم العادي قادر - بأبسط آداب الإسلام - على أن يقدم لغير المسلم صورة حية صادقة عن الإسلام.

وأضافت قائلة «حجاب المسلمة يلفت نظر الغربي كثيرًا، ويدفعه للتساؤل والاستفسار والاحتكاك المباشر بالمسلمين، وهذه الأجواء لا تتوافر دائما في عالم الواقع».

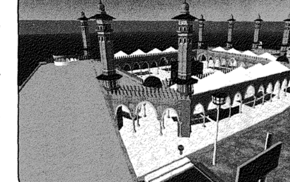
وبدوره، يرى محمد يوسف أول داعية سعودي في عالم سكندلايف وهو طبيب نفسي مقيم في السويد، أن فرص الدعوة إلى الإسلام في سكندلايف جيدة جدا؛ لأن المسلمين أكثر اعتدالا في الأقوال والأفعال في هذا العالم، كما أن فرص التعرف والتفاعل المباشر مع جميع الجنسيات من مختلف دول العالم متاحة.

ويضيف يوسف لمجلة «الوعي الإسلامي»، أنه برغم كثرة مواقع الإنترنت التي تقدم معلومات وافية عن الإسلام، فإن عالم سكندلايف يوفر فرصة غير عادية للتعرف على الإسلام، والتواصل مع العالم الإسلامي عن قرب.

لكن كحالهم في الحياة الواقعية، عانى المسلمون في عالم سكندلايف كثيرا من مظاهر «الإسلاموفوبيا»، متجسدة في محاولات تخريب متعمدة من شخصيات قالت إنها تسعى للسيطرة على الجزر العربية وإخراج المسلمين منها.

وذكرت صحيفة «صنداي تايمز» البريطانية، أن مسلمين متطرفين يقفون وراء تفجيرات افتراضية استهدفت مباني أنشئت في موقع «سكندلايف»، فضلا عن استخدام الموقع لتحويل الأموال لأغراض إرهابية.

كان عالم سكندلايف عالما جديدا، ولم يحظ بالانتشار المطلوب كغيره من أشكال الشبكة العنكبوتية، فإن من الأولى أن تهتم به الدول العربية والإسلامية، خاصة مع الإمكانات الهائلة لدولنا، وأن يكون لنا السبق في هذا العالم، خاصة أنه يعد عالما جديدا يفتح آفاقا واسعة للدعوة إلى الله، في ظل العالم الذي ينفتح كل يوم أكثر بأسلوب جديد، كل هذا يستدعي اهتمام الدعاة والمسؤولين عن الدعوة بالشكل الرسمي والشعبي، وأن يكون لهم دور فعال في هذا المضمار، تحقيقا لحديث النبي ﷺ «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر» (صححه الألباني) فهل لنا أن نشارك في تحقيق بشرى رسول الله ﷺ في «سكندلايف»؟





قطوف تربوية

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

الشباب والمخدرات

الإسلام لم يتخل عن الإنسان، بل وقف مع مصلحته، ومن أجل خيره وسعادته في دنياه وأخراه، ومن هنا فإن كل ما من شأنه أن يجلب على الإنسان ضرراً مادياً أو معنوياً يحرمه الدين ويعاقب عليه، وهناك قاعدة إسلامية تقول إنه «لا ضرر ولا ضرار» كما ورد عن الرسول ﷺ في الحديث الصحيح.

ومن المعلوم للجميع أن المخدرات بجميع أنواعها القديمة والحديثة تضر بالمجتمع، ومن رحمة الله تعالى بنا أن أرسل إلينا الرسل، وأنزل إلينا الكتب، وبيّن لنا الحلال والحرام، وجاءت رسالة الإسلام خاتمة للرسالات، وبعث الله تعالى محمداً ﷺ خاتماً للرسل والأنبياء، ليسلك بالناس طريق الهدى وسبيل النجاة، مصداقا لقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وقد أكد الرسول الكريم تحريم جميع المسكرات والمخدرات في حديثه الجامع المانع «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام» (رواه مسلم).. وتحريم الخمر والمسكرات والمخدرات داخل في دائرة تحريم الخبائث، فقد أباح الله تعالى لنا الطيبات من كل ما خلق، ونص على كل ما يحرم من الخبائث في قوله تعالى : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف:٣٢)، فالمسلم في رحاب الشريعة الإسلامية، يعيش في حياة سعيدة هانئة مستقرة، ملبسه طاهر، ومطعمه حلال طيب، وعقله في مأمن من غوائل المسكرات والمخدرات وجسمه في حصانة من شرورها وآثارها المدمرة.

والجوانب السلبية التي تعرض في الأفلام والمسلسلات عن المخدرات من شأنها أن تثير حب استطلاع الأبناء، ومن ثم دخول تجربة التعاطي والإدمان، ومن هنا يجب على الآباء أن يبينوا لهم أضرارها وذلك من خلال:

- ضرورة الحديث عن أضرار المخدرات الصحية والاجتماعية والاقتصادية ومخاطرها، سواء على الفرد أو الجماعة أو المجتمع، وذلك قبل بدء الفيلم أو المسلسل، وكذلك بعد الانتهاء منهما، والهدف من وراء ذلك خلق رأي عام سلبي لدى الأبناء تجاه أخطار المخدرات.

- تعميق وترسيخ المشاهد الإيجابية في الفيلم أو المسلسل في عقول الأبناء، ويعني ذلك الحديث مع الأبناء عن مآسي المخدرات، وكيفية التخلص من أخطارها، وتشجيع الأبناء على المشاركة الإيجابية في الحملات التي تدعو إلى محاربة المخدرات.

- تأكيد الآباء لأبنائهم على بعض الأمثلة الواقعية أو المستخلصة من واقع المجتمع للنهاية المأساوية للجزاء أو العقوبة التي يلقاها تجار المخدرات، عندما يتم القبض عليهم ومحاكمتهم التي تنتهي بإعدامهم، وكذلك حالات الوفاة لبعض متعاطي ومدمني المخدرات، نتيجة الجرعة الزائدة من المواد المخدرة، إن عرض مثل هذه الحالات والنماذج أمام الأبناء يخلق لديهم الكراهية لتجار المخدرات ومتعاطيها ومدمنيها، بل إن عرض مثل هذه الحالات والنماذج يمثل تحصيناً ومناعة ضد المخدرات.

- يجب أن يحرص الوالدان على عدم حضور الأبناء من صغار السن وحتى الأبناء من سن المراهقة الأفلام والمسلسلات، التي تعرضها القنوات الفضائية وحدهم، وذلك للخوف من سوء فهم بعض هذه المشاهد، إذ إن وجود الوالدين أو أحدهما على الأقل مع الأبناء عند مشاهدة الأفلام والمسلسلات يمثل صمام الأمن، حيث يقوم الوالدان بفتح

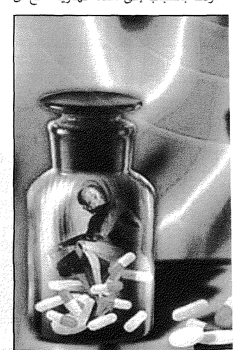




حوار مشترك يتم من خلاله التركيز على الدمار العقلي والنفسي والجسمي والاجتماعي والاقتصادي الناجم عن تعاطي وإدمان المخدرات.

عجز المجتمع

اجتاحت الشباب في الفترة الأخيرة من هذا القرن موجات تعبر عن واقعه المرير، وظهرت فئات ساخطة لها تساؤلات عجز المجتمع عن الإجابة عنها، وترك هؤلاء يلجأون إلى عالم الأوهام والمخدرات، وهناك أسباب جعلت مستوى الشباب ينحدر إلى ذلك الواقع، أولها المؤسسات الحضارية في العالم، والتي ترفع شعارات الحرية والإخاء والمساواة والعدالة والديموقراطية، ثم لا تمنح الأفراد من ذلك شيئا، ولا شك في أن الفراغ الروحي والديني، وتيارات المادية الجارفة، وقلة الوازع الديني، وضياع القدوة، أودت بالشباب إلى هذه الهاوية، مع أن



الآباء مطالبون بالقرب من أبنائهم لكي لا يقعوا في براثن هذا الداء ولا يكتسبوا سلوكيات خطيرة

الشباب ثروة يجب أن يعنى بها، فالمخدرات آفة اجتماعية وسموم قاتلة، ولهذا دأبت جميع المجتمعات على محاربتها كما حاربتها جميع الأديان السماوية.

لذا يجب على الشباب الذين هم عماد الوطن، أن يبتعدوا عن هذه الآفة الفتاكة، وأن يضعوا نصب أعينهم مدى حالة التفكك والضياع التي يعيشها شباب العالم الغربي، وباستطاعة الشباب قتل أوقات فراغهم بالاتجاه إلى الأندية الرياضية وجميع النشاطات، التي هيأتها لهم الدولة مشكورة لعمل أشياء تعود فائدتها ويرجع نفعها للصالح العام، وأن يتخذوا من الشريعة الإسلامية السمحة منهاجا لهم، وأن يبتعدوا عن الأعمال الهدامة التي من شأنها أن تضر بمصلحة الوطن والمواطنين والمقيمين.

آثار المخدرات والمسكرات والخمور

- التليف الكبدي الذي لا شفاء منه.
- النقص الحاد في فيتامين «B» و «C».
- تسمم عضلة القلب وتصلب الشرايين.
- ضعف الشهية وسوء التغذية والتأثير الضار على عمليات الهضم.
- قرحة المعدة و«الإثنا عشر» والتهاب البنكرياس.
- انتشار مرض السل الذي يصيب حوالي ٢٠في المائة من المدمنين.
- التهاب أعصاب الأطراف والموت المفاجئ.
- الإصابة بالأمراض العقلية وضعف الذاكرة والجنون.
- تصدع النظام الأسري بكثرة الطلاق وانحراف الأبناء.
- الوقوع في براثن الوحوش البشرية، وهتك أعراض النساء تحت تأثير المخدرات والمسكرات، وهناك أنواع من المخدرات مثل الكحول والسبرتو لها تأثير ضار في أماكن معينة من الجسم، حيث تؤثر تأثيراً شديداً على الكبد والجهاز العصبي والجهاز التناسلي.

طرق الخلاص من براثن الإدمان

- العمل على تقوية الجانب الإيماني لدى المدمن
- تقوية الثقة بالنفس.
- بث روح الأمل وتوافر فرص الشفاء.
- توفير بيئة بديلة صالحة يعيش فيها المدمن.
- ملء وقت الفراغ، وإشباع حاجة المدمن إلى التقدير.
- أداء الفرائض الدينية، وخاصة الصلوات الخمس في المسجد والاندماج في جماعة المسجد، ومشاركتها نشاطاتها الاجتماعية السليمة.
- مراجعة الطبيب وعدم إهمال نصائحه.
- مصارحة الأهل بكل ما في حياة المدمن خارج نطاق الأسرة، لتساعده على الحياة السوية، وتكوين علاقات صداقة سليمة

وخلاصة الحديث أن الخمر وسائر المخدرات والمسكرات بكل أنواعها وأسمائها يحرم تعاطيها بأي وجه من وجوه التعاطي مهما كان، كما يحرم تصنيعها وزراعتها وتهريبها والاتجار فيها وبيعها وإهداؤها والتعامل بها على أي وجه كان، وعلى أي صفة، والإعانة على ذلك معصية محرمة لا شبهة في حرمتها، قال الله عز وجل: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ (المائدة: ٢).

فيجب علينا كآباء أن نكون قريبين من أبنائنا، حتى لا يقعوا في براثن هذا الداء، أو اكتساب سلوكيات خطيرة، وكذلك يزداد شعورهم بأهميتهم، ومن ثم يزداد تقبلهم للاستماع إلى ما نتمناه لهم.

مدى الاحتجاج بالأحاديـ

الصحة بين التراث والحداثة

أدرك الإسلام أهمية الصحة بالنسبة للإنسان لعيش حياة تتميز بالتوافق الداخلي مع العالم المحيط به سواء كان هذا العالم جسدياً أو عقلياً.

ولكن ينبغي أن نفرق بين المعجزات العلمية في القرآن الكريم بصفة عامة وبين المعجزات الخاصة بالصحة، فقديماً كان الناس يصنفون الأمراض على أساس الأعراض وليس على أساس طبيعة المرض نفسه، وجاء الطب النبوي بيقين قطعي إلهي صادر عن الوحي ومشكاة النبوة، ولكن لا ينتفع به إلا من تلقاه بالقبول واعتقد الشفاء به.

ولا يمكن مقارنة الطب البدائي بالطب الحديث، لاختلاف وسائل التشخيص وتطور علوم الطب المختلفة، فكل عصر فيه اجتهادات وآراء في أمور الدنيا.

«الوعي الإسلامي» أفردت صفحاتها لهذه القضية للتعرف على أبعادها المختلفة، وكيف يمكن التعامل مع الطب التراثي والطب الحديث لا سيما أن هناك الكثير ممن يتاجرون بالطب النبوي ويفرغونه من محتواه ليتماشى مع أهوائهم ومصالحهم.

«الطب النبوي» عبارة شائعة جدًا، يُراد بها تلك الأحاديث الصادرة عن النبي ﷺ في مسائل تتعلق بالطب، من علاج ودواء ووقاية ونحوها، لكن ثمة سؤال بالغ الأهمية لا يلتفت إليه كثيرون وهو.. هل هذه الأحاديث في الأمور الدنيوية عامة، وفي الطب خاصة (ولو صحَت) تعتبر حجة يجب الأخذ بها واعتبارها وحيًا؟

هذا السؤال يعالجه د.محمد سليمان الأشقر في بحثه (مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشئون الطبية والعلاجية) معالجة جريئة، ويخلص إلى أن أقوال النبي ﷺ وأفعاله الدنيوية ليست تشريعًا، وأنه ﷺ إنما بُعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، ويجوز عليه ﷺ فيها الخطأ، إذ ليس في هذا نقيصة ولا محطة، وأقواله وأفعاله في الأمور الطبية الصرفة ليست حجة، ولا يلزم الأخذ بها، بل هي أقوال وأفعال مبنية في الأصل على التجارب الشخصية.

الأصل في أقوال النبي محمد ﷺ وأفعاله وتقريراته أنها حجة شرعية على عباد الله، إن ثبتت بطريق صحيح، وقد تكفل ببيان ذلك والاستدلال له علم أصول الفقه، وهذا واضح كل الوضوح فيما كان من ذلك مبيِّنًا لأمور الدين، كالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وكالأحاديث المبينة لأحكام الله تعالى من الحلال والحرام والفرائض وأنواع التعبدات والمعاملات وغيرها من أمور الشريعة.

القواعد العامة في الأمور الدنيوية

أما الأمور الدنيوية، فهل يلزم أن تكون اعتماداته وأقواله ﷺ فيها مطابقة للواقع بمقتضى نبوته، أو أن هذا أمر لا صلة له بمقام النبوة؟

اختلف العلماء في ذلك على مذهبين

المذهب الأول، أنه ﷺ معصوم من خطأ الاعتقاد في أمور الدنيا، بل كل ما يعتقده في ذلك مطابق للواقع، وكذلك ما يقوله ويخبر به، ولم نجد أحدا من قدماء الأصوليين صرح بمثل هذا المذهب، ولكنه لازم لمن جعل جميع أقواله وأفعاله ﷺ حجة حتى في الطبيات والزراعة ونحوها، وهو لازم أيضا لمن صحح منهم أن تقريره ﷺ لمخبر عن أمر دنيوي يدل على صحة ذلك الخبر، كما فعل السبكي وأيده المحلي والبناني.

وابن القيم في كتابه «الطب النبوي» يذهب

ـث النبوية في الشؤون الطبية والعلاجية

إلى حجية أقواله وأفعاله ﷺ في الطب، قال «طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل».

المذهب الثاني، أنه لا يجب أن يكون اعتقاده ﷺ في أمور الدنيا مطابقا للواقع، بل قد يقع الخطأ في ذلك الاعتقاد قليلا أو كثيرا، بل قد يصيب غيره حيث يخطئ هو ﷺ.

قالوا: وليس في ذلك حطّ من مقامه العظيم الذي أكرمه الله به: لأن مقام النبوة مُنصب على العلم بالأمور الدينية من الاعتقاد في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومن الأمور الشرعية، أما إن اعتقد أن فلانا مظلوم فإذا هو ظالم، أو أن دواء معينا يشفي من مرض معين، فإذا هو لا يشفي منه، أو أن تدبيرا زراعيا أو تجاريا أو صناعيا يؤدي إلى هدف معين، فإذا هو لا يؤدي إليه، أو يؤدي إلى عكسه، أو أن تدبيرا عسكريا أو إداريا سينتج مصلحة معينة، أو يدفع ضررا معينا، فإذا هو لا يفعل، فإن ذلك الاعتقاد لا دخل له بالنبوة، بل هو يعتقده من حيث هو إنسان، له تجاربه الشخصية، وتأثراته بما سبق من الحوادث، وما سمع أو رأى من غيره، مما أدى إلى نتائج معينة، فكل ذلك يؤدي إلى أن يعتقد كما يعتقد غيره من البشر، ثم قد ينكشف الغطاء فإذا الأمر على خلاف ما ظن أو اعتقد.

وقد صرح بأصل هذا المذهب، دون تفاصيله القاضي عياض، والقاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي، والشيخ محمد أبو زهرة.

وظاهر حديث أنتم أعلم بأمر دنياكم (رواه مسلم) أنه ﷺ كغيره من الناس في ذلك، بل فيه التصريح بأن أصحاب الخبرة في صنائعهم وتجاراتهم وزراعاتهم قد يكونون أعلم منه بدقائقها، إلا أن القاضي عياضا أوجب أن يكون الخطأ في ذلك نادرا، لا كثيرا يؤذن بالبله والغفلة.

ويحتج لهذا المذهب بأدلة، منها:

أولا: حديث تأبير النخل في صحيح مسلم، «قدم النبي ﷺ المدينة، فإذا هم يأبرون النخل- يقولون يلقحون النخل- فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه. قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا. فتركوه، فنفضت، فذكروا ذلك له، فقال: إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر» وشبيه به قول رسول الله ﷺ: «... إنما أنا بشر، فما حدثتكم عن الله فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أصيب وأخطئ» (الهيثمي في مجمع الزوائد وإسناده حسن).

ثانيا: إن النبي ﷺ قال: «إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها» (رواه البخاري).

أقوال وأفعال النبي ﷺ ليست حجة لأنها مبينة على التجارب الشخصية

واختار د. محمد سليمان الأشقر المذهب القائل بأن أقوال النبي ﷺ وأفعاله الدنيوية ليست تشريعا، واستدل لذلك بالأدلة الآتية:

١- قوله تعالى ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي...﴾ (الكهف: ١١٠) وقوله ﴿... قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ (الإسراء: ٩٣)، وقد تكرر التأكيد على بشرية الرسول ﷺ، بخلاف أمور الشريعة، فإن كلامه فيها لا يستقر فيه خطأ، كما هو ثابت في علم أصول الفقه، فالأصل استمرار حاله في أمور الدنيا كما كان قبل النبوة، لما لم يدل على انتقاله عن ذلك دليل، وقد أكدت السنة النبوية ما بينه القرآن من ذلك كما يأتي:

٢- قوله ﷺ: «... إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بأمر دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر» (رواه مسلم) وفي رواية: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»، وبهذا الحديث، برواياته المختلفة، يؤصل النبي ﷺ أصلا عظيما في الشريعة، ويبينه لنا، ويشعرنا بأن بعض أفراد الأمة قد يكونون أحيانا أعلم منه ﷺ بما يتقنونه من أمور الدنيا، والمقصود أهل الخبرة في كل فن وصناعة، وأنه لا داعي شرعا لالتفاتهم إلى ما يصدر عنه ﷺ من ذلك إلا كما يلتفتون إلى قول غيره من الناس.

٣- إن الحباب بن المنذر، قال في غزوة بدر: «يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي» (الألباني في السلسلة الضعيفة).

وممن صرح بهذه القاعدة بصفتها العامة، من الأصوليين القدامى القاضي عبد الجبار، وصرح بها حديثا الشيخ ولي الله الدهلوي، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ عبدالوهاب خلاف، والشيخ عبد الجليل عيسى، والشيخ فتحي عثمان، ويرى ابن خلدون أن الطب المنقول في الشرعيات ليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب.. فإنما بُعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره.

قال ابن خلدون «الطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل (يعني طب البادية المبني على تجارب قاصرة) ليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب، ووقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل، فإنه ﷺ إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع، فقال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم» قال: فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على



أنه مشروع، فليس هناك ما يدل عليه».

قال القاضي عياض «فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه ﷺ فيها ما ذكرناه (أي الخطأ)، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وشغل نفسه بها، والنبي ﷺ مشحون القلب بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية، ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة».

وبيّن شاه ولي الله الدهلوي أن علوم النبي ﷺ على قسمين: أحدهما ما سبيله سبيل تبليغ الرسالة، والآخر ما ليس من باب تبليغ الرسالة، وفيه قوله ﷺ «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر» وقوله في قصة تأبير النخل.. قال: ومنه الطب.

وقال الشيخ محمد أبوزهرة في شأن حديث تأبير النخل: الحديث يتعلق بالصناعات وفنون الزراعة، وتثمير الأشجار، فهل يتصور أن النبي ﷺ يمكن أن يكون حجة وذا خبرة في فنون الزراعة والتجارة، وصناعة الزجاج والجلود، ونسج الأقطان والحرير، وغير ذلك مما يتعلق بالمهن المختلفة؟!

والأمور الدنيوية التي هذه سبيلها، ووردت فيها أحاديث نبوية، هي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأمور الغائبة عنه ﷺ مما شأنه أن يعرفه ممن رآه أو سمع به، ولا يعرفه الإنسان المعتاد بمجرد الفكر، كمعرفة ما في بيت مغلق، أو معرفة ما يجري في مكان بعيد من أرض الله، فهذا من علم الغيب، لا يعلمه إلا الله، لقوله تعالى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: ٦٥) وقوله ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ (الأنعام: ٥٠) فلا يعلم النبي ﷺ مثل ذلك إلا بطرق المعرفة المعتادة، ما لم يخبرنا أن الله أطلعه عليه وأوحى إليه به.

النوع الثاني: أمور البشر وأسرارهم، وما في قلوبهم، وما عملوا في حال غيبتهم، فلم يقل النبي ﷺ شيئا من ذلك بغير إطلاع خاص من الله تعالى، كما أطلعه على حال بعض المنافقين، ثم قد يعتقد الشيء من ذلك الذي لم يوحَ إليه به على غير ما هو عليه: لقوله ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي...». وكان ﷺ يُجري أحكامه على الظاهر وموجب غلبة الظن، بالشاهدين، أو يمين الحالف، أو مراعاة الأشبه، أو معرفة القرائن. ولو شاء الله لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته، ولكنه غيّب عنه ذلك.

النوع الثالث: ما يدخل من أمور الدنيا ضمن ما يسمى العلوم البحتة والعلوم التطبيقية، وهي ما يفعله الإنسان بقصد تحصيل نفع في البدن أو المال له أو لغيره، أو دفع ضرر كذلك، أو يدبر تدبيرا في شأنه خاصة أو شؤون المسلمين عامة، لغرض التوصل إلى جلب نفع أو دفع ضرر

ويشمل هذا النوع الأضرب التالية:

الضرب الأول: الأمور الطبية، فقد تناول النبي ﷺ، أو أعطى غيره، أو وصف له، أطعمة وأشربة متنوعة على سبيل حفظ الصحة، أو لدرء أمراض معينة، كألبان الإبل وأبوالها، وكذلك تعاطى أو أعطى أنواعا مختلفة من العلاج.

الضرب الثاني: شؤون الزراعة.

الضرب الثالث: الصناعة.

الضرب الرابع: التجارة.

الضرب الخامس: أنواع أخرى من المكاسب كرعي الغنم، أو العمل للغير بأجر.

الضرب السادس: مثل التدابير الفنية التي اتخذها ﷺ في الحرب، من استعمال المجانيق والسيوف والرماح والسهام، وتربية الخيل للقتال، وحفر الخنادق، وترتيب الجيوش وتدريبها.

الضرب السابع: مثل التدابير التي اتخذها ﷺ في الإدارة المدنية، من اتخاذ الولاة والكتاب والحراس والحجاب والسفراء، وكذلك الأعلام والشعارات، والمرافق من الطرق والحصون وغيرها.

فهذه الأضرب وأمثالها قد وقع من النبي ﷺ الكثير من أفرادها، ونقل إلينا أشياء من ذلك.

والنظر في الأحكام التي يمكن أن تدل عليها مثل تلك الأحاديث من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول (أصل): ويشمل الطب والزراعة والصناعة والتجارة والقصد إلى تحصيل المكاسب، والسعي لتحقيق التدابير المدنية والعسكرية المناسبة، ونحو ذلك، تعتبر أقواله ﷺ في ذلك حجة يجب اعتقادها واتباعها، ويستفاد من الأحاديث القولية والفعلية في ذلك إباحته، وأنه لا يخالف العقيدة ولا الشريعة، وقد يكون من باب الاستحباب أو الوجوب، بحسب الأحوال الداعية إليه ودلالة نطقه في ذلك.

وفي الحديث إشارة إلى ذلك حيث قال ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام

كان يأكل من عمل يده» (رواه البخاري) وهذا في الصناعة، وقال «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة» (رواه ابن حبان) وهذا في التجارة، وورد في الزراعة وغيرها أحاديث أخرى، وسوف تأتي الأحاديث التي تأمر بالتطبيب والعلاج لاحقاً.

الوجه الثاني: إرشادات وتوجيهات شرعية في ممارسة تلك الأعمال، كتجنب البول وقضاء الحاجة تحت الشجر المثمر، ووجوب إحسان الذبح، وتحديد الشفرة لئلا يتعذب الحيوان المذبوح، وإمكانية استعمال المنجنيق في الحرب، وتجنب قتل النساء والأطفال فيها، ونحو ذلك، فهذا شرع يؤخذ كما يؤخذ غيره من الشرع في العبادات ونحوها.

الوجه الثالث: الأمر الذي عمله بخصوصه، هو مباح له، وقد يكون مستحبًا له، أو واجبا عليه، لاعتقاده ﷺ أنه هو المؤدي إلى غرض مستحب أو واجب.

أما أقواله ﷺ وأفعاله المبنية في الأصل على التجارب الشخصية فليست حجة، ولا يلزم الأخذ بها.

ولكن هل يكون حكم مثله بالنسبة إلينا كذلك؟ كما لو شرب دواء معينا لعلاج مرض معين، فهل يستحب لنا شرب ذلك الدواء لذلك المرض مثلا، أو يجب، بل هل يباح بناء على ذلك أم لا؟ هذا ينبني على القاعدة التي سبق تحريرها، وقد رجحنا فيها قول من قال من العلماء: إن أقواله ﷺ وأفعاله في ذلك الباب ليست حجة،

هل يكون ما ورد عن النبي ﷺ من المعالجات الطبية من جنس آثاره حتى يستشفى بها؟!

ولا يلزم الأخذ بها، بل هي أقوال وأفعال مبنية في الأصل على التجارب الشخصية للنبي ﷺ من حيث هو بشر، وما قد سمع به من أهل التجربة والمعرفة.

ونبه د.محمد الأشقر هنا إلى أنه إذا نص القرآن على أمر دنيوي فهو حق لا مرية فيه؛ لأنه من الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض، فإذا كان الحديث النبوي في الشؤون الدنيوية استجابة لإرشادات القرآن التي تتعلق بذلك الأمر، فيكون الفعل بيانا أو امتثالا للقرآن، ويحمل على الشرعي، ولعل خير مثال على ذلك شربه ﷺ العسل للتداوي، فإن ذلك تطبيق لقوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ (النحل: ٦٩). وشبيه بذلك ما أخبر ﷺ أنه فعله عن وحي من الله تعالى.

كما نبه الأشقر إلى أمر آخر وهو أنه إذا تردد الفعل بين أن يكون دنيويا أو دينيا، حمل على الديني؛ لأنه الأكثر من أفعاله ﷺ. والله أعلم.

الأحاديث الواردة في شأن الطب والعلاج

بعد تأصيل القواعد العامة التي ذكرت، والتي تصدق على جميع الأحاديث النبوية المتعلقة بالشؤون الدنيوية المختلفة، نخص بالكلام الأحاديث الواردة في الشؤون الطبية بالذات، بتطبيق القواعد السابقة عليها فنقول: إن الأحاديث المذكورة نوعان رئيسيان:

أولهما: ما يعتبر شرعا يتبع، ويعمل به، كسائر الأحاديث الواردة عنه ﷺ في شؤون الاعتقادات والعبادات والمعاملات والأحكام المختلفة التكليفية والوضعية.

والثاني: ما لا يعتبر شرعا، ولا يلزم العمل به، وسبيله سبيل الشؤون الدنيوية التي تقدم بيانها، ويعتبر قول النبي ﷺ فيها كقول سائر الناس.

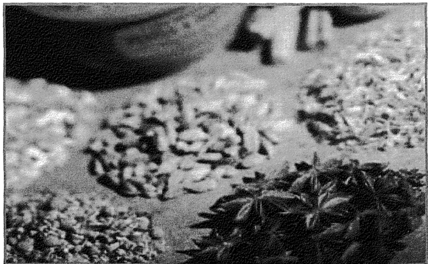
النوع الأول: ما هو شرع من أحاديث الطب وهو ما ورد من الأحاديث في الطب ويعتبر شرعا يتبع، يشمل فئات:

الفئة الأولى: ما كان من الأحاديث الواردة في حكم أصل العمل بالطب والمعالجات وتناول الأدوية، فهذا النوع شرع يتبع، وقد وردت في أصل العمل بالطب أحاديث منها، حديث الأمر بالتداوي، وأن الله تعالى ما أنزل داء إلا أنزل له دواء، غير داء واحد، اختلفت الأحاديث في تعيينه، ففي بعضها: هو الهَرَم، وفي بعضها: هو الموت.

ومثلها الأحاديث التي تفيد أن النبي ﷺ كان إذا مرض يتداوى، وربما سأل الأطباء عن دواء مرضه، وكانت وفود العرب تصف له الأدوية، فكانت عائشة رضي الله عنها تعالج له تلك الأدوية أي تمزجها وتهيئها، ومن ثم كان لها علم بالطب.

ومنها حديث أبي رمثة أن النبي ﷺ قال لطبيب: «الله الطبيب، بل أنت رفيق، طبيبها الذي خلقها» (رواه أبوداود) هذا الحديث إقرار للعمل بالطب، وفيه التنبيه إلى قوى البرء المركبة في البدن الإنساني في أصل خلقته، وأن مهمة الطبيب الرفق بالمريض لإتاحة الفرصة لهذه القوى كي تعمل عملها.

الفئة الثانية: أحاديث فيها توجيهات شرعية متعلقة بعملية التداوي وشؤون المرضى، من ذلك حديث البخاري عن الصحابية رُبيِّع بنت معوذ، قالت: كنا نغزو مع رسول الله حتى نسقي القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة.



ففيه جواز مداواة المرأة للجرحى من الرجال.
ومنها أحاديث الأمر بعيادة المريض، وأن النبي ﷺ كان يعودهم، حتى «إن غلامًا ليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: أسلم. فأسلم» (البخاري). وكان إذا عاد المريض ربما وضع يده على جبهته، ومسح على صدره وبطنه. ودعا له. نقل البخاري أنه ﷺ فعل ذلك عندما زار سعدًا، وربما رقى المريض، ففي حديث عائشة كان النبي ﷺ إذا مرض أحد من أهله قال «أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا» (رواه الطبراني).
ومنها حديث النهي عن التداوي بالمحرمات، كحديث أنه ﷺ سئل عن الخمر يتداوى بها فقال «إنها ليست بدواء ولكنها داء» (صحيح الترمذي). وحديث «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم» (ابن حبان).
فهذه الأحاديث هي من قبيل الشرع؛ لأنه ﷺ ناط الحكم بمعنى شرعي، وهو التحريم، فما كان من المواد محرما لم يجز التداوي به، ولا يعني هذا أنه لا يجوز استعماله عند الضرورة، مع عدم وجود دواء آخر غير الدواء المحرم، بل إن الضرورة تبيح المحظور.
الفئة الثالثة: أحاديث أبطلت أنواعا من المعالجات كانت سائدة في الجاهلية، تنافي صحة الاعتقاد الإيماني؛ لأنها ليست أسبابا حقيقية للشفاء، منها «أن عبد الله الجهني الصحابي رضي الله عنه خرج به خُراج، فقيل له: ألا تعلق عليه خرزا؟ فقال: لو علمت أن نفسي تكون فيه ما علقته، ثم قال: إن نبي الله ﷺ نهانا عنه» (رواه ابن جرير وصححه).
ومنها قوله: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». (رواه أحمد وأبوداود والحاكم من حديث ابن مسعود). وحديث: «من علق تميمة فقد أشرك» (رواه الهيثمي وصححه الألباني)، والمراد بالرقى الرقى المجهولة، وما كانت الاستعاذة فيها بغير الله تعالى، بخلاف الرقية بالفاتحة والمعوذتين والأدعية المشروعة، والمراد بالتمائم الأحجبة التي تعلق على الأطفال والبيوت والسيارات ونحو ذلك، يزعم الجهلة أنها ترد العين، أو تمنع المرض والحوادث. والتولة شيء كانوا يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها.
الفئة الرابعة: أحاديث أمرت بأدوية ومعالجات ربطتها بأحكام تعبدية وشعائر دينية، من ذلك حديث أحمد والنسائي عن عائشة مرفوعا: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»، وفي صحيح البخاري أيضا «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة».
ومنها أحاديث الاسترقاء، منها ما في صحيح البخاري من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين جميعا، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده.
ومنها أحاديث الدعاء للمريض، كقوله ﷺ «اللهم رب الناس، أذهب الباس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما». ومنها حديث «داووا مرضاكم بالصدقة» (الألباني، صحيح الجامع).
الفئة الخامسة: أحاديث مبنية على النص القرآني، ومن ذلك أحاديث التداوي بالعسل.
الفئة السادسة: أحاديث فيها ذكر أدوية أو معالجات يخبر النبي ﷺ أنه علمها بطريق الوحي، أو إخبار الملائكة، أو أن الله يحبها، أو يكرهها، ونحو ذلك.
وإنما كان هذا النوع من الأدوية صحيحا ومشروعا لأنه منسوب إلى الله تعالى أو ملائكته، فمن ذلك أحاديث الأمر بالتداوي وأصل العمل بالطب.
ولا بد لاعتبار الأحاديث التي ضمت هذه الفئة الأخيرة حجةً في باب الطب من أحد أمرين
الأول: أن يكون الحديث على درجة عالية من الصحة؛ لأن تطبيقه على الأجسام الإنسانية قد يكون فيه ضرر كبير، فإن وقع الضرر فلا يكون للطبيب عذر أن يتبين كون العلاج مبنيا على حديث صحيح ظاهرا لكنه في الحقيقة موهوم أو مكذوب، ولذا أقترح ألا يعتبر حجة- من الناحية الطبية الصرفة- حديث ما لم يكن ثابتا على سبيل القطع، وهو الحديث المتواتر، أو على شبه القطع، وهو ما ورد من طريقين على الأقل، منفصلين، من أول السند إلى آخره، بحيث يعرف أنه لم ينفرد برواية الحديث راو واحد في أي طبقة من طبقات السند، حتى لو كان صحابيا.
الثاني: أن يخضع مضمون الحديث للتجارب الطبية تحت نظر الاختصاصيين، فإن ثبتت صلاحيته كفى، وتكون التجارب هي الحجة في ذلك.
النوع الثاني: وهو ما لا حجة فيه من أحاديث الطب وهو سائر الأحاديث النبوية الواردة في الطب والعلاج، وليس فيها ما يشعر أنها من قبل الله تعالى، أو أنها من قبيل الشرع، وقد وضح من القواعد المذكورة سابقا أن هذا النوع من الأحاديث ليس من قبيل التشريع، ونحن نذكر جملة من تلك الأحاديث على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر:
١- فمنها حديث مقدام بن معد يكرب عند أحمد والترمذي مرفوعا: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».
٢- ومنها أحاديث الحجامة، كما تقدم في الفئة السادسة من النوع الأول، إن لم يصح الحديث بأن الملائكة أمروا النبي ﷺ بها.
٣- ومنها حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم وأبي داود «من تصبّح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في

ذلك اليوم سم ولا سحر».
٤ - ومنها حديث ابن عباس مرفوعا، عند أحمد والبخاري ومسلم «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».
٥- ومنها حديث أبي هريرة مرفوعا عند أحمد والترمذي «العجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم، والكمأة من المن، وفيها شفاء للعين»، (وروى نصفه الثاني البخاري ومسلم وأحمد والنسائي مرفوعا من حديث سعيد بن زيد).
٦- وحديث أبي هريرة مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم، ومثله عند أحمد عن عائشة، وعند ابن ماجة عن عمر مرفوعا «في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» والسام الموت.
٧- ومنها حديث أحمد والبخاري وأبي داود عن أبي هريرة مرفوعا «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه، فإن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر دواء». زاد أحمد في رواية: «وإنه يتقي بجناحيه الذي فيه الداء، فليغمسه كله»، (وأخرجه كله أحمد والنسائي وابن ماجة من رواية أبي سعيد الخدري مرفوعا).
٨- ومنها الأحاديث الواردة في العدوى فمنها حديث أبي هريرة مرفوعا: «لا يُورِدَن ممرض على مصح»، (رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبوداود). الممرض هو الذي له إبل مريضة، نهاه أن يوردها على الإبل الصحيحة. ومنها حديث أبي هريرة عند البخاري أن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة».
٩- ومنها أحاديث الطاعون، كحديث أسامة بن زيد وعبدالرحمن بن عوف عند البخاري «إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها» (رواه مسلم).
١٠- ومنها حديث عند الإمام أحمد مرفوعا «إن في أبوال الإبل وألبانها شفاء».
فهذه الأحاديث المذكورة في هذا النوع الثاني، ونحوها من الأحاديث التي تدخل في صلب الأمور الطبية والعلاجية، لا ينبغي أن تؤخذ حجة في الطب والعلاج، بل مرجع ذلك إلى أهل الطب، فهم أهل الاختصاص في ذلك، وقد يتبين في شيء من هذه الأحاديث الخطأ من الناحية الطبية الصرفة، وكما قال القاضي عياض: ليست في ذلك محطة ولا نقيصة، لأنها أمور اعتيادية يعرفها من جربها.



لكن قد يبدو لبعض أهل العلم في شيء منها ملحظ صحيح يكون قرينة على أنها تشريع، فتخرج بذلك عن أن تكون من هذا النوع الثاني، وتدخل في النوع الأول، وتعتبر حجة في باب الطب، كما ظهر لنا في الفئات الست. والله أعلم.

إثبات فاعلية هذه الأدوية والمعالجات

إنه وإن قلنا في أحاديث هذا النوع الثاني وأمثالها: إنها ليست حجة في الأمور الطبية، فإنه لا ينبغي مع ذلك اطراحها بالكلية، بل ينبغي أن تثير احتمالا بالصحة، كسائر الأقوال الطبية المأثورة عن أهل التجارب والمعرفة من غير أهل الاختصاص، بل هي أولى منها، للشبهة في أنها قد تكون مبنية على الوحي، ولو كانت شبهة ضعيفة، ولا يخفى ماذا حدث في الطاعون المتقدم ذكره من الحكمة البالغة التي يؤيدها الطب الحديث كل التأييد.
ولذا أرى أن تخضع للتحليل وللتجارب على الأسس المتعارفة عند أهل الاختصاص، فإن وجدت صالحة أدخلت حيز العمل، ويكون التحليل والتجريب هو الحجة في صلاحيتها، دون كونها مما ورد عن النبي ﷺ، خاصة أن الكثير منها لا يثبت من حيث الرواية بطريق القطع أو شبهه على الوجه الذي تقدم بيانه.

تناول الأدوية المأثورة على أساس الاعتقاد الإيماني

ذكر ابن خلدون رحمه الله بعد كلامه الذي نقلناه سابقا حول كون الطب المنقول في الشرعيات عن النبي ﷺ لا ينبغي أن يحمل على أنه مشروع، قال: «... إلا إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني، فيكون له أثر عظيم في النفع، وليس ذلك في الطب المزاجي، وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية».
وقال ابن حجر «استعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله، ويدفع الله عنه الضرر بنيته، والعكس بالعكس».
والذي اختاره د.محمد الأشقر أنه لا شك أن من فضائل النبي ﷺ أنه يجوز التبرك بآثاره، والاستشفاء بها، لكن هل يكون ما ورد عن النبي ﷺ من المعالجات الطبية هو من جنس آثاره وملابسه ونحو ذلك، حتى يستشفى بها ويتبرك بها؟ يبدو أن في هذا نظرًا (أي ضعفًا)، فإنه لما ثبت أن النبي ﷺ نبه على أن ما يصدر عنه في مثل ذلك هو مجرد رأي يراه، وأنه بشر يخطئ ويصيب، وأن ما حدث به من قبل نفسه فهم أعلم بدنياهم، فكيف يتساوى ما نبه على عدم نفعه من الشؤون التي قالها من عند نفسه، مع ما أذن فيه من التبرك بآثاره ﷺ؟!
ثم إن الصحابة الذين تركوا تأبير النخل إنما تركوه تصديقا لرسول الله ﷺ وإيمانا به، وعملا بقوله، ومع ذلك خرج ثمره ذلك العام شيصا، أي تالفا غير صالح، ولم يأت إيمانهم وتصديقهم كافيا ليصلح به الثمر؛ لأنه ليس في الحقيقة سببا لذلك، فكذلك هذه الأمور الطبية الصرفة، هي من صميم الأمور الدنيوية، لا يكفي فيها مجرد الإيمان- التصديق- مع كونها ليست أسبابا في حقيقة الأمر.
وأما القياس على الشفاء القرآني بالمواعظ فهو قياس فاسد، فإن مواعظ القرآن من لم يصدق بها لا يستمع إليها، وإن استمع إليها فإنه لا يقبلها ولا يعمل بها، فكيف تنفعه؟ كالدواء المادي إذا لم يتناوله المريض لا ينفعه، أما إن تناوله فإن تأثيره في الأجسام لا يختلف بالتصديق وعدمه.



تراث العرب في الطب.. أباطيل وحقائق

مصطفى يعقوب

لم تتعرض حضارة أمة من الأمم لتشويه متعمد وهجوم ضار من قبل مؤرخي الغرب ومستشرقيه، مثلما تعرضت الحضارة العربية الإسلامية. وقد أخذ هذا التشويه وذلك الهجوم صوراً شتى وأنماطاً مختلفة عبر محاور عديدة، لعل أبرزها المحور العلمي. ويتلخص هذا المحور في نظر المؤرخين والمستشرقين - عدا فئة محدودة منهم تميزت بقدر من الحيدة والتجرد من الهوى - أن الحضارة العربية الاسلامية لم تؤثر في قليل أو كثير في مسار تاريخ العلم الانساني العام، لأن العرب بطبيعتهم لم يخلقوا للتفكير الاصيل المبتكر (١)، بل تمادى بعضهم في شدة الهجوم فوصف الانتاج العلمي العربي بالبربرية والجهالة (٢). وكان من نتائج هذا الهجوم ان اسقطت فترة الحضارة العربية الاسلامية من تاريخ العلم. فقد قسم فريق منهم العصور العلمية الى عصرين رئيسيين، الأول العصر الاغريقي ويمتد من سنة ٦٠٠ ق.م. أما العصر الثاني فهو عصر النهضة الأوروبية الحديثة التي تبدأ من سنة ١٤٥٠م (٣). ويذهب مؤرخ آخر الى ان اهمية العرب في تاريخ العلم أنهم حفظوا تراث القدماء من اليونان والفرس والهنود حيث يقول: «يتفق الناس عامة على ان العصور الوسطى - يقصد عصر الحضارة العربية الاسلامية - حفظت علم القدماء لاستخدامه في الازمنة التالية. والواقع ان هضم الثقافة العلمية واقتباسها من اقوام غرباء - يقصد العرب - تفصلهم عن الغرب في ذلك الحين مسافات بعيدة، كان كسباً عظيماً. ولكن الامر لا يتجاوز هذا الحد. ان الذي تسلمته العصور الوسطى لم تزد عليه الا قليلاً. والواقع ان مشاركة اهل العصور الوسطى في تطوير العلم بلغت من الضآلة حداً جعل مؤرخي العلم يميلون الى اعتبار العصور الوسطى فترة توقف» (٤).

ولقد أثارت هذه النظرة الجائرة حيال العلم العربي عدداً من مؤرخي الغرب ومستشرقيه الذين توفروا على دراسة الانتاج العلمي العربي فاتصفوا بقدر من الحيدة والموضوعية. ومن ثم فقد حاولوا رد هذه الافكار وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي لحقت بالعلم العربي، تقول المستشرقة الالمانية زجريد هونكه Z.Honke في كتابها الشهير «شمس العرب تسطع على الغرب»: يخيل الى ان الوقت قد حان للتحدث عن شعب - تعنى العرب - قد أثر بقوة على مجرى الأحداث العالمية ويدين له الغرب كما تدين له الانسانية كافة بالشيء الكثير، وعلى الرغم من ذلك فان من يتصفح مائة كتاب تاريخي لا يجد اسماً لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها.

ويبدو ان تلك القضية قد شغلت تفكير عدد من المؤرخين، يقول مونتجمري وات M.watt في كتابه «فضل الإسلام على الحضارة الغربية»: إن السؤال المهم الذي يخطر بالذهن عند التحدث عن انجازات العرب في ميادين العلم والفلسفة هو الى اي حد كان العرب مجرد نقلة لما اكتشفه اليونانيون؟ والى اي حد بلغت انجازاتهم المبتكرة؟ ويبدو ان الكثيرين من الباحثين الاوروبيين يطرقون الموضوع مع بعض التحيز ضد العرب، بل إنه حتى أولئك الذين يمتدحونهم، إنما يفعلون ذلك وكأنما يضنون عليهم بالثناء.

أباطيل وحقائق

وعلى الرغم من الجهل الواضح بتراث العلم العربي، فقد دأبت فئة من المؤرخين على اسقاط فضل العرب واسهامهم الفعال في عدد من العلوم، ان لم يكن اغلب العلوم، واذا جاز لنا ان نتخير مثالاً على مدى الاجحاف الذي لحق بالعلم العربي، فاننا سوف نتخذ من الطب العربي شاهداً حيث يغني الشاهد الواحد عن شواهد كثيرة، قد لحق بها ظلم كبير ليس عن جهل فحسب، وانما - وهذا هو المهم في الامر - عن سوء قصد ونية مبيتة حيال العرب وعلم العرب.

وعلى سبيل المثال فان جوستاف جرونيباوم Grunepaum G يرى ان الطب لدى المسلمين كان عالة على طب الاغريق حيث يقول «أما العلوم الطبية فإنها لم تعالج قط بدرجة من الاستقلال تسمح بفحص الهيكل النظري الذي فرضه عليها الاقدمون - يقصد بذلك الاغريق - وكان أذكى الباحثين من الاطباء المسلمين يقبلون على ما خلفه الاغريق من علوم التشريح والفسيولوجيا (علم وظائف الاعضاء) والباثولوجيا (علم الامراض) قانعين بتصحيح بعض التفاصيل، وكانت رغبتهم في بدء البحث تكاد تكون غير معروفة (٥).

وقد شايعه فيما ذهب اليه مؤرخ آخر وهو كراوذر Krawther اذ يقول: «وكانت الزيادات التي اضافها المسلمون الى التشريح وعلم وظائف الاعضاء قليلة، وذلك لان الإسلام حرم تشريح جسم الانسان والحيوان مما منعهم من اجراء التجارب الفسيولوجية والكشف عن اخطاء جالينوس. وفي الواقع لم يضيفوا شيئاً. وكانت اضافتهم ضئيلة في علم النبات» (٦). ويكرر المؤلف هذه النظرة حيال العلم العربي التي ظاهرها المدح وباطنها القدح، اذا يقول في موضع آخر: «وأجل خدمة اداها المسلمون الى العلم، احياء علوم الاغريق، كما انهم اضافوا كثيراً الى العلوم الرياضية والكيمياء، ولكن كانت إضافتهم في الفلك والطب اقل مما في علمي الهندسة والطبيعة وعلم الحياة التجريبي» (٧).

نخلص من هذه لنقول، ان الطب شأنه في ذلك شأن كثير من العلوم التي برز فيها العرب، وافاضوا من ابداعهم العلم الذي تميز بقدر كبير من الاستقلال عن الاغريق، غير أن هذا الابداع العلمي لم

يحظ بغير التجاهل المتعمد في اغلب الاحيان. والدليل على ذلك ما كتبه الدكتور ادوارد براون E. Browne ضمن فصول كتابه «الطب العربي» حيث خرج عن حدودالعنوان، ليدخل في قضايا فرعية استغرقت معظم صفحات الكتاب مثل: من هم العرب؟ وهل كان العرب من ذوي الحضارة، أم أنهم مجرد نقلة لحضارات اليونان والفرس والهنود؟ وهل كان الطب العربي طبا عربيا ام اسلاميا؟...الخ. الأمر الذي حدا بالمترجم أن يخصص فصلاً كاملا للرد على ما ورد في الكتاب من آراء وقضايا ابتعد فيها عن جادة الصواب (٨).

ولأن تاريخ العلم لا يعدم باحثين قد توفروا على دراسة التراث العلمي العربي - بقدر أو بآخر- فأبانوا أصالة الانتاج العلمي للعلماء العرب، وكشفوا عن قدر كبير من فضل سبقهم في ميادين شتى من العلم، وسوف نحاول في النقاط التالية أن نرد على تلك المزاعم التي تجرد العرب من أي قيمة علمية، من خلال أقوال عدد من المؤرخين الغربيين أنفسهم، باعتبارها شهادة من الغير:

شهادات منصفة

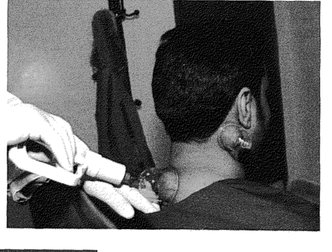
١- يقول مونتجمري وات في كتابه «فضل الإسلام على الحضارة الأوروبية»: وبلغ العديد من المسلمين شأوا بعيدا في الإلمام بعلم الطب، لدرجة أنهم بزوا أسلافهم بمراحل، وانما تحقق لهم هذا اذ جمعوا بين المعرفة النظرية الواسعة والمران العملي الذي دونوا أثناءه الملاحظات الثاقبة الدقيقة، ويكفي ان نشير هنا الى اشهر طبيبين: وهما الرازي وابن سينا، فلا يزال للرازي (توفي بين عامي ٩٢٣ و ٩٣٢ بين ايدينا اكثر من خمسين مؤلفاً، من افضلها رسالة في الجدري والحصبة، ترجمت الى اللاتينية واليونانية والفرنسية والإنجليزية، واعظم كتبه هو كتاب «الحاوي» الذي كان موسوعة لكل المعارف الطبية في زمنه، وقد عرض بصدد كل مرض آراء المؤلفين اليونانين والشاميين والهنود والفرس والعرب، مضيفا ملاحظاته من خلال تجاربه العملية، ومعبراً في الختام عن وجهة نظره.

أما المؤلف الشهير الثاني فهو ابن سينا (توفي عام ١٠٣٧) وكتابه الكبير «القانون في الطب» يعتبر بحق - على حد تعبير مايرهوف M. Meyerhof ذروة التصنيف المنهجي العربي وروائعه، وقد ترجم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وظل يهيمن على الدراسات الطبية في أوروبا حتى نهاية القرن السادس عشر على أقل تقدير، وفي القرن الخامس عشر صدرت منه ست عشرة طبعة، في حين صدرت منه عشرون طبعة في القرن السادس عشر، وطبعات أخرى في القرن السابع عشر.

العرب أبدعوا في ابراز الطب بالطرق العلمية غير أنهم لم يحظوا بغير التجاهل المتعمد من قبل مؤرخي الغرب ومستشرقيه

ولم يمض زمن طويل على وفاتهما حتى ظهر كاتب مبتدع، هو أبوالقاسم الزهراوي (المتوفي بعد عام ١٠٠٩) وتعتبر كتاباته في الجراحة والأدوات الجراحية المساهمة العربية البارزة في هذا الميدان الطبي (٩).

٢- من الثابت أن الطب قد حظي بقدر كبير من الاهتمام في الحضارة العربية الإسلامية فمن يرجع الى كتاب «طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة سوف يجد عشرات الأسماء اللامعة في سماء الطب العربي ومئات المؤلفات الطبية التي عرف معظمها طريقه الى أوروبا حيث ترجمت الى اللاتينية ومنها الى سائر لغات أوروبا. وكان من فرط اهتمام العرب بالطب، إنشاء المستشفيات في الحواضر الإسلامية وعقد الامتحانات للطلاب الراغبين في ممارسة الطب، يقول شارل سورنيا ch. sournia في كتابه «تاريخ الطب»: ففي سنة ٩٢٢ فرض الخليفة المقتدر امتحانا تمهيديا قبل ممارسة مهنة الطب، وأوكل الى احد اطبائه مهمة تنظيم هذه الامتحانات، وكان بامكان التلاميذ التدرب على المهنة سواء بتلقي العلم على يد معلم يدفعون له او بالتردد على مدرسة طبية.



ويحصي ابن بطوطة الذي طاف العالم من طنجة الى الصين في القرن الرابع عشر أربعة وثلاثين مستشفى في الشرق نستطيع زيارة بعضها الى الآن في بغداد وحلب والقاهرة. أما الخليفة في قرطبة فقد كان له وحده أربعون مستشفى لم يتبق منها أي شيء تقريبا.

وكان الاطباء المؤهلون يعالجون المرضى داخل هذه المنشآت، وكان التلاميذ بعد اختيارهم يقومون بفحص المرضى ثم يُسلمونهم الى مساعدين اكثر خبرة قبل ان يؤكد المعلم صواب الشخيص ويصف العلاج المناسب، وفي حين انشأ العالم الاسلامي- خلال اربعة قرون- مستشفيات ذات طابع تعليمي، انتظر الغرب المسيحي حتى القرن الثامن عشر لكي ينشئ مثلها (١٠).

٣- يذهب مؤرخ شهير مثل هـ. ج. ويلز H. G. Wells مذهبا يناقض تمام المناقضة ما ادعاه جرونيباوم بأن الطب العربي كان عالة على طب الإغريق، ويكاد علم الاقرباذين (المادة الطيبة) لديهم أن يكون هو نفس ما لدينا، ولا يبرح كثير من طرق العلاج عندهم مستعملا بين ظهرانينا الى اليوم، وكان جراحوهم يفهمون استعمال التخدير ويقومون بطائفة من اصعب العمليات المعروفة، وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الكنيسة تحرم ممارسة الطب انتظاراً منها لاتمام الشفاء على يد المناسك الدينية التي يقوم بها

القساوسة. كان لدى العرب عِلْمٌ طبيّ (١١).

٤- أما عن جالينوس الذي يزعم كراوذر ان العلماء العرب لم يكتشفوا أخطاءه، فإن من يقرأ اسفار التراث العربي في الطب وغيره من المؤلفات التي تتعرض لجالينوس، فسوف يجد ان جمهرة كبيرة من العلماء العرب قد تناولوا أخطاءه بالنقد تارة وبالتصحيح تارة أخرى. فمن هؤلاء العلماء، البيروني الذي نقد جالينوس في سخرية مريرة قائلا: «وذكر جالينوس حية سماها ملكة الحيات، من رآها أو سمع صفيرها يموت مكانه، فليت شعري من أخبر بمكانها أو أخبر أمرها إذا كان المطلع عليها ميتا»(١٢).

ومن بين العلماء العرب الذين كشفوا اخطاء جالينوس، عبداللطيف البغدادي في كتابه المشهور «الافادة والاعتبار» يصف فيه تلا من جماجم الموتى لمجاعة حدثت في مصر فيقول: «فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها، ما افادنا علما لا نستفيده من الكتب، اما انها سكتت عليها او لا يفي لفظها بالدلالة عليه او يكون ما شاهدناه مخالفا لما قيل فيها، والحس اقوى دليلاً من السمع، فان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره ويحكيه، فان الحس اصدق منه.

ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرجا ان امكن، فمن ذلك عظم الفك الاسفل، فان الكل قد اطبقوا - اي اجمعوا - على انه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك، وقولنا الكل، انما نعني به هاهنا جالينوس وحده، فانه هو الذي باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عينه، وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا، والذي شاهدناه من حال هذا العضو، انه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز اصلا، واعتبرناه - اي فحصناه - ما شاء الله من المرات في اشخاص كثيرين تزيد على ألفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجده الا عظما واحدا من كل وجه، ثم اننا استعنا بجماعة اعتبروه - اي فحصوه - بحضرتنا وفي غيبتنا، فلم يزيدوا على ما شاهدناه منه.... الخ» (١٣).

ويعلق د. توفيق الطويل على هذا النص بقوله: ان البغدادي قد رفض جالينوس مع شهرته ومكانته مصدراً للحقيقة، وهذه ظاهرة لم تعرفها أوروبا الا في مطلع عصورها الحديثة، وانه حرص على ان يستقي حقائقه من مشاهداته وحدها، وانه قد توخى أن يكرر خبرته الحسية ولا يتعجل في اصدار حكم لا تبرره مقدماته، وزاد فاستعان بغيره من العلماء في مشاهدة ما شاهده بنفسه خشية ان يكون قد أخطأ.

وشبيه بهذا موقف ابن النفيس، اول من كشف الدورة الدموية الرئوية في تاريخ الطب، فقد تحرر من سيطرة جالينوس وابن سينا مع فرط اعجابه بأولهما، وباشر التشريح بنفسه، برغم انه كان يزعم انه لم يباشره عملا بالشريعة، وفي عباراته يشهد بما نقول (١٤).

٥- ويلخص المستشرق الفرنسي جوستاف لو بون j.le Bon دور الحضارة العربية الاسلامية في النهوض بعلم الطب وأثره في أوروبا فيما بعد، إذ يقول في فصل خاص بعنوان «العلوم الطبية» وذلك في كتابه الشهير «حضارة العرب»: «يعد الطب والفلك والرياضيات والكيمياء أهم العلوم التي عني بها العرب، وأتم العرب أعظم اكتشافاتهم في هذه العلوم، وترجمت مؤلفات العرب الطبية في جميع أوروبا، ولم يتلف قسم كبير منها كما أصاب كتبهم الأخرى.

ويعد الرازي من أشهر أطباء العرب، فقد وضع آثار من ظهر قبله من الاطباء على محك النقد الشديد فوق فراش المريض، وكان واسع الاطلاع على علم التشريح، وكان كتابه في أمراض الأطفال اول كتاب بحث في هذا الموضوع، ويرى في كتبه وسائل جديدة في المداواة، كاستخدام البارد في الحميات المستمرة الذي اخذ به علم الطب الحديث.

وترجمت أكثر كتب الرازي الى اللغة اللاتينية وطبعت عدة مرات، ولاسيما في البندقية سنة ١٥٠٩م، وفي باريس سنة ١٥٢٨م، وسنة ١٧٤٨م، وأعيد طبع كتابه في الجدري والحصبة سنة ١٧٤٥م، وظلت جامعات الطب في اوروبا تعتمد على كتبه زمنا طويلا، وكانت كتبه مع كتب ابن سينا، أساساً للتدريس في جامعة «لوفان» في القرن السابع عشر من الميلاد.

مطالب اليوم

نخلص من هذا لنقول: ان العرب مطالبون اليوم أكثر من أي وقت مضى بالدفاع عن هويتهم وعقيدتهم، فقد دلت الحوادث المعاصرة على ان الغرب قد استعاد ذاكرة الحروب الصليبية في ذهنه واسترجعوا ما كتبه المستشرقون الذين يناصبون العرب والاسلام العداء وما أكثرهم، فأصبح الهجوم على العرب كأمة وعلى الاسلام كعقيدة جزءاً اساسياً من ثقافة الغرب وادبياته التي نطالعها صباح مساء في صحفه وكتبه، لذلك كله يجب ان نكون اكثر انصافا لانفسنا، فما افادته اوروبا من الحضارة العربية الاسلامية ليس بالقليل، ولعل البداية الحقيقية تتمثل في بيان ما اسداه العرب للحضارة الانسانية من خلال العكوف على التراث العلمي العربي درسا وبحثا وتحليلا، وليس ابتغاء وجه الحقيقة فحسب، وانما لتصحيح المفاهيم الخاطئة التي لحقت بدور العرب في تاريخ العلم الانساني العام، وهو تاريخ يوشك أن يكون مجهولا، لا في الغرب نفسه، بل - وللأسف الشديد - يوشك ان يكون مجهولا لدى الغالبية من النشء العربي.

ولعل ما سطرناه هو جزء يسير من فيض غزير مما ابدعه العلماء العرب، وقد حرصنا على ان نستشهد بما كتبه بعض المستشرقين الذين توفروا على دراسة مؤلفات العلماء العرب، واستبان لهم حجم العطاء العلمي للحضارة العربية الاسلامية كرسالة موجهة للنشء العربي كي يكونوا خير خلف لخير سلف.

الهوامش

١- في تراثنا العربي الإسلامي، د. توفيق الطويل ٨٥.

٢- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، د. عبدالحليم منتصر، ص ٨٢١.

٣- المصدر السابق، ص ٥١.

٤- موجز تاريخ العلم، لفيف من الباحثين، ترجمة د. عزت عبدالرحمن شعبان، ص ٥١.

٥- حضارة الاسلام، جوستاف جرونيباوم، ترجمة عبدالعزيز جاويد، ص ٠٣٤.

٦- صلة العلم بالمجتمع، ج. كراوذر، ترجمة حسن خطاب، ص ٢٧١.

٧- المصدر السابق، ص٦٧١.

٨- الطب العربي، ادوارد براون، ترجمة د. داود سلمان علي، ص ٩١١ - ٠٣١.

٩- فضل الاسلام على الحضارة الاوروبية، مونتجومري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص ٤٥.

١٠- تاريخ الطب، جان شارل سورنيا، ترجمة د. ابراهيم البجلاتي، ص ١٩.

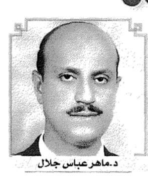
١١- معالم تاريخ الانسانية، هـ . ج. ويلز، ترجمة عبدالعزيز جاويد، ج٢ ص ١٣٨.

١٢- الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني، تحقيق سالم الكرنكوي، ص ٩٩.

١٣- الإفادة والاعتبار، عبداللطيف البغدادي، تقديم د. عبدالرحمن الشيخ، ص ٩٤١.

١٤- في تراثنا العربي الاسلامي، مصدر سابق، ص ٠٢.

نعمة الألم بين الطب والدين



د.ماهر عباس جلال

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمه الوفيرة، فقال سبحانه ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ (إبراهيم: ٣٤) وقد يكفر الإنسان ببعض هذه النعم جاهلاً أو غافلاً، إذ قد يبدو الشيء في ظاهره نقمة لكنه في حقيقته نعمة، ومن الألم ما له وجهان، ونحن قد لا نرى إلا وجهاً واحداً منهما فقط، وهو جانب الشقاء والعذاب.

و يعرف أهل اللغة الألم بأنه الوجع (١)، أما عند الفلاسفة فهو «حالة نفسية يصعب تعريفها، وتتميز بإحساس مادي أو معنوي بعدم الراحة أو بالضيق أو المضض» (٢). ويرجع السر في تعريف حالة الألم إلى كون الألم إحساساً شخصيا إلى حد كبير، فالاصابة مثلا التي تسبب ألماً حاداً لأحد الأشخاص قد تسبب ألما أخف لشخص آخر (٣).

وأحياناً يكون الألم عند بعض الناس متضخماً، فيبدو أكبر من أسبابه (٤).

والألم في الطب «إحساس مرهق يتسبب عن تنبيه نهايات عصبية ميكروسكوبية تختلف عن سواها من النهايات الحساسة بكونها عارية» (٥).

أسباب الألم

تتنوع الآلام، فبعضها بدني مادي، والآخر نفسي. أما الأسباب الجسمية المادية فنحو الجوع، والعطش، والجروح، والحروق... إلخ، وأما الأسباب النفسية فمثل: القلق والهم، والمخاوف... إلخ (٦) والناس عادة ما يقرنون الألم بالإصابات البدنية أو المرض، متناسين أن الأحاسيس أو العواطف يمكن أن تسبب ألما أيضاً، فالإزعاج على سبيل المثال- يمكن أن يسبب توتراً مؤلماً في عضلات الرقبة (٧).

وأحياناً تبدو بعض الآلام مجهولة السبب، مثل: الألم العصبي، والألم العضلي للالتهاب الدماغي النخاعي (٨).

ولا شك أن تحديد سبب الألم ومعرفة مصدره بدقة من الأمور الضرورية لعلاج الألم أو الوقاية منه مستقبلاً، وإن كان يصعب أحياناً تحديد مصدر الألم، وأحياناً يلتبس على المريض تحديده، فالمريض مثلا بالذبحة الصدرية لا يشعر بالألم في قلبه، بل يشعر به في ذراعه اليمنى، أو في رقبته، أو مقدم صدره (٩)، وهذه الآلام المجهولة السبب أو المصدر من أخطر أنواع الآلام، فقد تتحول الى آلام مزمنة تهدد راحة الإنسان زمناً طويلاً.

أنواع الألم

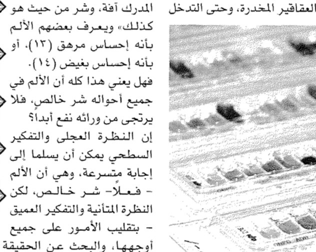
تتنوع الآلام حسب شدتها أو ضعفها، وكذلك حسب مدتها الزمنية.

أ- أنواع الآلام حسب الشدة والضعف

تنقسم الآلام حسب شدتها وضعفها الى آلام ضعيفة، وآلام متوسطة، وأخرى حادة.

ب- أنواع الآلام من حيث المدة الزمنية

وتنقسم الآلام - حسب المدة الزمنية- الى آلام قصيرة الأجل، وهذه تزول بمجرد السبب أو المؤثر، وغالباً ما تكون حادة (١٠)، وآلام مزمنة تدوم وقتا طويلاً وتعاود صاحبها كل فترة زمنية، وهذا النوع من الآلام يعد من أخطر أنواع الآلام، وذلك لأنه يصعب علاجه بصورة نهائية، مثل أنواع معينة من السرطان، والتهاب المفاصل، كما انه يقاوم العلاج، وقد يؤدي إلى انهيار عقلي أو الى إدمان العقاقير المخدرة، وحتى التدخل الجراحي في مثل هذه الآلام قد لا يكتب له النجاح (١١). ويدخل المريض الذي يعاني من هذه الآلام المزمنة في دوامة متصلة من الآلام، فتوقعه للآلام وانتظاره لها يسبب له آلاماً نفسية ريثما تعاوده الآلام المزمنة مرة اخرى. وهكذا تصبح حياته عبارة عن سلسلة من الآلام المتصلة يسلم بعضها إلى بعض.



هل الألم شر خالص؟

يقرن كثير من الناس الألم بالشر والإحساس بالبغض أو الكره، ويتضح هذا في تعريف التهانوي للألم، حيث يقول «الألم إدراك ونيل لما هو عند المدرك آفة، وشر من حيث هو كذلك» ويعرف بعضهم الألم بأنه إحساس مرهق (١٣)، أو بأنه إحساس بغيض (١٤).

فهل يعني هذا كله أن الألم في جميع أحواله شر خالص، فلا يرتجى من ورائه نفع أبداً؟

إن النظرة العجلى والتفكير السطحي يمكن أن يسلما إلى إجابة متسرعة، وهي أن الألم - فعلاً- شر خالص، لكن النظرة المتأنية والتفكير العميق - بتقليب الأمور على جميع أوجهها، والبحث عن الحقيقة من جميع وجوهها- يثبتان عكس

ذلك، فالله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء، والألم شيء من الأشياء، ومن صفاته - سبحانه - أنه حكيم خبير، بتقليب حكمة الله ألا يخلق الشيء عبثاً من دون نفع أو جدوى، فمن المؤكد إذن ان ثمة منفعة من ورائه للبشر علمها من علمها وجهلها من جهلها، وما علينا إلا أن نتريث ونتأمل هذه الآلام، وندرسها بشيء من المثابرة والتعمق، لنعرف ثمارها وفوائدها أو الحكمة منها.

فوائد الألم

إن الحديث عن فوائد الألم متشعب، وذلك أن فوائد الألم متنوعة، بعضها مادي، وبعضها نفسي معنوي، وبعضها يتحقق للفرد، وبعضها يتحقق للجماعة أو الأمة، وأبرز هذه الفوائد

١- الألم ذو فائدة بيولوجية، فهو بالرغم من أنه إحساس غير مرغوب فيه يشبه ناقوس الخطر، ويؤدي الى أعمال عصبية انعكاسية تهدف الى حماية الجسم من المؤثر الخارجي أو الداخلي الذي قد يتلف الأنسجة، فضلا عن أن الألم يجبر الإنسان على الراحة وعلى استشارة الطبيب، مما لا يترك الفرصة للمرض حتى يستفحل وحينئذ يصعب علاجه (١٥).

فبذا يكون الألم وقاية للإنسان من آلام أكبر، هذا بالنسبة للألم المادي.

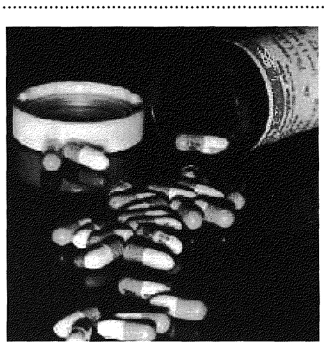
وكذلك الحال بالنسبة للألم النفسي، فإن الألم النفسي الناشئ عن خوف العبد من عذاب الله يقيه من وقوع العذاب الأليم به في الدنيا أو الآخرة، ومن ثم نرى أن العذاب وصف بكلمة «أليم» في القرآن الكريم في اثنين وسبعين موضعاً (١٦).

٢- الألم ذو فائدة دينية عظيمة، فهو ابتلاء، والابتلاء مع الصبر نعمة تستوجب الشكر، فيطهر الله به الإنسان من الآثام والذنوب، بل ان الله اذا أحب عبداً واصطفاه ابتلاه، وأشد الناس بلاء هم الأنبياء، فعن معصب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» (صححه الترمذي).

فالألم يصهر معدن الإنسان المسلم، فتصفو روحه، ويزكو خلقه، وتطهر نفسه، فألم الابتلاء سبيل إلى لذة التقوى ونعيم القرب من الله، وهل يبرق الذهب إلا إذا ذاق آلام النار؟!

٣- الآلام قد تصحح مسار الإنسان المسلم، وتفيقه من غفوته، فيرجع عن سالف عهده من الذنوب والمخالفات، فمن رحمة: الله أنه جعل الآلام نذيراً لخطر داهم وعقوبة شديدة، فإذا أفاق العبد وتضرع إلى الله رفع عنه الضر، قال سبحانه ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون﴾ (الأعراف:٩٤).

فإذا لم يفقه المسلم حكمة الله في هذا البلاء، وتمادى في غيه،



حقت عليه كلمة العذاب، قال عز من قائل ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون. فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ (الأنعام: ٤٢-٤٥).

٤- الألم قرين الإحساس، والإحساس آية الحياة، ولا يمكمن أن تتصور حياة خالية من الإحساس، فأنا أتألم إذن أنا موجود، فمن أراد أن يعش بلا ألم ومعاناة، فقد اختار لنفسه الموت لا الحياة، فأنا موجود إذن لابد أن أتألم. وقد خلق الإنسان في كبد ونصب كما قال سبحانه مقسماً ﴿لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد. ووالد وما ولد. لقد خلقنا الإنسانَ في كبد﴾ (البلد: ١-٤).

٥- الآلام تربي فينا نعمة الإحساس بالآخرين، فنقدم لهم يد العون والمساعدة، فيتحقق بذلك التكافل الاجتماعي، فالغني يتألم للفقير فتكون الصدقة والزكاة، والمقتدر يتألم للمعوزين فتكون المشروعات الخيرية، والقوي يتألم للضعيف فيكون العون والمساعدة، والعالم أو المخترع يتألم لمأساة مجتمعه ومعاناته فتكون الاختراعات والاكتشافات العلمية، وهكذا.

٦- الآلام تقوي العزيمة والإرادة، وتثبت دعائم الرجولة الحقة، فيكتسب المسلم حصانة من آلام الحياة، ويستمد من مقاومتها قوة وصلابة يستطيع بها مواجهة صعوبات الحياة وظروفها القاسية، فألم الإخفاق يبصر صاحبه بطريق النجاح، وألم القهر والتسلط يدفع صاحبه الى البحث عن طريق الحرية، وألم الندم على المعصية يقود الى لذة الطاعة، وألم الفقر يخطو بصاحبه صوب الغنى والثراء.

ولا غرو إذا علمنا أن الأعمال الشاقة تزيد المرء قوة وقدرة على تحمل الأعباء، ولنا في أنبياء الله أسوة، فإدريس عليه السلام كان خياطاً (١٨)، ونوح كان نجاراً (١٩) وداود كان حداداً (٢٠)، وموسى كان راعياً للغنم (٢١)، كما كان محمد ﷺ راعيا للغنم كذلك، مع ما في الرعي من تعلم الصبر وتعود حسن سياسة الرعية، قال ﷺ في الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» (صحيح البخاري).

٧- تسهم الآلام في صنع مستقبل الشعوب وقيام حضاراتها، فكثير من الأمم عانت آلام التخلف والفوضى ردحاً من الزمان، فما كان منها إلا أن تحسست خطاها نحو العلم والحضارة، مثل أوروبا كانت تعيش في ظلام دامس في العصور الوسطى، ثم ما لبثت أن قامت الثورة الصناعية ثم الحضارة الغربية التي يزهو العالم بها اليوم، وكثير من الدول عانت آلام الذل والاستعمار، فكان ذلك سبباً في سعيها لاسترداد حريتها ونيل استقلالها، مثل جنوب إفريقيا في ظل الحكومة العنصرية، فهي حرية حمراء مقرونة بدماء الشعوب كما قال شوقي:

وللحرية الحمراء باب

بكل يد مضرجة يدق (٢١)

وعندما تعاني الشعوب ويلات الحروب وآلامها، تسعى جاهدة إلى السلام والوئام، فإذا كان الإيلام لطرفي النزاع معاً، كان السلام رغبة مشتركة بينهما، أما إذا كان السلام من طرف واحد وهو الذي يحس بالإيلام الحقيقي، فهو استسلام وإذعان.

الألم نعمة يثاب عليه الإنسان المسلم وباعثاً للهمم ومحركاً للطاقات البناءة ومثيراً للعقول المبدعة

متى يكون الألم نعمة؟

الألم يمكن أن يكون نعمة لصاحبه، كما يمكن أن يكون نقمة عليه، شأنه في هذا شأن كثير من الأحاسيس والمشاعر، فمتى يكون الألم نعمة؟

يمكن للألم أن يكون نعمة إذا توافرت فيمن أبتلي به بعض الشروط الضرورية، وهي:

١- الإيمان بالقضاء والقدر، وبأن هذه الآلام من قضاء الله وقدره، قال تعالى ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم﴾ (التغابن:١١)، وقال سبحانه ﴿وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً﴾ (النساء:٧٨).

٢- التحلي بالصبر، فإن ذلك من عزم الأمور قال سبحانه، على لسان لقمان واعظاً ولده ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (لقمان:١٧). والصبر على آلام الابتلاء عاقبته خير، فهاهو موسى يوصي قومه بالصبر على أذى فرعون وآله، ليورثهم الله الأرض من بعدهم، قال سبحانه ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ (الأعراف: ١٢٨).

وأيوب عليه السلام لما صبر على الآلام والمرض والابتلاء، جعل الله عاقبته خيراً، قال سبحانه ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب. أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب. ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾ (ص:٤١-٤٣)، وقد مدحه سبحانه بقوله ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ (ص:٤٤).

٣- قوة الإرادة، حتى يمكن تحمل الآلام، فلو استسلم لآلامه دب اليأس في قلبه، وتحول الألم إلى نقمة عليه، فنراه يقنط من رحمة الله، وتثبط همته، ولذا على المسلم دائماً العناية بتربية إرادته وتقويتها، وتدريب نفسه على تحمل آلام الحياة وصعابها، ثم عليه أن يتخطى هذه الآلام ويتناساها، ليتجه إلى العمل النافع والإنتاج المثمر.

٤- الأخذ بالأسباب في معالجة الألم والتخلص من أسبابه إذا استطاع، وذلك للحيلولة دون استفحال الألم، فإهمال الألم سيؤدي حتما الى اشتداده واستفحاله، وحينئذ قد لا يجدي معه علاج، ولا تنفع معه أي مقاومة، فتخور قوى المسلم، ويتحول إلى طاقة معطلة، فيعجز عن مواصلة الكفاح وأداء رسالته في الأرض.

٥- حسن التقدير وبعد النظر، فينبغي على المسلم أن يحسن تقدير آلامه وتشخيصها وكذا تقدير الوسيلة والوقت اللازمين لعلاج الألم ومقاومته، والإنسان من طبعه التعجل، قال سبحانه ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ (الأنبياء: ٣٧).

ثم عليه ان يتحلى ببعد النظر، فالشفاء من الآلام بقدر معلوم، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، فعلى المرء أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح.

فإذا ما توافرت هذه الشروط فعندئذ يكون الألم نعمة، ويثاب عليه الإنسان المسلم، ويصبح الألم باعثا للهمم، ومحركا للطاقات البناءة، ومثيرة للعقول المبدعة، ويصير أداة بناء في المجتمع لا معول هدم، وسيوصف حينئذ بأنه نعمة الحياة وسر من أسرار النجاح فيها.

الهوامش

١- المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١/٤٣٦.
٢- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، المطابع الأميركية ببولاق، ١٩٧٩م، ص٢.
٣- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية ١٩٦٦م، طبعة أولى ٢/٥٨١.
٤- المعجم الكبير، ١/٤٣٧.
٥- المعجم الكبير، ١/٤٣٦.
٦- المعجم الكبير، ١/٤٣٦، ٤٣٧.
٧-الموسوعة العربية العالمية: ٢/٥٨١.
٨- الموسوعة العربية العالمية: ٢/٥٨٢.
٩- الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، القاهرة، طبعة أولى، ١٩٦٥م، ١/٢٠٨.
١٠- الموسوعة العربية العالمية: ٢/٥٨١.
١١- الموسوعة العربية العالمية: ٢/٥٨٢.
١٢- المعجم الكبير ١/٤٣٧.
١٣- الموسوعة العربية الميسرة: ١/٢٠٨.
١٤-الموسوعة العربية العالمية: ٢/٥٨١.
١٥- الموسوعة العربية الميسرة: ١/٢٠٨.
١٦- انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ص ٤٧ -٤٩.
١٧- تاريخ الطبري، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، طبعة أولى، ١٩٨٥م، ١/٨٨.
١٨- المرجع السابق ١/٩٣.
١٩- المرجع السابق ١/٢٤٢.
٢٠- قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفكر، عمان، طبعة أولى، دون تاريخ، ص ٢٧٦.
٢١- الشوقيات، أحمد شوقي، شرح وتعليق د.يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت، طبعة أولى، ١٩٩٦م، ٢/٤٠١.



جسم الإنسان بين اليوم والأمس

زيناء أنس ليلى

لاشك أن هدي النبي ﷺ في الطعام والشراب ذو فائدة جمة لصحة الإنسان، ويظهر العلم يوما بعد يوم هذه الفوائد من خلال الأبحاث المعملية والتجريبية الحديثة، وفي هذا المقال سنتناول هديه ﷺ في تناول حبوب الشعير خبزا وحساء وشرابا، وكيف أن النبي ﷺ وصفه لمداواة المرضى وتخفيف الحزن والغم الذي يعتري النفس الإنسانية بين حين وآخر، وسنعرض نتائج البحوث الحديثة التي توضح بالدليل العلمي الفوائد الغذائية والدوائية لحبوب الشعير، مما يثبت ويؤكد أن حديث النبي ﷺ في هذا الموضوع خارج من مشكاة النبوة.

أولا: أهم الأحاديث الواردة في الموضوع

١ - روى الترمذي بسنده عن سليم بن عامر سمعه أبو أمامة يقول: «ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير» (حسن صحيح غريب).

٢ - في الصحيحين من حديث عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن».

٣- روى الترمذي من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع، ثم أمرهم فحسوا منه وكان يقول: «إنه ليرتو فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السقيم، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها» (ضعيف الترمذي).

أشارت هذه الأحاديث إلى استعمال حبوب الشعير غذاء ودواء فقد استعمله النبي ﷺ لأهل بيته خبزا، وأمر به للمريض الذي لا يطعم الطعام، وأمر به للحزين، وإصلاح فؤاد المريض، وأمر به للمبطون فإن حساء الشعير يغسل بطن المريض، ويرتو - أي يشد ويقوي - فؤاد الحزين، ويسرو - أي يكشف - عن فؤاد السقيم.

والتلبين لغة: هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن، ومنه اشتق اسمه، وقال الهروي - رحمه الله: سميت تلبينة لشبهها باللبن لبياضها ورقتها، وقال ابن القيم - رحمه الله: وهذا الغذاء هو النافع للعليل وهو الرقيق الناضج، لا الغليظ النيئ، وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي ماء الشعير، فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحا والتلبينة تطبخ منه مطحونا، وهي أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن.

ثم قال - رحمه الله: وقوله ﷺ: «مجمة لفؤاد المريض» يروى بوجهين بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم، والأول أشهر ومعناه مريحة له أي تريحه وتسكنه، من الإجمام وهو الراحة. وقوله: «تذهب ببعض الحزن»، قد يقال - وهو الأقرب: إنها تذهب ببعض الحزن بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة، فإن من الأغذية ما يفرح بالخاصية والله أعلم. ويقول - رحمه الله - في تفسير حديث عائشة - رضي الله عنها: «إنه ليرتو فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها» ومعنى يرتو أي يشد ويقوي، ويسرو يكشف ويزيل. ثم يقول - رحمه الله: وقد تقدم أن هذا ماء الشعير المغلي وهو أكثر غذاء من سويقه وهو نافع للسعال، وخشونة الحلق، صالح لقمع حدة الفضول، مدر للبول، جلاء لما في المعدة، قاطع للعطش، مطفئ للحرارة.

ثم قال - رحمه الله: وصفته (ماء الشعير) أن يؤخذ من الشعير الجيد المرضوض مقدارا ومن الماء العذب الصافي خمسة أمثاله. انتهى كلامه - رحمه الله.

البحوث العلمية

توافقت البحوث الحديثة في مجال الغذاء والاستطباب بالشعير مع هدي سيد الأنام ﷺ وسأعرض نتائج هذه الأبحاث إثر بيان الدلالة في نص الأحاديث النبوية كالتالي:

تعريف الشعير: هو نبات حولي من الفصيلة النجيلية ويشبه في شكله العام نبات الشوفان والقمح وهو أقدم غذاء للإنسان واسمه العلمي: Hordeum valgara.

ويبين الجدول التالي التحليل الكيميائي لحبة الشعير وذلك نقلا من كتاب العلاج بالتلبينة للأستاذ عبد الكريم التاجوري نقلا عن بحث قام به معهد البحوث الزراعية بجامعة ألبرتا بكندا، وكان عنوان البحث، أهمية المنتجات المحتوية على منتجات الشعير على صحة مرضى السكر (النوع الثاني غير الوراثي) وتحديد أهمية استخدام منتجات الشعير وتأثيرها على نسبة السكر والدهون في الدم، وكانت النتيجة النهائية لهذا البحث توضيح أهمية غذاء الشعير وخبز الشعير كوسيلة لزيادة كمية الألياف المطلوبة للجسم القابلة للذوبان وغير القابلة للذوبان، لخفض نسبة السكر والدهون في الدم.

والكولسترول: هو مركب دهني نتناوله في طعامنا، وتكونه أجسادنا ويجري في دمائنا وله حد طبيعي إن زاد عنه تترسب هذه الزيادة على جدران الأوعية الدموية وتضيقها، وتعد زيادته أحد الأسباب المؤدية إلى الإصابة

بأمراض القلب والشرايين.
أثبتت الدراسات العلمية فاعلية حبوب الشعير الفائقة في تقليل مستوى الكوليسترول في الدم من خلال عدة عمليات حيوية منها:
تحتوي حبوب الشعير على مركبات مشابهة لفيتامين E الذي يعد من أشهر مضادات الأكسدة التي لها القدرة على تثبيط إنزيمات التخليق الحيوي للكوليسترول.
تحتوي ألياف الشعير المنحلة على مادة هامة جدا وهي البيتا جلوكان (Beta-glucan) التي تتحد مع الكوليسترول الزائد في الأطعمة والأحماض الصفراوية مما يقلل وصوله إلى تيار الدم.
وتشير نتائج البحوث إلى انخفاض نسبة الكوليسترول العام بنسبة ١٠ في المائة، وانخفاض نسبة الكوليسترول منخفض الكثافة ldl إلى ٨ في المائة، وارتفاع نسبة الكوليسترول عالي الكثافة hdl إلى ١٦ في المائة.
ينتج عن تخمر الألياف المنحلة في القولون أحماض تمتص من القولون وتتداخل مع استقلاب الكوليسترول فتعيق ارتفاع نسبته في الدم.
الشعير يكبح جماح ضغط الدم لسببين:
أ - يحتوي على كمية وافرة من عنصر البوتاسيوم حيث يخلق هذا العنصر التوازن اللازم بين الملح والماء داخل الخلية.
ب - الشعير مدر للبول مما يقلل من ضغط الدم.
ثانيا قوله ﷺ «تذهب ببعض الحزن» أثبت الباحثون أن الحزن والاكتئاب هو خلل كيميائي، كما أثبتوا أن هناك مواد لها تأثير في تخفيف الاكتئاب والحزن، مثل:

الطب النبوي يساهم في مداواة المرض وتخفيف الحزن والغم .. والأبحاث العلمية والتجريبية الحديثة أثبتت ذلك

عنصر البوتاسيوم والمغنيسيوم ومضادات الأكسدة والميلاتونين وبعض عناصر فيتامين (ب) المركب والسيراتونين، فما علاقة الشعير بذلك؟
- يحتوي الشعير على عنصري البوتاسيوم والمغنيسيوم اللذين يؤدي نقصهما إلى سرعة الغضب والانفعال والشعور بالاكتئاب والحزن، وضبط عنصر البوتاسيوم والمغنيسيوم له تأثير في تخفيف الاكتئاب عن طريق تأثير هذين العنصرين على بعض الموصلات العصبية، وانظر إلى قوله ﷺ: «يذهب - ببعض - الحزن»، وقول الباحثين يؤدي إلى تخفيف الاكتئاب.
يشعر الإنسان بالميل إلى الاكتئاب عند تأخر العمليات الفسيولوجية للموصلات العصبية وهذا من أهم أسبابه نقص فيتامين (ب) المركب، والشعير يحتوي على كمية طبيعية من بعض فيتامين (ب) المركب، وهذا مما يساعد على التخلص والتخفيف من الاكتئاب.
إن علاج نقص مضادات الأكسدة مثل فيتامين (هـ) له تأثير فعال في علاج حالات الاكتئاب والشيخوخة وخاصة لدى المسنين، والشعير يحوي كمية كبيرة من مشابهات فيتامين E المضادة للأكسدة وأيضا على فيتامين A المضاد للأكسدة.
يحتوي الشعير على الحمض الأميني تريبتوفان (tryptophan) الذي يسهم في تخليق أهم الناقلات العصبية وهو السيروتونين (serotonin) والتي تؤثر بشكل واضح في الحالة النفسية والعصبية للمريض.
ثالثا: قوله ﷺ: «التلبينة تغسل بطن أحدكم كما تغسل إحداكن وجهها من الوسخ بالماء» فما ذاك؟
التلبينة ملين للأمعاء، مهدئ للقولون، مضاد لسرطان الأمعاء، يوصف حساء الشعير للمرضى كغذاء لطيف سهل الهضم، والشعير غني بالألياف المنحلة وغير المنحلة، وهذه الأخيرة تمتص كميات كبيرة من الماء وتحبسه داخلها، فتزيد من كتلة الفضلات مع الحفاظ على ليونتها مما يسهل ويسرع هذه الكتلة عبر القولون، وينشط الحركة الدودية للأمعاء مما يدعم عملية التخلص من الفضلات، وهناك أبحاث على أهمية الشعير في التقليل من الإصابة بسرطان القولون، حيث استقر الرأي على أن الشعير يقلل من بقاء الفضلات في الأمعاء، مما يقلل من بقاء المواد المسرطنة في الأمعاء، ويقلل من الإصابة بالسرطان، كما أن الشعير يحوي من عناصر مضادات الأكسدة والفيتامينات ما يقاوم الشوارد الحرة (free radical) التي تدمر غشاء الخلية والحمض النووي، وقد تكون المتهم الرئيسي في حدوث أنواع معينة من السرطان.
الشعير لا يحتوي على مادة الجلوتين وهي مادة صمغية يحتوي عليها القمح بوفرة، والجلوتين باللاتينية يعني الصمغ، وقد اكتشف الباحثون أن سوء امتصاص الطعام الناتج عن مرض السلياك إنما هو بسبب مادة الجلوتين الموجودة في القمح، ووجد أن أعراض هذا المرض تختفي تماما باستبعاد مادة الجلوتين من وجبات المريض، ومرض السلياك مرض سوء التغذية نتيجة سوء الامتصاص للمواد الغذائية وعدم امتصاص المواد الدهنية، فانظر إلى الشعير وكيف أن «التلبينة تغسل بطن أحدكم».
يستخرج من الشعير مادة تستعمل حقنا تحت الجلد أو شرابا في حالات الإسهال والتيفوئيد والتهابات الأمعاء تسمى الهوردنين (L'Hordenine).
رابعا: قوله ﷺ: «إنه ليرتو فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم»: ثبتت وفرة الميلاتونين الطبيعي غير الضار في الشعير فكل آثار الميلاتونين تظهر على مغتنم الشعير، فما هو الميلاتونين وما آثاره؟
الميلاتونين: هرمون تفرزه الغدة الصنوبرية الموجودة في المخ خلف العينين ويحصل الجسم على أعلى معدل إفراز منها عند الليل ومع تقدم السن يقل إفراز هذه الغدة، وهرمون الميلاتونين له القدرة على الوقاية من أمراض القلب، وله القدرة على خفض الكوليسترول في الدم مما يؤدي إلى خفض ضغط الدم، وله علاقة بالشلل الرعاش عند المسنين، ويزيد الميلاتونين من وقاية الجسم ومناعته، ويقي الإنسان من الاضطراب في النوم ويعالج حالات الاكتئاب، ويعمل على تأخير ظهور أعراض الشيخوخة.
والشعير من أعلى الحبوب في نسبة احتوائه على الميلاتونين.

قوة الحضارة

في أواخر عام 2008م كان هناك حدثان لافتان، الأول تصريح توني بلير رئيس وزراء بريطانيا السابق حول تحوّله من البروتستانتية إلى الكاثوليكية، وحديثه عن الرسول ﷺ، والحدث الثاني هو وفاة الكاتب والأكاديمي اليهودي صموئيل هنتنجتون صاحب نظرية «صدام الحضارات»، وأهمية الحدثين تكمن في ارتباطهما بنظرية خطيرة تتوقف عليها مصائر الشعوب والأمم، ثم التطابق التام في الإستراتيجية الفكرية بين الرجلين مع ما يبدو من تناقض ظاهري بينهما.

قال توني بلير لصحيفة «دي تسايت» الألمانية: «إذا لم تلعب العقيدة الدينية أي دور في القرن الحادي والعشرين، وهو ما لا استطيع تخيله، فإن شيئاً حاسماً سيكون مفقوداً» والعبارة تكشف عن إدراك بلير لأهمية الدين- أي دين- في حياة الأمم سواء بالإيجاب أو السلب، وهو من جانب آخر يمثل جوهر نظرية هنتنجتون.



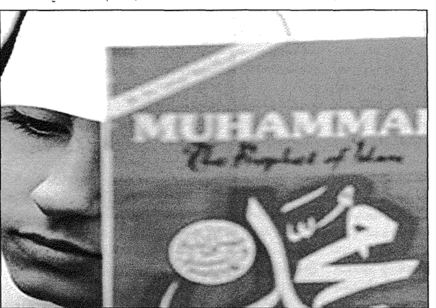
د.حلمي محمد القاعود

لقد بدأ بلير يتحدث جيداً عن الرسول محمد ﷺ حين وصفه بأنه «قوة حضارية هائلة»، وأضاف أنه يقرأ القرآن يومياً بانتظام، ولكنه رفض الإجابة عن سؤال حول إذا ما كان يعتزم اعتناق الإسلام! وإن كان قد أشار إلى أن معتقداته الكاثوليكية- التي تحوّل إليها من البروتستانتية- ساعدته على الضلوع بدوره مبعوثاً للسلام في الشرق الأوسط.

حين سُئل بلير عن القمع الذي يتعرض له بعض المسلمين على يد القوات الغربية المتحالفة، ردّ بشيء من الاستنكار قائلاً: من يقمع المسلمين في أفغانستان والعراق؟ لقد أطحنا بدكتاتوريين، وتركنا للشعبين أن يقررا من يحكمهما من خلال صناديق الاقتراع. وأضاف: يُحرض المسلمون مسلمين آخرين على قتل إخوانهم، أخبرني.. من يقمع المسلمين؟ هم أم أنا؟!

وهكذا تتجلى أعماق بلير الحقيقية بعد امتداحه للرسول ﷺ وهي الأعماق التي عبّر عنها على السطح رجل آخر، من خلال فكرة «صدام الحضارات» التي كانت إرهاصاً بإستراتيجية ترويع العالم الإسلامي، وإثارة القلاقل في داخله، وتدمير بعض بلدانه، ووضعه على طريق التراجع والتخلف والضعف المشين.

صموئيل هنتنجتون (١٩٢٧ - ٢٠٠٨م) أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد، والمقرب من إدارة المحافظين، أصدر أول كتبه عام ١٩٥٧م بعنوان «العسكر والحكومة المدنية»، وفي عام ١٩٩٣ نشر مقالة في مجلة «الشؤون الخارجية» بعنوان «صدام الحضارات» كانت نواة لكتاب صدر بعد ثلاث سنوات ١٩٩٦م، فصّل فيه رؤيته لطبيعة الصراع في المستقبل بين الغرب من ناحية والحضارات الأخرى من ناحية ثانية، وقد اختص المسلمين بالتركيز من خلال اعتقاده أن الدين أهم عوامل التمييز بين الحضارات، والعامل الأهم في صراعات المستقبل، لذا فالمجتمعات الإسلامية- في رأيه- لا تحدد هويتها إلا بالإسلام «الأصولي»، وترفض



● مفكر إسلامي

العلمانية الغربية، مما يترتب عليه أن الصراع العسكري بين الحضارتين الإسلامية والغربية الذي استمر على مدى القرون الماضية سوف يستمر ويزداد ضراوة في المستقبل، ويخشى صموئيل من الزيادة السكانية في العالم الإسلامي لأنها قد تكون سبباً في مشكلات لأوروبا حين تتزايد الهجرة نحو الغرب.

ويعتقد هنتنجتون أن مناطق الصدام في العالم الإسلامي بين الإسلام وغيره من الأديان هي الأطراف، وأبرزها جنوب السودان والصومال وإريتريا وإثيوبيا ونيجيريا في الجنوب، والبوسنة وكوسوفا وألبانيا وأرمينيا في الشمال، وأفغانستان وباكستان وجنوب الفلبين في آسيا، وقد تحققت توقعات كثيرة للرجل، وخاصة بالنسبة للمسلمين في السودان وشرق إفريقيا ويوغوسلافيا السابقة وجنوب آسيا، وقد تحدث قبيل وفاته بفخر شديد عن صدق توقعاته في تصريحاته إلى صحيفة «دي تسايت» الألمانية التي نقلت تصريحات بلير التي سبقت الإشارة إليها، وقد نشرت الصحيفة كلام هنتنجتون تحت عنوان «الحدود الدموية للإسلام» زعم فيه أن القرن الحادي والعشرين هو «قرن حرب المسلمين».

وقال الرجل «كانت أحداث ١١ سبتمبر أهم تطبيق لنظريتي، فلم تكن حرباً بين دول كما في القرن التاسع عشر أو بين أيديولوجيات كما كانت في القرن العشرين، بل كان هجوماً لمجموعة إسلامية منظمة ضد صورة الحضارة الغربية (أميركا)، وكان المنفذون ينتمون للحضارة الإسلامية».

بيد أن الجانب الأخطر في نظرية هنتنجتون هو الجانب الاقتصادي، فهو يرى أن الكتل الاقتصادية الإقليمية المتنافسة هي صيغة الاقتصاد العالمي في المستقبل، وأن الحضارة الغربية تعيش مرحلة الازدهار الذي وصل إلى القمة اقتصادياً وعسكرياً، وأن الغرب سوف يسيطر على بقية العالم عن طريق المؤسسات الدولية.

وكان قد انتهى في نظريته إلى توصيات في المدى القريب وأخرى في المدى البعيد، والأولى تتمثل في التعاون الوثيق داخل دول الحضارة الغربية (أوروبا وأميركا الشمالية)، والسعي لدمج دول أوروبا الشرقية وأميركا اللاتينية في المجتمع الغربي واستغلال القرابة الدينية في هذا الدمج، ومنع الصراعات المحلية داخل الحضارة الغربية من التحول إلى صراعات كبيرة، في مقابل الحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية ودول شرق آسيا (الصين وكوريا وفيتنام واليابان)، والاحتفاظ بقوة عسكرية في وسط آسيا وشرقها، مع الاستفادة من الخلافات بين الدول الإسلامية والكنفوشية والهندوسية، ودعم النخب المتعاطفة مع قيم الغرب ومصالحه في هذه الدول.

والأخرى تشير إلى أن تحتفظ الحضارة الغربية بقوتها العسكرية والاقتصادية، ومقاومة الحضارات الأخرى التي تسعى للحصول على أسباب القوة الاقتصادية والعسكرية.

إن صموئيل هنتنجتون تلميذ نجيب للمستشرق المتعصب الشهير برنارد لويس، وقد تجلى نبوغه في الإعلان عن تعصبه ضد المهاجرين إلى الولايات المتحدة، وعبّر عن ذلك صراحة في كتابه «من نحن ؟ أطروحة حول الهوية الأميركية» الذي صدر عام ٢٠٠٤م، وهو يرى أن المهاجرين ينتسبون إلى حضارات متعددة وألسنة شتى، ومنهم من



تحرر من الانتماءات الإقليمية، أو يسكن في البيوت المتنقلة، وهؤلاء يقسمون الولايات المتحدة إلى شعبين بثقافتين ولغتين. والأخطر هنا أنه يتهم المهاجرين حين يسميهم أتباع «الإسلام الراديكالي» وأبناء الثقافة اللاتينية بالتهديد الحقيقي للأنجلوبروتستانت، حيث نقلوا مفاهيم سلبية إلى المجتمع الأميركي لم تكن موجودة من قبل، أبرزها غياب ثقافة البحث عن المستقبل، وموت الطموح، والقبول بالفقر والبؤس بوصف ذلك شرطاً لدخول الجنة(!) وهذه المفاهيم- في رأيه- مرتكزات الثقافات التي بدأت تتسرب للشعب الأميركي.

تطرح رؤى هنتنجتون كثيرا من القضايا تتعلق بالعرب والمسلمين، وهي في جوهرها تتفق مع فكر من يسمّون بالمحافظين في الغرب وأميركا ومنهم توني بلير، هذا الفكر الذي لا يختلف في روحه عن فكر الحروب الصليبية الأولى، مع الفارق الزمني والصياغة، ويعتمد على التفوق العسكري والاقتصادي والدبلوماسي أو السياسي، والحرص على إضعاف الأمة الإسلامية وعدم تمكينها من الدخول إلى مجالات القوة.

وإذا كان ما يطرحه الآخرون لا يتم تنفيذه في عالم ساكن أو غير متحرك، فإن الأمة الإسلامية، تواجه- كما يفترض- هذه النظريات بأخرى مضادة تحرم أصحاب «صدام الحضارات» من شرف تحقيق غاياتهم الشريرة، خاصة وأنه يمكن وصف المسألة بوصف أدق هو «عدوان الحضارة الغربية».

ولعل الأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية من جانب العرب والمسلمين، مع تقديم صورة الإسلام في جوهرها المضيء، ورفض ما يُسمى بصراع الحضارات، وقبول فكرة «تفاعل الحضارات» من أجل التكامل والتطوّر وإفادة الإنسانية.. وإحلال السلام بين البشر يمثل الحل العملي والفعال في هذه المواجهة المفروضة على المسلمين والإسلام.

منهج الشريعة في تربية الشباب

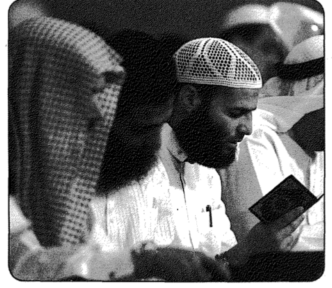
محمد مكين صافي

ربما كان موقع الشباب وسطا بين جيلي الطفولة والرجولة، هو السبب الذي يجعلهم منسيين، او ان يتم التعامل معهم - على الاقل - بنسق التعامل مع الشريحة التي قدموا منها وليس وفقا لاستحقاقات الشريحة التي هم متجهون اليها، هذا بالرغم من ان ديننا كان ومايزال يشدد على الاهتمام بالشباب، تربية وتوجيها واعدادا.وبالاضافة الى ما تشكله هذه الشريحة المفعمة بالهمة والتوثب من رافد قوة للمجتمع عندما يحسن توجيهها او على العكس من عامل ضعف واضطراب فيما لو اهمل شأنها، فإن من الضروري ان نبحث كيف اهتم ديننا بهم، وبماذا امرنا تجاههم، ومنذ البدايات الأولى لتكوين المجتمع الاسلامي التفت نبينا الكريم اليهم، وأولاهم رعايته، وناداهم بالنداء المحبب «يا معشر الشباب...» (البخاري) من يومها والاسلام عبر الكتاب المبين، وفي توجيهات النبي الأمين، يسعى نحو تقديم التوجيهات المصلحة لشأنهم، سواء على مستوى العقيدة والفكر، او على الصعيد النفسي، او السلوك، او حتى على مستوى البدن، في تكامل سها عنه المربون والمسكون بالزمام الى زمن قريب، يوم تبين لهم ماذا يمكن ان يؤدي اليه اهمالهم، واي أياد معوجة سوف تتلقفهم وتزج بهم في نهاية مؤلمة في كثير من الاحيان.

التربية العقيدية والفكرية

من اللحظة الأولى اهتم الاسلام بأن يبين للناس ان الإله واحد، والمعبود واحد، والوجهة واحدة، ﴿ألا تعبدوا إلا الله...﴾ (هود: ٢) وهي العقيدة التي استمر التنزيل الحكيم - كما نعلم - مدة طويلة مقصودة في طولها كي يثبتها في قلوب الأتباع باعتبارها القاعدة الاساسية التي سيقوم عليها بناء الانسان الجديد المتكامل، وفي الجانب الذي نحن بصدد دراسته نجد في توجيه الرسول الكريم لابن عباس مثالا ناصعا لما يمكن ان يهتم به المربي من امر الشباب، وللطريقة المثلى لتوصيل هذه العقيدة الى قلوبهم وعقولهم في بساطة ويسر: «يا غلام اني اعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، اذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله.. واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الاقلام وجفت الصحف» (سنن الترمذي).

وان الدهشة لتدركنا ونحن نتمعن في هذا التوجيه الكريم من ذلك المستوى الراقي الذي تسعى القيادة الى رفع اهتمام قادة المستقبل اليه، اذ تأتي هذه الكلمات لتشد انتباه الغلام - ومن ورائه كل شباب الامة - بعيدا عن كل ما يتوقع ان ينشغل به اقرانه،



وترده الى اليقين التام بالمرجعية الوحيدة الفاعلة لكل ما يمكن ان يصادفه ذلك الغلام في حياته من احداث، وحين تطمئن نفس الشاب ويمضي مرتاحا خالي البال من كل السموم النفسية التي تعيق تقدمه، وحين يتحصن بمثل هذا الحصن المنيع، وحين يعي وجهته ويعرف طريقه نحو تلك الوجهة، فقد استقامت حياته كلها، واستقام هو عنصرا ايجابيا في اي مكان يكون فيه.

بالاضافة الى هذا فقد اهتم الاسلام اهتماما دائبا بترسيخ عقيدة الحساب والبعث بعد الموت، ولقنها للشباب، ليغدو لحياتهم المفعمة بألوان النشاط غاية أسمى من واقع اللحظة الحاضرة، ولحركتهم معنى اجدى من مجرد الاستعراض او تأكيد التفرد واستقلال الذات.

مسئوليات أبعد

ولا يفوتنا هنا التأكيد على ان مجرد تبني الشاب لعقيدة هي في مستوى نصاعة وسلامة العقيدة الاسلامية سوف ينقلهم الى مستوى ابعد بكثير مما يعيش فيه اقرانهم من الذين لم يؤمنوا، او ممن في قناعاتهم غموض او ارتباك، وذلك بما تخلقه لهم هذه العقيدة من قضية جدية ومهمة ثقيلة سيجاهدون كثيرا لجذب الناس اليها وهدايتهم لنورها، وسيتعرضون جراءها لأذى يأمرهم دينهم بالصبر عليه، ويعدهم متى صبروا بأن لهم الجنة، تماما كما شد من ازر آل ياسر يوم اهاب فيهم الرسول ﷺ موجها: «صبرا آل ياسر.. فإن

موعدكم الجنة» (قال الألباني: حسن صحيح) وهو المستوى الذي لا يدانيه في شيء ما تنشئه باقي التصورات في ادمغة الشباب ونفوسهم.

التربية النفسية

من المهم هنا ان نلتفت الى ما يتميز به الشباب من الحيوية والاندفاع، والامتلاء بذلك الكم الهائل من الرغبات والطموحات والتطلعات التي قد تخلق في مجموعها عالما نفسيا متناقضا يجعله مضطربا شيئا ما وبعيدا عن ان يفهم من هم حوله، بينما ينمحي هذا كله فيما لو وجد من ينسقها لهم ويحميهم من ان تخربهم، بل ان تفيدهم.

خطوات تربوية

من هنا دأب ديننا الحنيف على انتهاج خطوتين متلازمتين، الاولى ملء نفوس الشباب بالاهتمامات العلوية التي تشكل لديهم القناة الصالحة والمجدية لحركتهم، والاهتمام بإبعادهم عن كل الاهتمامات (الارضية) الرخيصة.. والاخرى، السعي الى تنقية الاجواء والساحة المحيطة بنفوسهم من كل ما يهيجهم او يزين لهم السوء، او يزلقهم الى مثل تلك السفاسف والاهتمامات التي لا يرضاها لهم دينهم.

في سبيل الخطوة الأولى بين لهم - كما قلنا - الغاية من الحياة، وانها بناء وتزكية وارتقاء، وليست لهوا ومتعا صغيرة لا تساوي عند الله جناح بعوضة.. ومثل هذا التوجيه ضروري ومهم لمن هم في سن تعد من اكثر سني العمر تدفقا واندفاعا نحو كل ما يبرق ويلمع ويهيج، كما بين لهم انه مادام مآلهم الاخير الى هناك، الى ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه..﴾ (آل عمران: ١٠٦) فعليهم ان يهتموا وينشغلوا بما يبيض وجوههم فيه، وهي

ديننا يقدم برنامجاً علمياً متكامل الفقرات عنوانه المجاهدة

القضية التي يمكن ان تشغلهم والى آخر العمر انشغالا يكون موجها لهم الى كل خير، وتقيهم من التردي نحو كل سوء.

طريق الجنة

وهو هنا لا يكتفي بالبيان النظري بل يقدم لهم الوسيلة العملية والطريق الاقصر نحو الجنة، ويدفع بهم نحو ألوان من النشاط تنفعهم وترضي عنهم خالقهم، وتربي فيهم الاستعداد النفسي نحو الصلاح والاستقامة، فيقول الحبيب المصطفى: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: اني اخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» (البخاري).

بل انه لا يتوانى عن تذكيرهم بأهمية الطاقة الكامنة بين جوانحهم فيدعوهم ويشدد عليهم الدعوة للاستفادة القصوى منها، ففي الحديث الشريف: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (البيهقي). وذلك خشية ان تتبعثر هذه الطاقة او تضيع فيما لا يفيدهم او يفيد دينهم وامتهم.

برامج علمية

ولم يكتف بهذا ايضا، بل ربطهم ببرنامج عملي متكامل الفقرات عنوانه المجاهدة، مجاهدة النفس نحو تزكيتها وترقيتها، ومجاهدة نوازع الشر حيثما وجدت في نفوسهم او في الناس من حولهم، كما انه فتح في نفوسهم منابع الخير كي يقترفوه حيث كانوا دون ان ينتظروا عليه الا رضى الخالق، وهو بهذا يكون قد شحن نفسية الشاب ليكون الاداة الفاعلة في محيطه على الدوام، وصولا الى مرتبة يرحمه الله فيها لأنه غدا مفتاحا للخير مغلاقا للشر، وسار به ودربه على الدور الذي اناطه به دينه نحو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على هداية الناس الى مثل ما اهتدى هو اليه، حيث تبرز لنا هاهنا وصية الرسول الكريم: «... فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم» (البخاري) ولا يخفى ان مثل هذه النفسية متى نشأت هي التي تصنع الرجال.

تنقية الأجواء

اذا استعرضنا نهج الشريعة في الخطوة الأولى من تربية الشباب نفسيا فلابد ان نذكر شيئا عن الخطوة الاخرى العملية التي لن يقوم بها الشباب انفسهم، بل يقوم بها من اجلهم المجتمع او النظام الذي يخضعون له، ونعني بها تنقية الاجواء.. كثيرون هم المصلحون عبر التاريخ، وكثيرون نادوا بضرورة الالتزام بالمثل العليا وبالفضائل وبمكارم الاخلاق، ودعوا إليها، لكن ديننا وفوق انه سماوي خالص يتميز عن هذا كله بأنه قد خلق لأتباعه الواقع العملي والجو النظيف الذي يماشي نظافة ما يدعوهم اليه، كي يسهل عليهم مهمة الالتزام بما يدعوهم اليه. وفي هذا الجانب وحده نكتشف كم قصرنا.

حين يحرم ديننا الفاحشة مثلا ينقي الاجواء من كل ما يحرض عليها او يزينها، بل ويعاقب بالجلد او بالرجم وعلى الملأ اولئك المخالفين هذا على صعيد المجتمع، وعلى صعيد الفرد يدعو الشاب بذلك النداء المحبب الى قلبه: «يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج» (البخاري) ومعلوم ان حرف اللام الساكن حين يدخل على الفعل المضارع (يتزوج) فإنه يفيد الوجوب ولكن ماذا عن الذين لا يجدون؟ انه لا يدير لهم ظهره ليدبروا امرهم بوسائلهم الخاصة بل ينصحهم وهو بهم رؤوف رحيم: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم» كعلاج مؤقت ريثما يمتثل الكبار للنداء الكريم: «اذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه...» (سنن الترمذي) وما ذلك الا ليفوت على شياطينهم - من الجن والانس - فرصة استغلال حاجاتهم لتصريفها فيما لا يرضاه الله ورسوله والمؤمنون، وليهبهم القدرة على ان يمضوا في مهمتهم الكبرى، بناء الدولة والحضارة، وهم مرتاحو البال والنفس والجسد من كل ما يشغلهم ويلح عليهم من ضرورات فطرهم الله عليها.

وهو حين يأمر بالصدق وينهى عن الكذب، يرفض ان يجعله الكبار اداة يمررون بها كثيرا مما يفعلون ولو كانت مبررة في ذاتها، ويؤكد - للكبار قبل الشباب - انه مايزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابا، وويل لرجل كتب عند الله كذابا، ومهما تكن المبررات التي يتذرع بها امثال هؤلاء، وهكذا نجد في كل القيم الاخلاقية ان المنهج اهتم بالاسوة التي يمثلها الكبار ليفتح القنوات

النظيفة لحركة الشباب، وليسهل عليهم امر الامتثال لها، وما أروع الكلام النبوي في مثل هذه النقطة: «انما ضل من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (البخاري).

ان سعي الكبار الجاد نحو الالتزام بما اتى به التشريع من القيم الاخلاقية النبيلة، ومبادرتهم - هم اولا - الى الامتثال لها سوف يخلق ذلك المجتمع النظيف الذي بينا اهميته، وسوف يمنح الشاب القدوة المناسبة، كما يمنحه اليقين بنفاسة تلك القيم التي هو مدعو اليها، هذا بالاضافة الى ان ما يلمسه الشاب من رعاية من هم اكبر منه، وعنايتهم بحاجاته وانهم يمهدون له ما استطاعوا طريقه الاخلاقي، ان هذا سوف يتولد عنه تلقائيا حب من الشاب لمجتمعه وطاعة وسلوك قويم لأولي الامر منهم، هذا على العكس مما ينشأ في الصورة المقابلة، حين يدعون الشاب الى شيء نظيف، ثم يتركونه ليتمزق ما بين مثل رفيعة وواقع فاسد.

تربية للسلوك

ان المرء اكثر ما يكون عرضة للنزوع نحو الانفلات والضيق بالانضباط وهو في سن الشباب، ومن هنا كثرت التوجيهات الكريمة التي تسعى نحو ضبط سلوك الشباب، وتنزع نحو تدريبهم على الطاعة والانقياد لأمر النبي ﷺ، والتوجه فقط حيث يشير، وذلك في محاولة ذكية لجعل طاقتهم طوعا لرؤية النبي ﷺ، فها هو يأمرهم: «اذا كنت ثلاثة فأمروا عليكم واحدا منكم...» (البيهقي)، تأكيدا على اولوية الانضباط.

ثم هو يتدرج في تربية سلوكهم منطلقا من نقطة الآداب العامة البسيطة، وليس كالبر بالوالدين ادبا يحرص عليه دين رفيع مثل ديننا، ثم يعرج على آداب الملبس والمأكل: «يا غلام: سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» (البخاري) مع التأكيد التام على النظافة في كل مناحيها حين يعيب على ذلك الاشعث الاغبر فيقول: «اما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه؟» (صحيح الجامع) مرورا بصلة الارحام واحترام الاكبر سنا ورأيا، واهمية ترتيب الصفوف في الصلاة - وفي غير الصلاة - وفقا لترتيب اولي الاحلام، وهنا نجد السيرة زاخرة بجملة كريمة من تلك التوجيهات الرفيعة التي كان من آثارها ذلك الحياء الذي ادرك شابا مثل عبدالله بن عمر فتوانى عن اجابة نبيه ﷺ عن الشجرة التي لا يسقط ورقها - مع درايته بالاجابة - خجلا ان يتكلم وهو الغلام في سؤال سكت عنه الشيوخ.

تربية للبدن

إن ديننا دين توازن، ولو تجسد التوازن في منهج لتجسد في منهجنا، فمثلما انه يبني العقيدة الناصعة السليمة عن الله والكون والحياة، ومثلما يربي الفرد المسلم على الطاعة والالتزام والانقياد للحق، كذلك هو يحضه على العناية بصحته وبنيته الجسمية لتكون على الدوام في عافية، ولتكتمل صورة الشاب وضاءة جوهرا وشكلا.

ديننا يحث على تعلم الرماية والفروسية بكل ما تهب الفروسية للشاب من فتوة وحيوية واستقامة، وينهى عن فرط التنسك الذي يضعف البدن، بل ينهى عن التوالي في الصيام لنفس الحكمة، ويقول: «ان لجسدك عليك حقا» (البخاري) ويريهم كيف ان للبدن قيمته لما يؤديه من دور حيوي في مدافعة الباطل ونشر الحق، حين يؤكد: «المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...» (مسلم).

ثم يأتي دور الدعاة وفقا للنسق الطيب والمبارك الذي نراه منتشرا بين ظهرانينا وعبر وسائل الاعلام الطيبة التي تؤدي دورها المميز والحيوي، بما يزيد الشباب وعيا ويملأ عليهم وقتهم وفراغهم بما يجدي، ويعبؤهم بالفكر والشعور اللذين يكفلان الحركة السليمة والمستقيمة لشبابنا.

المجلة الهادفة، والقصة الشبابية الهادفة، والرواية والمسرحية الهادفة، والفيلم السينمائي الهادف، وان تكون كل هذه موجهة ومخصصة للشباب فحسب.. اين هي؟ لماذا لا نسمع لها ذكرا في ساحتنا الثقافية او نلمس لها اثرا في تربية شبابنا؟ بل ان مجلات «الكبار» على تعددها لتضن بصفحة او صفحات تهتم بهذه الشريحة التي قلنا انها منسية، هذا في الوقت الذي تعج فيه الاجواء ومن كل اتجاه ببرامج وافلام ودعايات ومقابلات، كلها تحمل عنوان «الشبابية»، وتهدف الى افساد الشباب، وتهوين الانحراف عليهم، وصرفهم عن الخط الذي يضمن سلامتهم في الدنيا قبل الآخرة.

أكبادنا

انما اولادنا بيننا

اكبادنا تمشي على الارض

هكذا قال الشاعر قديما، وهكذا نحس بهم فعلا، فلئن قدمنا لأطفالنا ما يلزمهم من الرعاية بكافة الوانها الصحية والتعليمية والنفسية والترفيهية، فكيف نتوانى عن تقديم نفس الرعاية - بالوجوه التي دلتنا عليها شريعتنا واستعرضناها فيما سبق - لفلذات اكبادنا من الشباب؟

هل يجوز ان يسخر المفسدون اموالهم وجهودهم واوقاتهم لفتنة الشباب، ويبذلوا الكثير في هذا السبيل، ثم يتأخر الخيرون او يتهاونون عن الزرع في هذه المزرعة التي ترضي المؤمنين وتصلح لهم دنياهم بدل ان تفسدها وتخلق الفتنة فيها والفوضى والارتباك؟ هل يجوز ان يلتفت المفسدون في الارض الى شبابنا فيتلقفونهم بالافساد من أول ما تستقل لديهم تطلعاتهم، وننشغل نحن عنهم بدعوى ان هم الكبار اكثر اهمية او الحاحا من امر الصغار؟



التجربة الشعرية
بين خصوصية الولادة وعمومية الخلود

لا يمكن أن يتصور أن هناك نقدا أدبيا بغير نص يقع عليه، وكذلك لا يمكن أن يتصور أن هناك نصا أدبيا حقيقيا بلا نقد، ذلك أن النص الحقيقي سواء كان شعرا أو نثرا يتفاعل مع ذات المتلقي الواعي تفاعلا غير تقليدي، يتجاوز التأثر اللحظي، ليملك عليه شعوره حينا من الدهر، طال او قصر، فلا يهدأ إلا إذا جالت فيه عينه أو تشنفت به أذنه، ثم لا يكون هذا إلا مجرد مسكن عند الناقد الذي يصاب بالنص ولايبرأ منه الا اذا اجرى عملية جراحية لا تكون إلا معالجة نقدية لذلك النص.

فالتجربة الشعرية - وإن كانت مولودة أصلا في ذات الشاعر - لا تخصه وحده، بل إن شيئا من نجاحها يقاس بمقدار ما يجده فيها المتلقي خاصا به وحده دون غيره، وهذا من أسرار خلود كثير من الشعر وبقائه غضا ينبع بالحياة رغم جريان نهر الحياة عليه، وهذا ايضا ما يصيب المتلقي من الشعر ليجعله على الصورة التي سبق أن أشرنا إليها.

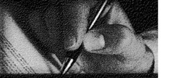
ألا ترى أن كل مفجوع في فقد عزيز عليه لا يشعر في رثاء الخنساء إلا بأنها تتحدث بلسانه؟ ثم ألا ترى أن كل حكيم صقلته السنون ودربته الأيام يشعر بمثل هذا في حكمة المتنبي؟

ثم أرأيت أن كل مسلم لا يجد بدا من مشاركة أحمد شوقي في مديحه لرسول الله ﷺ في نبوياته الخالدة:

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
منها وما يتعشق الكبراء
زانتك في الخلق العظيم شمائل
يغرى بهن ويولع الكرماء

فلا يمثل النص الأدبي في هذه الأحوال إلا ضالة يظل يبحث عنها صاحبها إلى أن يظفر بها، ثم لا تلبث أن تمتلك عليه وجدانه.. وهكذا يكون مسلك الآداب.

المحرر



الأديب الدكتور محمد بن المرسي الحارثي:

الأدب الإسلامي رسالة إنسانية سامية.. وليس ترفاً أو تسلية



أكد المفكر السعودي المعروف د.محمد بن المرسي الحارثي عميد كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة أن الأدب الإسلامي رسالة إنسانية سامية، وليس ترفا أو تسلية. وقال: إن الإسلام يشجع الشعر الملتزم، ويرتقي بالملكات البلاغية والفكرية للأدباء المسلمين. وأضاف في حواره مع «الوعي الإسلامي» أن القرآن لم يحرم الشعر ولا ينتقص من قيمته المعرفية إذا التزم بالحق. وشدد على أن الأدب الإسلامي نشاط إنساني مهم في منظومة المشروع الحضاري العربي الإسلامي، لأن الاهتمام به ينبع من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان. واليكم نص الحوار:

حوار : فاروق الدسوقي

■ **هل لنا أن نتعرف منكم - في البداية - على أهم ما تنطلق منه دعوتك الى احياء مفهوم الأدب الإسلامي؟**

- إن الأدب الإسلامي نشاط إنساني مهم في منظومة المشروع الحضاري العربي الإسلامي، لأن الاهتمام به نبع عند أصحاب الدعوة إلى تأصيل مذهب إسلامي في الأدب من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، وهذا الالتزام بالتصور الإسلامي لهذه الحقائق الكبرى في الوجود يختلف في جوهره ومراجعه المعرفية عن الالتزام الشيوعي والوجودي لان الانتماء الإسلامي ليس انتماء إلزاميا وإنما هو التزام إيماني بإرادة الفرد وحريته لقوله تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وهو تصور في الضمير ويتفاعل مع المشاعر، ويتلبس بالحياة، وهو وشيجة حية بين الإنسان وخالق الوجود.

وقد كون الإسلام روح المسلم وعقله بمادة الوحي الرباني، وكذلك ما دار حولها من حركة فكرية استمدت مقوماتها من ذلك المصدر الأساسي الذي يمثل مصدر المعرفة الحقيقية عند الأديب المسلم.

ولقد وجه القرآن الكريم العقل الإنساني إلى استثمار مادة هذا الكون التي تبعث على دقة التفاعل وحسن التدبير، وعمق التفكير في آيات الله تعالى التي تثير بنظامها البديع وتناسقها المحكم حس الإنسان وعقله وتربطهما بمشاهد الكون في الدارين، الدنيا والآخرة، لقوله تعالى ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾(آل عمران:١٩١).

كما أن القرآن الكريم لفت الذهنية البشرية إلى التفكير والتدبير والتأمل في علاقات الأشياء المتاحة في هذا الكون، ودقة تلك العلاقات وانضباطها في حركة الكون، لقوله تعالى ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر: ٤٩) وقوله أيضا ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾(الرعد: ٨). وقد طور ذلك التأمل طرائق التفكير عند المسلمين واستتبع ذلك تطورا في الذوق وفي الملكات الاكتسابية، فاتسع مفهوم الأدب من المنظور الإسلامي، وفي هذا يقول ابن خلدون: إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم، فإنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب والأحوص وبشار، ثم كلام السلف من الدولة العباسية في خطبهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد. ومن كلام الجاهليين في منثورهم ومحاوراتهم.

■ **وما السبب في ذلك؟**

- السبب أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام وسمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن الكريم وفي الحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما لكونهما يؤثران في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم، فنهضت طباعهم، وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة، وأصفى رونقا من أولئك وأرصف مبنى، وأعدل تثقيفا، بما استفادوه من القرآن والسنة.

وقد توافر للإسلاميين من أسباب الملكة الاكتسابية، ما لم يتوافر للجاهليين، غير أن الأمر لا يقتصر على الملكة الاكتسابية التي تأتي تالية للملكة الغريزية، وهذه الملكة الغريزية لا ترتبط من حيث القوة والضعف بزمن دون زمن، ولا بفكر دون فكر، أو جنس دون جنس آخر.

■ **وما القواعد التي تحدد طبيعة العلاقات بين أنواع النشاطات الإنسانية القولية والفعلية المختلفة؟**

- ينبغي أن ندرك أن قواعد الدين وسننه هي التي تحدد طبيعة العلاقات بين أنواع النشاطات الإنسانية القولية والفعلية، فيتحقق الانسجام والتوافق بين أنواع النشاطات كلما أخذت في اعتبارها أهمية الدين، ولما كانت

الغاية من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، لقوله عز وجل ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦)، والعبادة أمر جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، فإن هذه الغاية ستصبح ماثلة في كل نشاط إنساني، بل إن كل نشاط إنساني يبلغ غايته من السمو والنجاح والقبول إذا حقق تلك الغاية، ولم ينحرف عنها.

ومن هنا تكون العلاقة بين الدين والأدب علاقة عضوية، إذ يستمد الدين الإسلامي أسباب تأثيره على النفس والذهن معرفيا من مصدر المعرفة الربانية، إذ هي المعرفة الحقيقية لقضايا الكون، وبهذا يكون ذلك التأثير أداة مفيدة في تشكيل السلوكيات السوية، وإصلاحها وتوجيهها وتهذيبها، والأخذ بها إلى عوالم الخير والحق، غير أن هذا النشاط لن يحقق مهمته المعرفية والجمالية إلا إذا تناول قضايا الكون بمنطق أدبية الأدب، لا بمنطق البحث والعرض العلمي.

■ هناك من يؤكد أن الأدب الاسلامي ترف فكري، وأنه للتسلية فقط! فكيف تردون على هؤلاء؟

- إن الأدب الاسلامي عاطفة وموقف، وليس تسلية، وان كان للتسلية نصيب في بنيته، كما أنه ليس محاجة، وإن كان يتعامل معها بمنطق الأدب، كما أنه رسالة إنسانية سامية في غاياتها وأهدافها، ولذلك لم يكن الأدب، خاصة الشعر محل رفض من وجهة النظر الإسلامية، فإذا ما تدبرنا آيات الذكر الحكيم التي تتحدث عن الشعر والشعراء، نجد أن القرآن لم يحرم قول الشعر، ولم يقف دونه أو ينتقص من قيمته المعرفية إذا التزم الشعر بالحق.

وما يقال عن الشعر الذي يعد رأس الفنون الأدبية القولية عند العرب، يقال كذلك عن فنون القول الأدبية الأخرى، إذ إن الفنون الأدبية جميعها متاحة للأديب في موضوعاتها المتنوعة، إذا قصد الأديب في ذلك تغليب جانب الخير على جانب الشر.

وعلى هذا الأساس يفترض في الأدب الإسلامي أن يتم نظمه ونقده وفق المنظور الإسلامي للفن عامة والأدب خاصة وقد رأى توفيق الحكيم أن التزام الأديب شيء ينبع حرا من أعماق نفسه، فإن لم ينبع الالتزام حرا من قلبه وبيئته وعقيدته، فلا تلزمه أنت ولا تلزمه قوة في الوجود، فيجب أن يكون الالتزام جزءا من كيان الأديب أو الفنان، ويجب أن يلتزم، وهو لا يشعر بأنه ملتزم، فإذا شعر الأديب لحظة واحدة أنه يؤدي بفنه ضريبة عليه أن يؤديها وجوبا، فإن الذي سينتجه لن يكون فنا، فإذا لم يشعر بأن الالتزام واجب، وإنما هو شيء طبيعي، بحيث لو أرغمته على ألا يؤديه لعصاك، وأداه لأنه جزء من طبيعته وتفكيره وعقيدته فإن الذي سينتجه مع الالتزام سيكون فنا.

■ وكيف يكون الاسلام عقلية الأديب المسلم؟

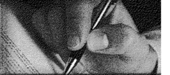
- من المعروف أن عقلية الأديب المسلم عقلية تكونت في ظلال العقيدة الإسلامية، وهذا التكوين الإيجابي الذي يستمد مقوماته الأساسية من الكتاب والسنة، وما دار حولهما من حركة فكرية واسعة يعطي العقل والنفس حركة واسعة، وقدرة ماتزة تستطيع أن تكشف طبيعة بعض العلاقات الكونية الدقيقة، وذلك بما يتهيأ لها من قدرة تفكيرية وانفعالية تتآزران في إبراز معالم تلك العلاقات ولا تغيب عن البال أن العلاقات بين الظواهر الكونية هي علاقات منضبطة، بعيد عن مبدأ الاحتمال والعشوائية والفوضوية لأنها علاقات مقدرة بخلق الخالق سبحانه وتعالى وتقديره لها.

ويتطلب من الأديب مطابقة التجربة الشعورية للتجربة التعبيرية.. والتجربة الشعورية هي في الأصل فكرة ذهنية تشبعت بها النفس، وشكلتها من خلال طبيعتها التكوينية، ثم أفرزتها في صورة تعبيرية مؤثرة كانت تلك الصورة أو غير مؤثرة، والنفس هي بؤرة الإيمان، فإذا كان الإيمان قد استقر بداخلها وطبعها بطابعه فإن تشكيلها للتجربة الإبداعية سيصطبغ بتلك الصبغة الإيمانية الاعتقادية أيا كانت طبيعة ذلك الانتماء الإيماني والصدق الفني حتى وإن دلس على النفس أحيانا، فإنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون بعيدا عن المكونات الروحية والذهنية للأديب، ولأن تلك المكونات هي التي ستكون قد شكلت اهتمامات الأديب فكريا. وهي التي ستكون وشيجة للتجربة الإبداعية، فإذا كان المبدع والمتلقي يلتقيان في تكوينهما النفسي والعقلي فإن التواصل بينهما سيكون ميسورا، والاستجابة ستتحقق لتأليف الطبائع وتلاؤم الذهنيات، وانجذاب بعضها إلى بعض ولعلك تدرك ما تحدثه القصائد الدينية الإسلامية من هزات وجدانية عند المتلقي المسلم، وما ذلك إلا لطغيان العاطفة الدينية على الحاسة الفنية عند العامة فكيف إذا كان مثل ذلك الشعر يحمل صورة تعبيرية مؤثرة. لأن ذلك سيرفع من حيز ذلك الشعر الاستجابي فنيا ومعرفيا عند الخاصة والعامة على حد سواء.

وإذا تناول الأديب تصوير تلك الحركة الكونية المقدرة، فإنه إنما يتعامل مع الواقع في حدوده المعقولة دون تزييف ذلك الواقع، وهذا يتيح للأديب اقترابه من طبيعة الحياة الإنسانية في منظومتها المتساوية التي يأخذ بعضها بحجة بعض، لأن التزييف للواقع ومغالطة العواطف يجعلان التجارب الأدبية بعيدة عن ثقة المتلقي واستجاباته، ولن يتم التعامل مع الواقع في حدوده المعقولة إلا من خلال رابطة التوازن بين الذهن والنفس وبين المادي والروحي وهذا التوازن بين الذهن والنفس ما هو إلا نتيجة طبيعية لذلك التوازن الأشمل والأسمى لحركة الكون التي قدرها الله وحده.

وعلى هذا الأساس فإن وجدان الأديب المسلم إذا تناول حقائق الكون الكبرى، فإنما يتناولها مرتبطة بالخالق دون انفصام، مما يجعل تجاربه منسجمة مع طبيعة تلك الحقائق، وهذا التوازن في صورته المثالية هو الذي افتقده الفكر الأجنبي من شيوعية ووجودية وغير ذلك وكل النظم الثقافية وغير الثقافية التي لا تنتمي إلى مصدر المعرفة الربانية فإنها لن تحقق موجبات الحق والخير الذي ينشدها الإنسان في كل زمان وكل مكان.

الإسلام يشجع الشعر الملتزم .. ويرتقي بالكلمات البلاغية والفكرية للأدباء المسلمين



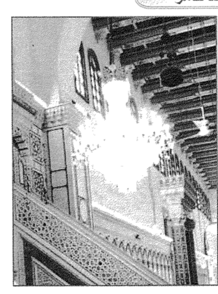
نحو نظرية نقدية للخطب المنبرية

أبرز السمات الفنية لتراث الشيخ عبدالحميد كشك

عامر أحمد عامر

هذه هي الحلقة الثانية من حلقات «نحو نظرية نقدية للخطب المنبرية»، أو إن شئت فهي الأولى إذا عدت سابقتها توطئة وكشفا لمعالم السبيل التي ستمضي فيها تلك الحلقات.

وقد رأيت أن تكون البداية مع الداعية الشيخ عبدالحميد كشك فالرجل، فضلا عن أنه صاحب تفرد في الأداء وتميز في الأسلوب وشكل غير مسبوق في العرض، وأن له مكانة خاصة في قلوب طائفة من المسلمين لا يحصيها إلا الله وحده، وأن خطبه مازالت تحتفظ برونق ذي طابع خاص رغم فر الأيام وكر السنين عليها، له تأثير بيّن في أداء كثير من الخطباء والدعاة، لدرجة دفعت بعض محبيه إلى القول: «إنه ما من خطيب في العالم الإسلامي إلا تأثر بشكل أو بآخر بالشيخ كشك» -رحمه الله-، أو «أنه أثر في كل من جاء بعده»، ومع ما يمكن أن يشم في مثل هذا الكلام من مبالغة ربما قد تكون غير مقبولة عند البعض، فإنه لا يخلو من صواب، لاسيما إن علمنا أنه قد تخرج في تلك المدرسة العملاقة أئمة أعلام يشار لهم بالبنان اليوم، لعل في مقدمتهم الشيخ الداعية الكويتي أحمد القطان والعالم الجليل محمد حسان وغيرهما كثير من الأعلام والمشاهير ومن غيرهم، بل قد وصل الأمر إلى ما هو أبعد من التأثر، فقد رأينا من يستظهر خطب الشيخ ليلقيها على الناس بلا أدنى وعي لما بها- أو قد يعي- حتى إنك لو سألته عن بعض المعاني لما وجدت جوابا، وما أظن هذه النماذج من الخطباء قد انقرضت حتى يومنا هذا.



ومازلت أذكر يوم وقف أحد زملائنا في المرحلة الثانوية ليلقي كلمة الصباح في الإذاعة المدرسية، ولم تكن تلك الكلمة إلا جزءا من خطبة للشيخ يلقيه الزميل بنبرات وأداء وحدة تقترب من أسلوب الشيخ، وهذا كله حسن، إلا أن غير الحسن أن الزميل قال «موعدنا اليوم مع الدرس الحادي عشر بعد المئة الثانية» (هذا الرقم من عندي لأني لا أذكر بالضبط الرقم الذي ذكره)! وقد كان الشيخ يؤرخ لخطبه بهذا التعداد، وذاكرة القرية المصرية، على وجه الخصوص، مازالت تحفظ من هذه النماذج عددا غير قليل.

وأول ما يمكن أن يلحظه الناظر في تراث الشيخ كشك الخطابي ما أوتيه من إجادة عجيبة للغة العربية، تخطت المستوى الشكلي من رفع للفاعل ونصب لاسم «إن»...إلخ، إلى ما هو أسمى وأرفع من فصاحة وبلاغة وبيان، حتى إنك تشعر أنك أمام نص أدبي راق جدير بالدراسة الأدبية، وهو ما يجعل الحديث عن السمات الفنية لخطب الشيخ كشك -رحمه الله- في موضوع كهذا صعب المنال، إذ كل خطبة ألقاها هذا الرجل تحتاج إلى وقفات وتأملات طويلة، وهذه السلسلة كما سبق أن أشرنا لا تعدو إلا أن تكون فاتحة شهية للباحثين والدارسين للمزيد من البحث العلمي الدقيق والتمحيص الفني العميق لذلك التراث الخطابي الذي بين أيدينا.

وكان من التراكيب اللغوية التي انفرد بها الشيخ قوله حينما يصف بعض المسائل أو القضايا «اسمحوا لي أن أعنصر مراكزها، وأمركز عناصرها، بما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير»، وكذلك قوله «كم من ملك كانت له علامات، فلما علا مات»... إلخ مما ينم عن تمكن وقدرة على توظيف اللغة قل أن نجد مثيلها، ولعل هذا من أسرار تعلق القلوب بأحاديث الشيخ، فالفطر اللغوية السليمة تتوق دائما إلى جمال العبارة وحسن الإشارة وسلامة اللفظ وجزالة الأسلوب، وتنفر من الركاكة والإنشائية الفجة، حتى إن حافظت على المستوى الشكلي للغة من نصب ورفع وجر، ويزداد الطين بلة إذا عرفنا أن بعض الخطباء مازالوا مصرين على التحدث باللهجات المحلية، غير عابئين بشيء، فماذا يمكن أن يقال لهؤلاء؟

والسبيل لتفصيح اللغة لدى الخطيب ألا ينفك عن قراءة ومطالعة النماذج العليا من الأدب، وقبلها كتاب الله العزيز وحفظه أو ما تيسر منه، وحفظ ما تيسر من تلك النماذج الأدبية التي يرجى أن تقيم سليقة لغوية سليمة فصيحة، تترك لدى صاحبها صورا

عدة وأنماطا متباينة لما يمكن أن تكون عليه الجمل والعبارات والتراكيب.
ومن صور إتقان الشيخ للغة أنه حين كان يشجع الطلاب على الجد والاجتهاد والمثابرة، يلقي عليهم ملخصا سريعا لدروس النحو أو الصرف أو البلاغة، فكان يقول «اعلموا أن المرفوعات كذا وكذا، والمنصوبات كذا وكذا... الخ، والكلام خبر وإنشاء، والإنشاء ينقسم إلى ...إلخ، كل ذلك في خطبة الجمعة، في وقت يسير لا ينقص من موضوعها الأساسي شيئاً، وتراه كذلك يتعرض لمسائل لغوية تخدم موضوع الخطبة، فيعرب جملة، أو يشرح صورة بلاغية... إلخ، وما أكثر ما كان يحدث مثل هذا.

التصوير عند الشيخ كشك

وكان من أهم ما يميز خطب الشيخ كشك والذي إذا قرأته أيقنت أنه من كلامه أو من كلام متأثر به التصوير والتجسيد، وأشهر ما في هذا الباب قوله الذي كان كثيرا ما يردده «هنا مدرسة محمد ﷺ، مكتوب على بابها وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (وقد تتغير المقطوعة الأخيرة)، وكذلك ما كان يقوله إذا أراد أن يحكي قصة وقعت في بيت المقدس مثلا «أنتقل بحضراتكم الآن إلى بيت المقدس» وبعد أن ينتهي يقول «أعود بكم من هناك إلى هنا، من هناك، حيث المسجد الأقصى، إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة محمد ﷺ...»، وأحيانا كان يقول من هنالك إلى هناك إلى هنا إذا كان التنقل بين ثلاثة أماكن، ولا يخفى ما في هذا التصوير من تقريب المعنى إلى المتلقي وجذبه إليه والاستمتاع به، وهذه نقطة يغفل عنها كثير من الخطباء، وهي خلق جسر تواصل بينه وبين المستمع بالتصوير أو بغيره، حتى لا يكون في واد ومن أمامه في واد آخر.

دور المنبر عند الشيخ كشك

كان دور المنبر عند الشيخ جليا واضحا مذ بواكير خطبه، أو قل مذ أول صعدة صعد فيها المنبر، فيروي الشيخ أن أول خطبة خطبها كانت في مدينة شبراخيت بمحافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية التي ولد فيها عام ١٩٣٣، وتحدث عن الفساد المستشري في مستشفى ذلك البلد آنذاك، ما دفع مدير المستشفى إلى شكواه، وهو ما مثل إرهاصا بما تلاه من صدامات أخرى جاءت نتيجة لجرأة الشيخ وعدم خوفه في الحق لومة لائم، وكان من عواقب هذا أن حرمت القلوب الظمئة من غيثها، فاعتقل الشيخ فترات، وأوقف عن الخطابة أخرى.
والحق أن دور المنبر في المجتمع وحل قضاياه لا ينبغي أن يتجاهل، والخطيب الناجح هو الذي يتناول ما يشغل مجتمعه ليجد عنده كل صاحب هم فرجه، وعيب أي عيب أن يطعن الإسلام في مقتل، ويستقطب شبابه وطاقاته، ثم لا يتناول شيء من هذا في المؤتمر الأسبوعي للأمة، وأن تكون الموضوعات سطحية مكرورة، ولسان حال المتلقين يقول «هل غادر «الخطباء» من متردم؟».
آخر ما أذكره مما كان يمتاز به شيخنا الجليل- وأنا أعلم أني ما وفيته حقه وأنى لي ذلك أمام هذا الحبر البحر، فهذه ليست إلا بعضا من كل، وخطوة على الطريق كما ألمحت من قبل- هو ما كان يجب أن تكون له الصدارة، لكني أخرته لأن الكلام فيه ربما يكون غير مجد، فهو إلى الفعال أحوج، ناهيك عن أن يكون الكاتب فيه أردأ حالا من القارئ، ذلك الذي يستعصي على كثير من العلماء والعبّاد، والذي كانت تنطق به نبرات الشيخ التي كان يختبئ وراءها حزن دفين، وكذلك ما كان يفعله حينما يسأل الجمهور سؤالا تقريريا: من الواحد؟ من الماجد؟... إلخ بنبرات تهز الجبال هزا، أو حين ينادي يا اللـــه.. إنه الاخلاص والزهد فيما عند الناس والطمع فيما عند الله، والإحساس العميق بما يُتكلم به، فيما يشبه إلى حد كبير صدق التجربة الشعرية عند الشعراء، مما يترك أثرا منقطع النظير لدى المتلقي.

مآخذ موضوعية

وجدير بنا، ونحن نضع بين يدي القارئ دراسة موضوعية، أن نشير إلى نقطتين اثنتين أخذنا على الشيخ، الأولى تتعلق بتوثيق المادة العلمية، وقد رد عليها الشيخ نفسه ردا معقولاً ذات مرة بأنه وإن كان يستشهد بالأحاديث الضعيفة فإنها يؤخذ بها في فضائل الأعمال، ومن أشهر هذه الأحاديث والآثار قصة ثعلبة التي ما خلت منها معظم التفاسير، وحديث «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع...» وهو موضوع لا أصل له، وغير ذلك، وقد التمس الشيخان الجليلان محمد حسان وأبوإسحق الحويني العذر للشيخ في هذا، فالأول قال: «إني أتقرب إلى الله بحب هذا الرجل... إنه لم يجد من يقرأ له» (على اعتبار ما ابتلي به الشيخ من فقد للبصر)، والثاني قال «إنَّ الحركة العلمية كانت هامدةً في ذلك الوقت، وكل من تصدَّر لوعظ الناس فهو عندنا عالمٌ، فما بالك بأشهر الواعظين عندنا في ذلك الزمان- وهو الشيخ كشك- رحمه الله- الذي كان له بالغ التأثير في الناس بحسن وعظه، ومتانة لفظه، وجرأته في الصدع بالحق، لم ينجُ منحرفٌ من نقده مهما كان منصبه، وكان في صوته- مع جزالته- نبرة حُزن، ينتزع بها الدمع من المآقي انتزاعاً، حتى من غلاظ الأكباد وقساة القلوب، فكان هذا الشيخ العالم الأول والأخير عندي، لا أجاوز قوله. وقد انتفعت به كثيرا في بداية حياتي، كما انتفع به خلقٌ، لكنني لما طالعت «السلسلة الضعيفة» وجدت أن كثيراً من الأحاديث التي يحتج بها الشيخ منها، حتى خيل إليَّ أنه يحضر مادَّة خطبه من هذه «السلسلة»، وسبب ذلك فيما أرى أن الشيخ حفظ أحاديثه من كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي، وكان الغزالي- رحمه الله- مزجى البضاعة في الحديث، تام الفقر في هذا الباب» (منشور على الشبكة العنكبوتية تحت عنوان حلو المذاق في سيرة كشك والحويني أبي إسحق).
أما النقطة الثانية فهي نقده اللاذع وذكره أسماء المنتقدين صراحة على المنبر أو في الدروس، وقد قال الشيخ في إحدى خطبه إنه يتعمد ذكر الأسماء من باب قول الرسول ﷺ «اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس» وهو حديث قال عنه الألباني «ضعيف جدا» وحسبنا أن نشير هنا إلى أنه كان من هدي الرسول ﷺ في مثل هذه الأمور أن يقول «ما بال أقوام يقولون كذا أو يفعلون كذا».. على أي حال فإن عبدالحميد عبدالعزيز كشك الذي تخرج في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر وتوفي وهو ساجد كما كان يتمنى هو رائد المدرسة الخطابية في العصر الحديث بلا منازع.. رحم الله الشيخ رحمة واسعة ونفع بعلمه إلى يوم الدين.

في دراسة عن أدب الأطفال والخيال العلمي من منظور إسلامي

الأدب الإسلامي ينقل الطفل من التمركز حول ذاته إلى التفاعل مع الآخرين

محمد عويس

مفهوم أدب الأطفال بمعناه العام يعني الإنتاج العقلي في كتب موجهة للأطفال في شتى فروع المعرفة، أما أدب الأطفال بمعناه الخاص، فهو يعني الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة، سواء كان شعراً أم نثراً، وسواء كان تعبيراً أم تحريرياً، تشير د. نيفين محمد كمال بقسم اللغة العربية بكلية الألسن جامعة عين شمس في دراسة لها بعنوان «أدب الأطفال والخيال العلمي في ضوء المنظور الإسلامي» إلى أنه لكي يحقق هذا الأدب أهدافه يجب ان تتوافر فيه الشروط الآتية:

- يخرج بالشكل الجيد المناسب للأطفال مما يجذبهم ويستهويهم.
- مضمونه صحيح من الناحية العلمية، هادف من الناحية التربوية.
- ملائم لمرحلة نمو الطفل وخصائصه في هذه المرحلة.
- معروض بطريقة شائقة تتفق ومعايير أدب الأطفال.

لذلك يجب أن يوجه الجهد الأكبر لمحتوى كتب الأطفال العربية، وأن تبذل عناية خاصة لتدريب من يتصدون لتأليف هذه الكتب ونشرها وإخراجها، وتوعيتهم حتى لا تتحول كثير من الجهود التي تبذل في هذا الميدان إلى جهود لا طائل منها، أو تسيء إلى الأطفال من حيث أرادت أن تحسن إليهم، ونلاحظ أنه على الرغم من أن القصص الخرافية والأساطير بمفاهيمها القديمة التقليدية قد تغير أثرها الكبير، فإنها مازالت تمثل اتجاهاً قوياً لا يمكن إنكاره في أدب الأطفال، بجانب الاتجاهات الحديثة التي بدأت تثبت وجودها وتؤكده بإصدار الكتب الإعلامية والمصورة وكتب القصص البوليسية والألغاز، وكتب الخيال العلمي التي تتفق مع التقدم المعاصر في مجالات العلم والتكنولوجيا، بل إن هناك من يرى أن هذا التقدم المعاصر المدعوم بسيطرة العقول الالكترونية ببرامجها الحديثة قد فاق خيال الكتاب والمؤلفين.

أما الخيال العلمي فهو ضرب من القصص يوظف فيه الأديب منجزات العلم، أو يستشرف ما يمكن أن يأتي به المستقبل من تكنولوجيا، عندما يطوع العقل الطبيعة لخدمة الإنسان وتقدمه بعد فهمه لقوانينها، ومن ثم تتخذ هذه القصص بيئتها في أماكن غير تقليدية كالكواكب، وأعماق البحار، وباطن الأرض، ويصبح السفر في الفضاء والغوص في البحار، واختراق جوف الأرض والمغامرات وسائل لإقامة هيكل الحكاية في هذه البيئات لتلك القصص، وقد تشكل بعضها «الفانتازيا» التي تعني ذلك الخيال الجامح الذي لا يتوقف عند حدود، فهي اختراق واضح لكل حدود الأزمنة والأمكنة، وقد تشكل هذه «الفانتازيا» بعض هيكل الحكاية مع استفادتها من الفروض العلمية التي تسمح لخيال الكاتب بالانطلاق، فيتصور عوالم ليست واقعية، ولكن يمكن تصورها، ولا تتنافى مع ما يتيحه من مناهج أو تجاوز للواقع المعيشي، بحيث يمكن عد هذه العوالم خيالاً محضاً، لكنها في الوقت نفسه امتداد لهذا العالم الذي نعيش فيه، أما عن تسمية هذا النوع بقصص الخيال العلمي فهي وليدة العصر الحديث، ومن أهم رواد هذا القصص حديثاً الكاتبان جول فيرون الفرنسي، وأهم انتاجه «خمسة أسابيع في مناط» سنة ١٨٦٣م، وهـ ج ويلز وأهم إنتاجه «آلة الزمان» ١٨٩٥م.

إلا أن تجاوز الحد المعقول، والإفراط في عنصر الفانتازيا، قد يشكل قصصا للأطفال مفعمة بالوهم لا التخيل، مما يبعد الأطفال عن الواقع وينفرهم منه، ويغرقهم في الوهم والخداع، أما عن الخيال العلمي في الأدب العربي، فإن تراثنا يضم بذور قصص تحتوي على الخيال، مثل ما قام به عباس بن فرناس عندما حاول الطيران بجناحين صنعهما من الريش، لكنها لم تستثمر أو توظف في أشكال فنية لتحقيق الغايات المنوطة بهذا الضرب من القصص، هذا.. ولا يغيب عنا الكثير من الأحداث في «ألف ليلة وليلة»، «حي بن يقظان»، وسير «سيف بن ذي يزن»، و«عنترة» و «الظاهر بيبرس»، وغيرها مما ينطلق فيها الخيال انطلاقاً، ومن أشهر كتابنا في هذا اللون نهاد شريف فهو لا يكتب عداه، ومن أشهر إنتاجه «أنا وكائنات الفضاء ١٩٨٣م»، «احزان السيد مكرر ١٩٩١م»، وفي مجال أدب الأطفال «رحلة إلى القمر» لأحمد نجيب و«علاء وحده في العالم» لمصطفى رمزي.

وحول المنظور الإسلامي لعلاقة الخيال العلمي بأدب الأطفال تشير الدراسة الى انه يمثل نظرة جمالية منفتحة على الإنسان والآفاق، وذلك لأن النظرة

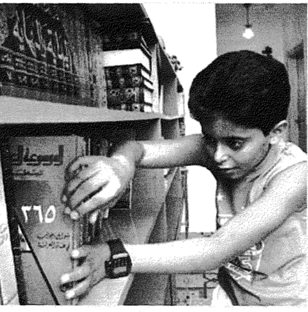
تراثنا يضم بذوراً لقصص الخيال العلمي لكنها لم توظف لتحقيق الغايات المنوطة بها

الإسلامية في جوهرها نظرة كونية، فالإنسان المسلم إنسان كوني لا تحده حدود العنصرية أو الاقليمية، ولا يصطدم مع المثل العليا والمبادئ الإنسانية، أما عن غايته فهي بناء طفل اليوم ورجل المستقبل، خاصة أن الأدب الإسلامي قادر بمزاياه الفنية والنفسية على أن يشبع اهتمامات الطفل، ويقدم له الغذاء النفسي والفكري، فيتحول من حالة الفردية التي يتمركز فيها حول ذاته، إلى كائن اجتماعي يتفاعل مع الآخرين، ومن امثلة ذلك: مقطوعة «الفيل وأمة الأرانب» للشاعر أحمد شوقي في ديوانه للأطفال، وفيه يحث على الاتحاد والتشاور لمواجهة المحتل الدخيل، ومثله ديوان الأطفال لمحمد الهواري وفيه تفاعل بين أدب الأطفال ومتغيرات الحياة، كذلك يقدم أدب الأطفال الإسلامي طائفة من القيم، كالحرية والحرص على التعليم، والتفكير والبحث ورفض التقليد، نجد ذلك في ديوان الشاعر إبراهيم العرب، فللأطفال مقطوعات تستهدف توعيتهم بهذه القيم التي يوليها الدين اهتماماً خاصاً، ولها في عصرنا رابط، بما فيه من منجزات ومتغيرات.

والأمثلة في القصص القرآني جد كثيرة، مثل قصص أحمد شوقي للأطفال، حيث وظف فنيا سفينة نوح عليه السلام في تسع قصص مختلفة للأطفال، وأيضا قصة سيدنا سليمان عليه السلام ومعرفته لغة الطير، وفيها تثبيت لقيم الوفاء، وحسن الخلق والأمانة، والتواضع وكذلك مجموعة «القصص الدينية» باشراف محمد برائق، ويقترن بها مجموعات «قصص الأنبياء» لعبدالحميد جودة السحار.

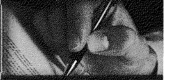
وفي السيرة النبوية أيضاً مجموعات «محمد خير البشر» لعبدالتواب يوسف، حيث يوظف الحوار مع السرد للكشف عن جوانب عظمة النبي ﷺ، وفي المصادر التراثية حكايات من كليلة ودمنة للكاتب وصفي آل وصفي في سلسلة أصدرتها دار المعارف بالقاهرة، ومن أوائل الكتاب الذين حاولوا الاستفادة من قصص «ألف ليلة وليلة» كامل الكيلاني (١٨٩٧ -١٩٥٩م)، فكتب عشر قصص منها «عبدالله البري»، و«عبدالله البحري» وغيرهما.

هذا، ومن ناحية أخرى يمكن استخدام الخيال العلمي في أدب الأطفال أداة لغرس ركائز الدين، وذلك للعلاقة الوثيقة بين الكلمة والمعتقد في الإسلام، وهذا يبني الحياة ولا يهدمها، واذا كانت الموضوعات التي يتعرض لها الكتاب المعاصرون اليوم تتمثل في ازاحة الجنس البشري بواسطة جنس آخر، قد يكون من القردة مثلما فعل بييربول أو الحشرات العملاقة، أو بغزو من الفضاء من قوم مجهولين يسكنون الفضاء البعيد، يجيئون في مركبات أكثر تطوراً، ويمتلكون أسلحة أشد فتكاً من التي يمتلكها الإنسان، وحرب الكواكب واستعمارها ونقل الصراع البشري إليها، وسيطرة العقول الآلية على الإنسان وتخلي البشر عن دورهم في قيادة العالم مثل رواية أرثر كلارك «٢٠٠١ أوديسا الفضاء»، وهنا نكون بحاجة الى ادب اسلامي يواجه هذا التباين الذي يفقد الأطفال توازنهم الفكري والعقدي، فنقدم لهم مثالاً للسياحة الفضائية، حيث تسبح الشمس والقمر والأرض والكواكب والنجوم والمذنبات في سباحة فضائية تمثل تسبيحا وسجودا للخالق العظيم، فكل ما في الكون يسبح لخالقه، وليس لقوى أخرى تحكمه وتسيطر عليه كما في مخيلة كتاب الخيال العلمي، مثل دوريس ليسنج في ثلاثية شيكاستا- فليس في الوجود إلا إله واحد لا شريك له، تخضع لمشيئته



نواميس الكون، فجاء قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفورا﴾ (فاطر-٤١).

وفي قمة من قمم العلم تمكنت العلوم المكتسبة من التعرف على عدة من القوى التي تمسك بأجرام السماء، منها «قوى الجاذبية» التي تربط بين كل أجزاء السموات والأرض بإرادة الخالق عز وجل، ولولا هذا الرابط المحكم الذي أوجده الله لا نفرط عقد هذا الكون، وبها نستطيع أن نفسر للطفل كيف أن الرجل على سطح القمر يستطيع أن يقفز فوق قمة جبل مثلا في خطوة واحدة، وأن يرفع صخرة ضخمة بيد واحدة دون تعب، حيث توظف النظريات العلمية المتصلة بطبيعة القمر، ويمكن تقريب قصة الإسراء والمعراج من مستوى الأطفال وتصورها،حيث توظف النظريات العلمية وتجسيد الأحداث في غرس كثير من قيم الدين ومبادئه، وتقوية صلة الأطفال بعقيدة الوحدانية، مما يحقق التوازن العقدي والفكري لهم، والاستقرار النفسي والولاء لوطنهم، وبذلك يكون الخيال العلمي قوة إقناع حقيقية، وأداة فعالة في ترسيخ الإيمان، ويبرز دوره في بناء العقول على أسس صحيحة، وهو دور يتجاوز كونه وسيلة للترفيه، ليصبح تعبيراً صادقاً عن العقيدة والحياة.



تعقيباً على مقال «نحو نظرية نقدية للخطبة المنبرية»

خطبة الجمعة.. الإرث التاريخي والدور المنتظر

جذبني في العدد السابق من «الوعي الإسلامي» مقال «نحو نظرية نقدية للخطب المنبرية» للكاتب عامر أحمد عامر، الذي تحدث عن «خطبة الجمعة»، وما ينبغي أن نوليها إياه من عناية فاحصة ودراسة ناقدة، سعيا الى تأسيس نظرة جديدة الى هذه الشعيرة السامية التي تمارس تأثيرا مباشرا في الوجدان الجمعي للمسلمين منذ ما يزيد على اربعة عشر قرنا.

شعبان السيد

ولعل أهمية المقال المذكور تنبع - بداية - من جرأته على الولوج الى هذه الشعيرة الركينة، التي هي من أكثر الأنشطة الدينية في حياة المسلمين علوا وخطرا وأثرا في وقت معا، وان ظلت قدرة المقال على تحقيق التأثير المبتغى رهنا بحصيلة الجدل المتوقع اشتعاله حول هذا الموضوع المفرط في الحساسية، اذ يستطيع المرء التكهن بالانقسام المنتظر حيال الرغبة في التغيير في «خطبة الجمعة»، بين فريق يلاقيها بحفاوة واستبشار، وفريق يجابهها بامتعاض ورفض.

وربما كان مما يزيد صعوبة البحث النقدي في هذه القضية الشائكة، المكانة السامية التي تتسنمها خطبة الجمعة في حياة المسلمين، وكذلك الارث التاريخي الثقيل الذي تراكم على كاهلها منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا، في الشكل والمضمون على السواء، ومن ثم سينشب التجاذب بين من يعتبرون خطبة الجمعة شعيرة يجب ان يحافظ الجميع على ثباتها شكلا ومضمونا، معتقدين ان اي تغيير لتقاليدها الراسخة هو اعتداء على مكانتها وجوهرها، ومن يعتبرون هذه الخطبة رسالة ابداعية انسانية، شأن سائر ألوان الخطاب الابداعي، او هكذا ينبغي، بحيث لا تتعارض قداستها مع ان تتفاعل مع متغيرات عصرها، وظروف واقعها وملابساته، وان تشتبك مع ما يكتنف حياة الناس من مشكلات وظروف، وما يشغل عقولهم من آمال وتحديات.

وفي تقديري ان القضية على جانب كبير من الخطر والدقة، مما يوجب التسلح بالحصانة والحيطة في مناقشتها، ذلك ان خطبة الجمعة في نهاية المطاف تقليد ابداعي موغل في القدم، وهو كذلك مزيج بين ما هو ثابت كالنص الديني من قرآن وحديث شريف، وما هو متغير من سمات أسلوبية وخصائص تعبيرية ومضمون ثقافي. واذا كان الثبات في الجانب الاول يوجب ان تستند مقاربته الى ما هو خليق بقدسيته من دراية واسعة وإلمام عميق ومعرفة بأصوله وفروعه، فإن قابلية التغير في الجانب الثاني من الخطبة تستلزم مراعاة المستجدات المعرفية في عصرها وضرورة ان تستجيب الخطبة لقضايا واقعها، ومعايشة ما يفرض نفسه على حياة الناس من مسائل متجددة ومناهج لرؤية الواقع هي بطبيعتها تتباين في كل زمن، وتتغاير في كل قطر.

وبناء على ما سبق ينعدم المبرر المعقول للاستسلام لما درج عليه كثير من الخطباء، اذا يخفقون في الانفلات من اسر الارث التقليدي الذي تحمله خطبة الجمعة من سمات اسلوبية وطرق للأداء ومسالك في مخاطبة الناس، وهذا البقاء في أسر التقليد يأوي اليه البعض اما انصياعا للمألوف، واما خشية من تغييره، حتى أضحى المسلم في حياتنا المعاصرة يعيش ما قُدّر له من حياة لا يجد فارقا كبيرا- وربما قليلا - بين خطبة سمعها وهو في الخامسة عشرة من عمره وخطبة سمعها وهو في الستين، على رغم الاختلاف الكبير في سيول المياه التي مرت يقينا من تحت جسر الواقع في هذا البون الشاسع من الزمن!

أليس الجمود الذي تتسم



به خطبة الجمعة يمثل أزمة حقيقية، في إطار ما يمكن تسميته ازمة الخطاب الاسلامي، في التقاصر عن اداء الدور المنوط به والمنتظر منه على صعيدي الداخل والخارج، صيانة لمقدرات العالم الاسلامي وهويته في عصر يموج بتحديات كبرى تقف وراءها وتغذيها «ميديا» اعلامية مسلحة بتقنية فائقة من ناحية، ومفاهيم غريبة قليلها نافع، واكثرها يتخاصم مع ثوابتنا، فضلاً عن ان يهدد وجودها ذاته.

في ظل هذا الصراع الذي يبدو ناعما احيانا، وان كانت نعومته الخادعة لا تخفي ضراوته الطاحنة، يروع المتتبع لما يلقى في مساجدنا من خطب الجمعة في عصرنا هذا، تقادم المضامين التي تدور حولها هذه الخطبة، الى حد انها بدت منفصلة عن قضايانا الحالية انفصالا تاما، فبينما يخوض العالم الاسلامي معركة وجود أمام تهديدات العولمة، وتقف جمهرة الشباب المسلم حائرة تجاه هذا الفيضان العولمي الذي يغمره من كل صوب، نجد خطبة الجمعة لا تزال تخاطب الناس بقضايا وكلمات وتعابير تراكم عليها غبار الزمن، فصارت غريبة عن عصرنا غربة فارس عاد من زمن قديم يحمل سيفا ويمتطي جوادا، وقد اراد النصر في معركة معاصرة، غير منتبه الى ان سلاحه البدائي لم يعد يجديه نفعا ازاء أسلحة العصر من قنابل وصواريخ.

في عصرنا هذا تتعين اعادة النظر في خطبة الجمعة في إطار تقويم منظومة الخطاب الاسلامي برمته، ذلك اننا يجب ان نحول هذه الخطبة الى مؤسسة اعلامية فاعلة في حياة المجتمع والانسان في عالم الاسلام، وهو ما لا يتأتى الا اذا خرجنا بها عن تقليديتها، وخلصناها من جمودها الذي تئن تحته منذ عقود وقرون.. فإنسان عصر الفضاء والانترنت والتراكم العلمي المذهل لم يعد يرضى بخطبة جمعة مستعارة من عصور غابرة، تناقش قضايا تجاوزها الزمن، وتصطنع اسلوبا تكالبت عليه أمراض الشيخوخة، فلم يعد قادرا على تقديم فائدة، ولا اجتذاب عقل، ولا استمالة قلب.

أخيرا، لعل مقالة «نحو نظرية نقدية للخطب المنبرية» تفتح نافذة علمية لدراسة هذه القضية المهمة فقد حان الوقت كي تخرج خطبة الجمعة من قمقمها القديم الذي حبستها فيه ثقافة التقليد، لتبدأ في استنشاق هواء جديد، يتيح لها ان تجدد حياتها وقدرتها على مواجهة العصر الحالي بثقافته المختلفة وإنسانه المغاير، ويصبح في وسعها قيادة المسلمين الى تبني العقيدة الصحيحة واعلاء شأن العقل والعلم، والشجاعة في مواجهة الآخر بغير وجل ولا استعلاء، وحفز المسلمين على تحقيق التعايش بين الدين والعلم، حتى يمكن للمسلم - في وقت واحد - ان يتمسك بإسلامه بينما يظل عنصرا متصالحا مع عصره، مؤثرا في عالمه وفاعلا في ارتقاء حضارته.



عَبْرة ودعاء

سعد القليعي

يا صاحبي أخمر في كؤوسكما
أم في عيوني أحزان وتقريح؟
حتى تبدّى لها في فرحها نوب
وغاص في سكرها النشوان تبريح
لم تبق في مهجتي «ياريمُ» أغنية
ولا بشعري عصافير ولا روحُ
وكيف أشدو، ووجه الشمس منكفئ
على دمانا.. وعري الأرض مفضوحُ
هذا أخي «فلسطين» تمزقه
يدُ التتار، فتبكي ثأرهُ الريحُ
وأمه تشتكي لله أمتها
يكفيهمُ من عُرى الإسلام تسبيحُ
فعرضنا في يسار الأرض منتهك
وديننا في يمين الأرض مذبوحُ
وقد حبانا إله الكون مكرمة
نحن الألى لاعوجاج الركب تصحيحُ
ما بالنا اليوم ننسى عهد خالقنا
نبكي إليه، وكم تبكي التماسيحُ!
جهادُنا عبرةٌ في الليل نذرفُها
وغاية الذود تنديدٌ وتصريحُ!
جيوشنا درعُ حكّام لنا جُمعت
كم هزّنا من دعاوي البطش تلميحُ
وقد نسينا «صلاح الدين» مُندفعاً
وكم ينادي دمٌ - يارب - مسفوحُ
شبابنا ثورةٌ من أجل أغنية
وقبحنا عند أهل الذكر ممدوحُ
أعداؤنا أحكموا قبضاً وسيطرةً
وسيفنا في ملاهي الرقص مطروحُ
يارب فارجع لنا تاريخ قوتنا
ياصاحبَ الأمرِ.. إنَ القلبَ مجروحُ



العطاء الحضاري للإسلام.. روح متجددة ومعين لا ينضب

صلاح حسن رشيد

هذا الكتاب (العطاء الحضاري للإسلام) لمؤلفه المفكر الإسلامي د.محمد عمارة، يعد من أهم الكتب التي تغوص في أعماق الفكر الإسلامي، لاستخراج الكنوز التي تضمنتها الشريعة الإسلامية في مختلف أطوارها ومراحلها.

لقد عمد - المؤلف- إلى الوقوف على المحطات الرئيسة التي انطلق منها الفقهاء والعلماء والمفكرون الإسلاميون الذين يطلق عليهم «المجددون» الذين ينفضون عن كاهل الإسلام كل ما يعلق به من أوشاب المفاهيم وأخطاء التأويل من غلاة الفكر والرأي.

لقد استطاع المؤلف أن يعرض من خلال هذا الكتاب بعض جوانب العظمة والتألق والإبداع الذي رافق مسيرة الحضارة الإسلامية منذ مولدها.. وكيف أفاء الإسلام على البشرية بمبادئ الحق والعدل والخير الذي لم تعرف البشرية مثله أبدا، فالأمة الإسلامية- كما يقول المؤلف- هي النموذج الأسمى في العمل الخيري، وفي العقلانية المؤمنة التي تؤمن بالتنوع والتعدد والاختلاف.

في البداية، يشير المؤلف إلى أن أمتنا وُلدتْ من بين دفتي «القرآن الكريم» الذي انبثقت منه «الجوامع الخمسة» التي بلورتْ هذه الأمة ووحّدتها وميّزتها عبر تاريخها الطويل، هذه الجوامع هي «العقيدة والشريعة والحضارة ووحدة الأمة ودار الإسلام» ومن القرآن الكريم تبلورتْ منظومة القيم والثوابت التي أصبحت معايير إسلامية الأمة وإسلامية الدولة وإسلامية الحضارة وإسلامية الحياة.

ولهذه الحقيقة تجاوز الإسلام حدود الدعوة الدينية إلى حيث أصبح أمة ودولة وحضارة منذ فجر ظهوره ولحظة انبثاق نور القرآن الكريم.. ولأن الإسلام هو خاتم الوحي والنبوات والرسالات.. كان القرآن- ولا يزال الحصن الذي يحمي مقومات الأمة الخاتمة من عاديات التحديات.

واجبات شرعية

وحول العطاء الحضاري للإسلام في مجال «حقوق الإنسان» يؤكد د.عمارة أن المسلمين عرفوا مبدأ حقوق الإنسان قديماً، ومارسوه لا كمجرد حقوق للإنسان، وإنما كفرائض إلهية وتكاليف وواجبات شرعية، لا يجوز للإنسان أن يتنازل عنها أو يفرط فيها حتى بمحض اختياره إنْ هو أراد!

جوانب التشريع الإسلامي

يقول د.عمارة: إن الدعوة الشاملة للإسلام تعني أنه دين ودنيا، دنيا وآخرة، ومنهاج شامل لتدبير ملكات الروح والجسد، وشؤون الفرد والأمة والإنسانية، وسياسة الدولة والاجتماع، وتقديم منظومة للقيم تحكم سائر شؤون الحياة.

قوة الإسلام الروحية أحبطت كل محاولات العلمنة والتغريب

وفيما يتعلق بالجانب العقدي والشعائري والروحي، لم يجادل أحد في استمرارية حيوية الإنسان في ميادينه، بأكثر مما هي في الشرائع الدينية الأخرى، فحتى عندما تراجعت أو عُزلتْ حاكمية الشريعة الإسلامية عن بعض ميادين الدولة والاجتماع والسياسة والاقتصاد-خاصة في ظل الاستعمار الغربي لأغلب أوطان عالم الإسلام- فلقد ظل الجانب العقدي والشعائري والقيمي قوي التأثير والجاذبية في حياة المسلمين.. وجاذبية هذا الجانب الروحي تتزايد في هذه السنوات، حيث اننا نشهد انعطافاً جماهيرياً للتدين، والحفاظ على الشعائر العبادية، وتحري معالم الحلال في العقائد والعبادات.

أما عن الشق التشريعي والقانوني في الإسلام، وتدبيره لسياسة الدولة والمجتمع والذي عزلت حاكميته عن كثير من الميادين الحياتية، لتحل محله القوانين الوضعية ذات الفلسفة الغربية في التشريع والتقنين، فإن هذا العزل لم يلق قبولاً لدى جماهير المسلمين، الذين أحسوا أن فيه قطعاً لإحدى رئتي الإسلام! ولذلك شملت حركة الإحياء الديني الإسلامي، الحديثة والمعاصرة الإسلام العقدي، والشعائري، وإسلام الشريعة، والسياسة والاجتماع، والاقتصاد جميعاً.

شمولية حركة اليقظة

وعلى حين ظن البعض أن الإسلام قد تخلى - بعد محاولات الاستعمار تحجيمه، وحصره في العقيدة والشعائر- عن شموليته وتكامل منهاجه، كانت شمولية حركة اليقظة، والإحياء الديني المعاصرة تبديداً لهذا الظن، فمحاولة علمنة عالم الإسلام ودوله وسياسة مجتمعاته لم تتجاوز القشرة التي أخذت تتحطم أمام سعي المد الإسلامي الحديث والمعاصر، ويشهد على هذه الحقيقة - حقيقة شمولية الدعوة الإسلامية، واستعصاء الإسلام على العلمنة والاختزال في العقيدة والتخلي عن الشريعة- علماء الغرب الذين وعوا أبعاد تكامل مقاصد الإحياء الإسلامي المعاصر..

فمثلاً، عالم الاجتماع الإنجليزي إرنست جيلنر يقول «إن النظرية التي يعتنقها علماء الاجتماع، والتي تقول إن المجتمع الصناعي والعلمي الحديث يقوض الإيمان الديني- مقولة العلمنة- صالحة على العموم.. وهي تتباين في التفاصيل والفروق الدقيقة من حالة إلى حالة، لكن التأثير السياسي والسيكولوجي للدين قد تناقص عملياً في كل المجتمعات، وبدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة، وعالم الإسلام استثناء مدهش وتام جداً من هذا.

فالإسلام مقاوم للعلمنة، وسيطرته على المؤمنين به قوية، وهي أقوى الآن مما كانت قبل مائة سنة مضت، فهو لم يقبل قواعد المجتمع العلماني، مثلما فعلت المسيحية بعد صراعات كثيرة ومؤلمة، وكان الإسلام على قدر من الرسوخ في المجال السياسي والاجتماعي يجعله رافضاً لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر، بحيث لا يسمح أبداً لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين لديموقراطية علمانية» فحفاظ الإسلام على شمولية دعوته حتى يومنا هذا، حقيقة يشهد بها أهل العلم، حتى من غير المسلمين!

ظاهرة اليقظة الإسلامية

ويرى المؤلف أن ظاهرة اليقظة الإسلامية والاجتماعية والإحياء الديني التي برزت واجتذبت جماهير واسعة- على نحو غير مسبوق في العقود الأخيرة، من الظلم ومن الخطأ النظر إليها عند تقويم الإيجابيات والسلبيات فيها ككتلة واحدة صماء، فإذا مثّلت هذه الظاهرة الإسلامية تياراً إحيائياً يتغيى العودة كاملة إلى كامل الإسلام، واتخاذ هذا الإسلام منهاجاً شاملاً لكل مناحي الحياة العقدية والعبادية والخلقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والمعرفية...الخ فإن في هذه الظاهرة العديد من الفضائل والتيارات التي تتمايز في إطارها العام، فهناك الجماهير العريضة، غير المؤطرة ولا المنظمة في أحزاب أو حركات، والتي اندفعت وتندفع ملايينها إلى الالتزام بأحكام الإسلام، باحثة عن حدود الله في شؤون حياتها، وعن معالم الحلال والحرام في هذه الحياة، محيية سنن الإسلام وشعائره في تفاصيل شؤونها الحياتية، وهناك فصيل وتيار العمل الخيري غير السياسي الذي أقام ويقيم في عالم الإسلام آلاف الجمعيات والمؤسسات الخيرية والإغاثية والتنموية والصحية والفكرية والثقافية والتعليمية... الخ، وهو تيار يقيم قطاعاً من البنية التحتية التي تسهم في تخفيف مشقات حياة الناس بواسطة الحلال الإسلامي، مبرزاً دور الإسلام في البناء الاجتماعي والإنساني، وهناك أهل الفكر والاجتهاد والتجديد، الذين نذروا أنفسهم لصناعة الفكر والثقافة انطلاقاً من المنظور الإسلامي، يبدعون في ميادين الفكر الإسلامي، على تعدد وتنوع هذه الميادين، إصلاحاً لمناهج هذا الفكر، وتجديداً لفلسفاته، وصياغة لمعالم وسمات وقسمات مشروع حضاري إسلامي، يكون دليل عمل لكل فصائل وتيارات الإحياء الإسلامي المعاصر، وهناك التيار الحركي المنظم والمؤطّر في أحزاب وجماعات وجمعيات ذات مقاصد سياسية. وأغلب هذا التيار- على امتداد أوطان الأمة- يلتزم الوسطية الإسلامية والاعتدال الإسلامي، فيدعو إلى برامجه ومقاصده بالكلمة الطيبة، والحكمة والموعظة الحسنة، ويحاور ويجادل الفرقاء غير الإسلاميين بالتي هي أحسن، بل يصبر ويصابر على الكثير من ألوان القهر والتضييق والعقبات التي توضع في طرقه ويعاني الابتلاء بها، وهو يحتكم إلى جماهير الأمة عبر آليات الشورى والديموقراطية.

مظاهر العنف والغضب

ويرى المؤلف أن هناك شريحة محدودة العدد، اختار شبابها طريق الغضب والرفض والعنف والاحتجاج، إمّا «رد فعل نزق» لعنف النظم والحكومات التي حرمتهم من العمل القانوني السلمي والمشروع، وإما لتأويلات فاسدة لبعض المأثورات الإسلامية، من أحاديث الفتن وآخر الزمان، ومن فتاوى عزلوها عن ملابسات صدورها، وإما للأمرين معاً، وهذه الشريحة، وإن قلّ عددها، إلا أن صوتها قد أصبح عالياً، كطبيعة أصوات الغضب والاحتجاج دائماً وبسبب من المخطط الإعلامي الخبيث الذي يسلط على هذه الشريحة كل الأضواء، ليشوه كل الصور، وليلقي ظلال هذه الشريحة على كل الموكب العريض لظاهرة اليقظة الإسلامية المعاصرة، وذلك بهدف حجب الإيجابيات الكبيرة والكثيرة لأعظم ظواهر عصرنا عن أنظار الجماهير!

ويختتم المؤلف كتابه بالدعوة إلى الوحدة الفكرية والتضامن الروحي، والالتفاف حول الرؤية الوسطية والمنهج الإسلامي الوسطي من أجل التصدي لمحاولات الغزو والاختراق الفكري والثقافي الذي يهدد الكيان الإسلامي، فالوسطية هي صمام أمان مسيرة الحضارة الإسلامية في مختلف العصور.

الفنان وجدي العربي لـ «الوعي الإسلامي»:

ضرورة الرقابة على الأعمال الفنية المبتذلة والخليعة... فالمساواة في الظلم عدل

حوار: محمد حسين

«تدينت من خلال الأعمال التي عرضت علي، فشاركت في أعمال دينية بشخصيات إسلامية كنت اسمع عنها فقط و لا اعلم عنها شيئا، فكنت أحاول أن اقرأ في سيرة الشخصية التي اقوم بها مثل صهيب الرومي وسلمان الفارسي ومصعب بن عمير وجعفر بن أبي طالب...» بهذه الكلمات لخص الفنان القدير وجدي العربي في حواره مع «الوعي الاسلامي» قصة تدينه وتحوله إلى الفن الهادف، وقال وجدي العربي الذي تربى في حي السيدة زينب ويبلغ من العمر ستين عاما انه لم يدع انه بحث عن التدين بل إن الأمر جاء إليه وحده.
التقيناه لنتعرف على جانب أخر خفي لفنان عرف في الدراما المصرية بدماثة خلقه ورقه أدائه وعمق أدواره، ... واليكم تفاصيل الحوار:

■ **كثير من الفنانين لا نعرف عنهم سوى ما نشاهده أمام الكاميرا، لكن هناك شق اعتقد أن القارئ يحرص على معرفته وهو الجانب الأخر من حياته، نريد أن نستعرض شريط حياتك؟**

- ولدت في احد الأحياء الشعبية المصرية العريقة وهو حي السيدة زينب وكان يسكن في العمارة نفسها أسفل شقة والدي الفنان حسن يوسف وأسرته وكان وقتها متعلقا بالتمثيل وكان يطلب دائما من والدي أن يعلمه التمثيل حتى ان من بين المناوشات التي كانت تحدث بين والدة حسن يوسف وبين والدتي أنها كانت تقول لوالدتي «جوزك هيخسر ابني» وكانت امى تقول لها «بكرة هتشوفيه ممثل مشهور» وفعلا أصبح كذلك.

■ **أين تلقيت تعليمك؟**

- تعلمت في مدرسة قصر دوبارة الابتدائية ثم انتقلنا جميعا لشارع الفلكي في منطقة باب اللوق ثم انتقلت إلى مدرسة الناصرية في شارع شامبليون وهناك التقيت بهاني شاكر وبعد أن حصلت على الإعدادية انتقلت إلى مدرسة الخديو إسماعيل وبعد أن تخرجت من الثانوية العامة التحقت بمعهد الالكترونيات الذي تركته بعد شهور وقدمت اوراقي لمعهد الفنون المسرحية وكان وقتها أخي محمد يدرس في السنة الثالثة ثم تدرجت من فنان مبتدئ حتى وصلت إلى فنان قدير.

■ **انتقلت من معهد الالكترونيات الى الفنون المسرحية، ما سر هذا التحول؟**

- وجدت أن أخي محمد العربي لم يمثل أصلا ودخل معهد الفنون المسرحية وأنا الذي شاركت في التمثيل أنا طفل لم ادخل هذا المعهد فكان لابد من تصحيح الوضع خاصة أني أحب التمثيل رغم أن أبي كان حريصا على ألا يكون احد منا فنانا.

■ **لماذا؟**

- لما رآه في هذا الوسط، فنان يتحايل ويسرق دور فنان ووشايات بين الفنانين وعلى غير المألوف لدينا من ان ضابط الشرطة يحب ان يكون ابنه ضابط شرطة و الدكتور ابنه يكون دكتورا كان والدي حريصا على ألا يكون احد من أبنائه في هذا الوسط رغم انه كان في زمن الفن الجميل.

■ **سرت في طريق الفن العادي لكننا وجدنا شخصية أخرى تحولت إلى النمط الديني الباحث عن التمثيل الهادف بضوابط الفن الملتزم، ما سر هذا التحول؟**

- تدينت من خلال الأعمال التي عرضت علي حيث عرضت علي أعمال دينية وشخصيات إسلامية كنت اسمع عنها فقط، إنما كتاريخ كنت لا اعلم عنها شيئا فكنت أحاول أن اقرأ في سيرة الشخصية التي أقوم بها مثل صهيب الرومي وسلمان الفارسي ومصعب بن عمير وجعفر بن أبي طالب وأحببت هذه الرموز الإسلامية ومن خلالها أحببت التوغل في الدين وانطبقت علي قاعدة «يثاب المرء رغم انفه» ولا ادعي أنى كنت ابحث عن التدين بل إن الأمر جاء إلي وحده.

■ **ماذا عن أكثر الشخصيات التي أثرت فيك؟**

- اكثر شخصية اثرت في كانت شخصية محمد بن القاسم (محمد الفاتح) وهي الشخصية التى عندما أديتها بدأ يشار الي في الاعمال الدرامية ويقال ان وجدي ممكن أن يؤدي الدور الفلاني واصبحت من المطلوبين في الاعمال الدينية ومنها بدأت أسير في الطريق الديني والاجتماعي،

وبفضل الله كل الاعمال الدرامية الاجتماعية التي أديتها لم يكن بها ما يشين، فكانت اعمالا راقية جدا وبعد عدة مرات بدأت انسحب منها واكتفي بالجانب الديني والتاريخي.

وكان من الاعمال التي لن انساها ومن اكثر الاعمال التي أعجب بها الناس «على باب زويلا» الذي أديت فيه شخصية طومان باي ومن خلال هذه الشخصية حصل بيني وبين الناس «كونتاكت».

■ **اذا اردنا ان نقسم حياة وجدي العربي الفنية؟**

- انا عادة اقسم حياتي الى ثلاثة اقسام: الاول قسم الطفولة حيث أديت ادوارا مع فاتن حمامة واحمد مظهر وعمر الشريف ويحيى شاهين ثم كانت المرحلة الثانية وهي مرحلة الشباب وشاركت فيها في العديد من المسلسلات الاجتماعية في التلفزيون كان من بينها على «باب زويلا» الذي شاركت فيه كثيرا من نجوم مصر مثل صفاء أبو السعود وأنور إسماعيل وفاروق الفيشاوي وسمية الالفي وأحمد ماهر وأحمد بدير وكنت وقتها بطل الرواية.

ثم تاتي المرحلة الثالثة التي بدأت أؤدي فيها ادورا كبيرة وهي مرحلة بدأت من وقت قصير.

■ **عرف عن وجدي العربي نشاطه في العمل الخيري هل ترى ان العمل الخيري ضرورة لكل شخصية عامة؟**

- انا لا اختلف كثيرا عما يراه المشاهدون في اعمالي الفنية فجميع الاعمال التي قمت بها - عدا عمل واحد ظهرت فيه شريرا هو «الموج والصخر» - لم اجسد فيها سوى الشخصية الطيبة.

كانت البداية في العمل الخيري عندما عرضت علي اختي الحاجة كاميليا العربي ان أدير دار المعاقين الخاصة بها في مدينة ٦ اكتوبر واعجبت بالفكرة وبدأت العمل فيها بجدية وحينها استطعت ان اشعر بقيمة العمل الخيري ورأيت انه يشعرني بمسؤولية وشعرت انني اتعامل مباشرة مع رب العزة بدون وساطة الا بحب هؤلاء المعاقين ودعاء الذين يكفلونهم او المتبرعين وشعرت بأن ربنا سبحانه وتعالى اختصني بخصوصية معينة وهي مكانة ما كنت أصل اليها الا برضا الله سبحانه وتعالى.

■ **لو تحدثنا عن هواياتك، هل ممكن ان تكون القراءة احدى هذه الهوايات؟**

- ان قراءتي ضعيفة جدا وممكن اقرأ في اليوم صفحة او اثنتين على الأكثر فالقراءة ليست من هواياتي لكن هوايتي سماع درس جيد وممارسة كرة القدم.

■ **لو تحدثنا عن الفنان الذي تحب ان تشاهد اعماله.**

- كل الفنانين القدامى وان كنت لا اتابع الافلام القديمة لكني اقف امام ادائهم! فمثلا محمود المليجي وهو يؤدي دور الشرير رغم ان حقيقته غير ذلك تماما، شاهد عبد الفتاح القصري وهو يقول افيه مثل «ح ن ش» وشاهد فريد شوقي وحش الشاشة كنا نرعبه ونحن صغار، كان «بيخاف من خياله». ويكفي ان واحدا مثل عادل ادهم رغم اجرامه في الافلام كان طيبا جدا.

■ **كيف ترى واقع الفن الآن؟**

- انا اراه الآن بمنظور مختلف، اصبح الأمر غاية وليس ترويحا وانعاشا او توصيل قيمة، فالمطلوب هو الشهرة والمال وكلهم عرفوا الفن عن طريق «المودلايلات» فمعظم الفنانين والفنانات الآن كانوا في الاصل «موديلات» وكان الواحد فيهم يعرف انه حينما ينجح في أن يكون «موديل» سيشق طريقه الى عالم الفن.

■ **كلمة اخيرة تحب ان تقولها للقراء؟**

- كل فنان يستطيع ان يغرس قيمة في نفوس شبابنا. وما يحزنني ان كل علمائنا ومشايخنا الكبار يغادرون مصر مثل وجدي غنيم وعمر عبد الكافي وعمرو خالد ويوسف القرضاوي، والدولة تعالج المدمنين الآن بما يقدر بـ ٣٥ الى ٥٠ الف جنيه للمدمن، وكان يمكنها ان تقي هؤلاء بغرس القيم النبيلة والفهم الصحيح للدين في نفوسهم وان تضرب بيد من حديد على الايادي الخفية التي تعبث بشبابنا والا تغمض العين عنهم.

واتمنى كما ان هناك رقابة على الاعمال الهادفة مثل مسرحية «الشفرة» التي كنت اقدمها واتهموني فيها بالحض على التظاهر، ان تكون هناك رقابة على الاعمال المبتذلة والخليعة، فالمساواة في الظلم عدل.



الصراع الدعوي

عبادة السيد نوح

nooh22@hotmail.com

من المعلوم أن الصراع بين الحق والباطل أزلي، ولن ينتهي الا بقيام الساعة، وعندها ستبلى السرائر وتكشف الحقائق وتتعرى الأقنعة، لأن ملك الملوك أذن بالحساب على أعمال البشر في الدنيا لينال كل واحد منهم جزاءه عما قدم.

ولا يقتصر هذا الصراع على ما يدور اليوم بين المسلمين وأعداء الدين، بل يظهر جلياً بين المسلمين أنفسهم لاسيما داخل الوسط الدعوي! وليس هذا بغريب، لأن هناك من يريد الدنيا وثمة من يريد الآخرة، حتى ان النفس البشرية يتصارع في داخلها فريقا الخير والشر.

فالحرب الضروس بين هذين الطرفين ستستمر الى ان يرث الله الأرض ومن عليها، وتنتهي مظاهر الشرك على هذا الكون بنزول سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

ولكن العجيب ان هذه القضية اخذت منحى آخر داخل الدعوة الإسلامية، اذ تغلغل فيها بشكل واضح اتباع مسيلمة الكذب والرويبضة والمنافقون والدخلاء لتفتيت عضد هذا الصرح العريق، ولإشباع نفوسهم المسرطنة واحكام التواجد الدنيوي وخدمة اعداء الامة دونما النظر إلى مسؤولية الشهادة والرسالة في الأرض، او ابداء اي اعتبار لعالم الغيب غير الملموس الذي فيه الجزاء والحياة الخالدة.

ولعل سبب ذلك كله يرجع الى استفحال الامراض القلبية في ابنائها، اذ بدت مشاعر خبيثة تترجم الى اعمال مميتة، فظهر سوء الظن والحقد والحسد والكبر والبغض والرياء وحب الظهور والوجاهة، والركض في فلك اشباع الشهوات، فرحم الله شيخنا د.السيد نوح الذي أفرد سلسلة كبيرة باسم «آفات على الطريق» لمعالجة هذه السقام التي تعيق الاستمرار في السير على طريق الصلاح والفلاح والنجاح.

ويمكن اعتبار تفاوت البيئات، وتمايز الطباع، وتفاوت القدرات والامكانات، واختلاف العقول مؤشراً عملياً على أن هناك صراعا دائما وخطيرا.

إن بروز هذه الظاهرة وسط الدعوة اوجد نوعا من الفساد السلوكي في أعمال وقرارات الدعاة ما شأنه اعاقة وتأخير عملية الاصلاح والتغيير في المجتمع بمختلف اشكاله، لما ينقصهم من الزاد والمعين الذي ينبغي ان يتسلح به كل رجل دعوة مخلص وصادق مع الله.

وشرف الدعوة عظيم، ولكن الشرف الاعظم ان تدعو على بصيرة ونور وشفافية، ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾(يوسف: ١٠٨)، فما يبطنه البعض يفتت وحدة الصف ويقوض اتحاد الجماعة، وما يكيده الآخر في النفوس المريضة ينخر كالسوس في جسد الدعوة الإسلامية.

فالداعية يؤدي الأمانة التي حملها المسلمون ويخلي مسؤوليته أمام الله تعالى كما أخبر الله تعالى ﴿.. قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون﴾ (الأعراف: ١٦٤) الأمر الذي يتطلب ألا يكسل أو ييأس أو يقنط أو يثبط من سلوكيات الآخرين ومعاصيهم لأنه دائماً على خير مادام قائماً بأمر الله تعالى من الدعوة.

إذن الصراع قائم وسيستمر ما يتطلب اعادة تجديد النية، والصدق والإخلاص فيها، والحرص على تربية النفوس وترويضها وفق الشرع وليس الهوى والدنيا، والعمل المستمر بلا كلل أو ملل، والاستمرار في التزام الجماعة المؤمنة المرابطة في سبيل الله.. ذلك أقصر الطرق الى جنة الدنيا والآخرة. والله ولي التوفيق.

لفتة

■ نعيش هذه الأيام الذكرى الثالثة لوفاة المستشار سالم البهنساوي يرحمه الله.. الفقيه الدستوري الذي كان كالشوكة في حلق العلمانيين والتكفيريين لتسلحه بالحجة البليغة والدليل القاطع.. ومؤلفاته تستحق القراءة .

■ العالم كله يتسابق اليوم لعقد المؤتمرات واللجان لإعادة إعمار غزة دونما النظر أو النقاش في العدوان الصهيوني نفسه.. فما السبب؟!

■ لوحظ في الآونة الأخيرة ازدياد القنوات الفضائية الإسلامية، ولكن الغريب ان معظمها يكرر الآخر، أو يحقق أجندة معينة دونما التفكير في التنسيق أو التعاون أو حتى العمل ضمن رابطة معينة لتوحيد الجهود ولعدم ازدواج المهام ولعدم اهدار المال والوقت.. فهل من مدكر؟!

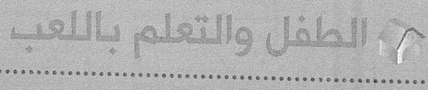
■ اصدار محكمة العدل الدولية مذكرة اعتقال بحق الرئيس السوداني عمر البشير دليل واضح على تكالب الغرب على دولنا لاستنزاف مقدراتنا وثرواتنا، ودرس عملي لقدرة اليهود على قيادة العالم.. فأين أولمرت وليفني وباراك وبوش وبلير من المحاكمة؟!

أسرتي



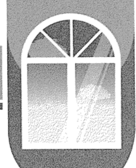


- تدابير حفظ كيان الأسرة
- عمل المرأة



- الطفل والتعلم باللعب






التدابير الوقائية لحفظ كيان الأسرة

يقصد المنهج الإسلامي قصدا إلى بناء الإنسان الصالح، ومن أجل ذلك شرع له الشرائع، وحد له الحدود، ووضح له الحلال، وفصل له الحرام، وحفظ له عرضه وشرفه وكرامته.

ولا شك أن تكوين الأسرة الصالحة ثمرة حقيقية لايجاد هذا الإنسان الصالح، تلك الأسرة التي تعتبر- بحق- لبنة لها شأنها وبأسها في بناء مجتمع صالح، يؤمن بقيم الترقي والتقدم، ويأخذ بمعالم التحضر، ويحافظ على سلامته وصفائه ونقائه وحريته. فلا غرو أن ينظر الإسلام إلى الأسرة نظرة خاصة، فيبين منهجه في بنائها والمحافظة عليها، وأهدافه منها، ويضع الحلول المناسبة لكل مشكلاتها، ويشرع التدابير الوقائية والتنظيمات الحافظة التي تقيها من الوقوع فيما لا تحمد عقباه، أو يصل بها إلى طريق مسدود

وصفي عاشور أبوزيد

إقامة الأسرة من مقاصد الإسلام كما يبتغي الإسلام بناء الإنسان الصالح روحيا وعقليا وبدنيا ووجدانيا، كذلك من مقاصده الكبرى إقامة الأسرة الصالحة التي هي ثمرة واضحة لبناء الفرد الصالح، والتي يناط بها تحقيق عمارة الأرض وتكوين المجتمع، وليس هذا مجرد كلام يلقى هنا أو هناك، بل استنباط من استقراء النصوص الشرعية في القرآن والسنة.

فقد رغب الإسلام في الزواج في نصوص عديدة، حسبنا منها قوله تعالى ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ (النور: ٣٢) ولا يخفى ما في الآية من الترغيب هنا، فقد وعد الله تعالى المتزوجين بالغنى من فضله، وهذا مشاهد ومحسوس في الواقع لكل من أقبل على الزواج أو تزوج، والله لا يخلف الميعاد، وقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم بسنده عن عبدالله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (١)، كما لا يخفى هنا أيضا الترغيب، حيث بين ثمرات الزواج ومقاصده بأنه أغض للبصر وأحصن للفرج وأذهب للشهوة وأهدأ للنفس.

وقاوم الإسلام أفكارا منحرفة عارضت الزواج، منها أنه لا رهبانية في الإسلام، وأن النبي ﷺ رد الرهبانية على من ترهبن، فقد روى مسلم بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا» (٢)

> **التشريعات في مراحل ارتباط الزوج بالزوجة .. لبنة قوية لتأسيس مجتمع صالح**

كل هذه الأمور التي شرعها الإسلام يُستنبط منها ومن غيرها أن من مقاصد الإسلام الكبرى إقامة الأسرة الصالحة التي تقيم- من ثم- المجتمع الصالح، وقد قال ابن عاشور في المقدمة الرابعة من تفسيره: «وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من الصلاح الفردي؛ إذ الأفراد أجزاء المجتمع ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه» (٣).

وترغيب الإسلام في الزواج ونهيه عما يعارضه أو يصد عن سبيله هو من باب الحفاظ على الأسرة من ناحية الإيجاد كما يقول علماء المقاصد، أما حفظ الأسرة من العدم فقد شرع له الإسلام أمورا كذلك، منها بيان حقوق الزوجة وحقوق الزوج، وكيفية معاملة الزوجة لزوجها، والزوج لزوجته، وحقوق المعاشرة بينهما، وغير ذلك مما سيأتي مزيد بيان عنه.

مقاصد الإسلام من الزواج

١- تحقيق عمارة الله في الأرض، قال تعالى ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود: ٦١) فبالزواج يأتي النسل وبه تتحقق العمارة، وقد ذكر الراغب الأصفهاني أمورا لأجلها أوجد الله الإنسان، وذكر عمارة الأرض أولها(٤).

٢- تحقيق السكن النفسي، والإشباع الجنسي، والتراحم بين الزوجين، وهو ما ذكره الله تعالى في قوله ٤٤٤ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١) وقال سبحانه: ٤٤٤هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف: ١٨٩)، فأراد الله تعالى «أن يكون هذا اللقاء سكناً للنفس، وهدوءا للعصب، وطمأنينة للروح، وراحة للجسد، ثم ستراً وإحصاناً وصيانة، ثم مزرعة للنسل وامتداد الحياة، مع ترقيها المستمر في رعاية المحضن الساكن الهادئ المطمئن المستور المصون» (٥).

٣- العون على غض البصر وإحصان الفرج، وهو ما جاء في حديث مسلم عن عبدالله قال: قال لنا رسول الله ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج...».

٤- تحقيق الاستقرار في المجتمع نفسيا وخلقيا، وهو ما يؤدي إلى حفظ نظامه العام، حيث إن الشهوة لها ضرام في ظهر الإنسان، وما لم يتيسر لها الطريق لتصرف في مسارها المشروع أدى ذلك إلى سلوك طرق غير مشروعة لاسيما مع التحلل السائد في المجتمع بصورة ملحوظة، أو يتوجه نحو كسب غير مشروع لظروف الحياة الصعبة، مما يهدد أمن المجتمع واستقراره.

وفيما يلي نتناول باختصار مراحل الحياة الزوجية ابتداء من الخطبة وانتهاء بالفرقة مع إبراز التدابير

الوقائية والأحكام الشرعية التي حرصت كل الحرص على إقامة هذا الكيان المهم في بناء المجتمع:

مرحلة الخطبة وما قبل الزواج

لقد شرع الله تعالى أمورا في الخطبة من أجل أن يظل الحب موصولا في الحياة الزوجية، ومن ذلك:

١- أنه شرع النظر إلى المخطوبة، وبين مقصود ذلك، فعن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»(٦). قال الكاساني «إذا أراد أن يتزوج امرأة فلا بأس أن ينظر إلى وجهها، وإن كان عن شهوة؛ لأن النكاح بعد تقديم النظر أدل على الألفة والموافقة الداعية إلى تحصيل المقاصد»(٧).

٢- واستحب الإسلام أن تكون الزوجة بكرا؛ لأن ذلك أدعى إلى الود الكبير حيث لم تعرف زوجا غيره من قبل يشغل حيزا من قلبها، وقد روى البخاري بسنده عن جابر بن عبدالله قال: «كنا مع النبي ﷺ في غزوة فلما قفلنا كنا قريبا من المدينة تعجلت على بعير لي قطوف، فلحقني راكب من خلفي فنخس بعيري بعنزة كانت معه فسار بعيري كأحسن ما أنت راءٍ من الإبل، فالتفتُّ فإذا أنا برسولِ الله ﷺ، فقلت يا رسول الله إني حديث عهد بعرس قال: أتزوجت؟ قلت: نعم، قال: أبكرا أم ثيبا؟ قال: قلت بل ثيبا، قال: فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك. قال: فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال: أمهلوا حتى تدخلوا ليلا- أي عشاء- لكي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة» (٨).

٣- واعتبر بعض الفقهاء الكفاءة في الزواج، وفي هذا من التوافق بين الزوجين ما فيه، وهو أقرب إلى استمرار الحياة وسلامتها، فقالت الحنفية بـ «المماثلة بين الزوجين في خصوص أمور أو كون المرأة أدنى، وهي معتبرة في النكاح؛ لأن المصالح إنما تنتظم بين المتكافئين عادة» (٩).

٤- وجعل الشرع الحنيف الخطبة وعدا بالزواج وليست إلزاما به، وفي هذا فرصة ليتحقق كل من الطرفين مما إذا كان الطرف الآخر صالحا للمعاشرة أم لا، فقد يكون أحدهما لا يصلح للآخر ولا يتوافق معه لسبب من أسباب كثيرة، ومن هنا كان أدعى إلى إنهاء هذه العلاقة أو عدم إتمامها لما يترتب عليها من هدم لبنيان سيقوم على هذا الأساس الواهن، فالإسلام يؤسس البناء على قواعد وأصول ينهض عليها بعد ذلك قويا راسخا شامخا ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم﴾ (التوبة: ١٠٩).

مرحلة الحياة الزوجية

إذا كانت هذه كلها تدابير شرعية وإجرائية قبل الزواج؛ كي ينبني الزواج بناء صحيحا تدوم فيه العشرة، وتستمر معه الحياة، فقد شرع الإسلام إجراءات أخرى أثناء الحياة الزوجية تضمن استمرارها ودوامها سكنا وحبا واستقرارا ومودة، من ذلك:

١- أنه لم يبح شرطا من الشروط تنافي مقاصد الزواج، بل كل ما كان منافيا لذلك حرمه، وكل ما كان معينا له ومحققا أباحه وأقره، ولذلك قال الصنعاني «والمعروف عن الشافعية أن المراد من الشروط هي التي لا تنافي النكاح بل تكون من مقتضياته ومقاصده كاشتراط حسن العشرة والإنفاق والكسوة والسكنى وألا يقصر في شيء من حقها من قسمة ونفقة وكشرطه عليها ألا تخرج إلا بإذنه وألا تتصرف في متاعه ونحو ذلك» (١٠).

٢- أنه أمر الرجال أن يعاشروا النساء بالمعروف، فقال تعالى ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ (النساء: ١٩) قال ابن كثير: أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله (١١).

٣- أمر الشرع الحنيف، من ناحية أخرى، المرأة بطاعة زوجها حتى روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» (١٢).

٤- كما أمرها بحفظ سر زوجها، وهو أمر مهم في استقرار الأسرة وتماسكها؛ إذ إفشاء السر يترتب عليه الشقاق والنزاع وتحلل بنيان الأسرة، ومن هنا أوصت المرأة العربية الحكيمة ابنتها ليلة زفافها بحفظ سر زوجها وقالت لها «...فإن

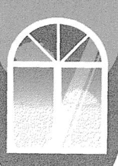


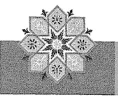
أفشيت سره لم تأمني غدره...».

٥- جعل الاستماع والحوار بين الزوجين سببا من أسباب استدامة الحياة وحفظ صفائها وجمالها، فهاهو النبي ﷺ يستمع إلى زوجه عائشة فيما عرف بحديث أم زرع، وهو الحديث الطويل في كمه والصعب في كيفه، ومع ذلك استمع النبي ﷺ إليها رغم مشاغله وهمومه، ثم قال لها في النهاية: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع» (١٣).

٦- حين وقوع النشوز أو ترقبه وتوقعه لم يقطع الشرع هذه الحياة أو يحكم عليها بالفناء، إنما شرع لهذا السلوك تدابير وإجراءات يستنقذ بها الحياة الزوجية، ويحفظ كيانها، فالزوج نفس بشرية، والزوجة نفس مختلفة، وقد خلق الله البشر مختلفين في الطباع والأخلاق والأذواق، فالخلاف بينهما وارد، والنشوز ممكن، ولهذا راعى الإسلام ذلك التنوع والاختلاف، ووضع له ما يناسبه من حلول عملية واقعية.

٧- هنا تأتي الوسيلة الثانية أو التدبير الثاني الذي يتناسب مع هذا الوضع، وهي الهجر في المضجع حيث يستعلي به الرجل (الزوج) على كل هذه المظاهر فيحدث نوع تراجع للمرأة، يقول صاحب الظلال «والمضجع موضع الإغراء والجاذبية التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطانها، فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء، فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعتز بها، وكانت- في الغالب، أميل إلى التراجع والملاينة، أمام هذا الصمود من رجلها، وأمام بروز خاصية قوة الإرادة والشخصية فيه، في أحرج مواضعها... على أن هناك أدباً معيناً في هذا الإجراء.. إجراء الهجر في المضاجع.. وهو ألا يكون هجراً ظاهراً في غير مكان خلوة الزوجين، لا يكون هجراً





أمام الأطفال، يورث نفوسهم شراً وفساداً، ولا هجراً أمام الغرباء يذل الزوجة أو يستثير كرامتها، فتزداد نشوزًا، فالمقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة، ولا إفساد الأطفال، وكلا الهدفين يبدو أنه مقصود من هذا الإجراء» (١٤).

٨- إذا لم تُجدِ هاتان الوسيلتان فليس أمامنا إلا الإجراء الثالث وهو الضرب، حتى نستنقذ الأسرة من التحطيم والانهيار، وهو ضرب غير مبرح كما قال أكثر الفقهاء والمفسرين، فليس ضربا للتعذيب والانتقام والتشفي بل مصحوبا بعاطفة المربي حين لا تثمر الوسائل الأخرى.

٩- عند خوف الشقاق وضع الشرع الحنيف إجراءات أيضا حفاظا على الأسرة واستنقاذا لها، والشقاق مرحلة متقدمة من الخلاف بين الزوجين على النشوز، وأقوى منه، وأقرب منه إلى الفرقة وتحطيم الأسرة، ومن هنا وضع إجراء من خارج الكيان حتى يردهما إلى الجادة، ويعيد معاني الصفاء والنقاء والتعايش في الأسرة المسلمة، فقال تعالى ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيرا﴾ (النساء: ٣٥)، وبعث حكمين في هذه الحالة، حالة الشقاق، هو الأوفق والأفضل؛ إذ النفوس، نفوس الزوجين، مملوءة بالغضب والحنق، وكل من الطرفين يريد أن يكون الحق معه، وأن يهزم الآخر ويستعلي عليه، وكلها من آثار الشقاق ومعانيه وتوابعه، وبقدر إخلاص الحكمين وإرادتهما في الإصلاح يوفق الله تعالى.

في الفرقة بعد استحالة الحياة الزوجية

ولا يكتفي الشرع بكل هذه الإجراءات والتدابير الوقائية قبل الزواج وبعده، بل تستمر إجراءات أخرى حين تصل الحياة الزوجية إلى طريق مسدود، بل يتعدى ذلك إلى ما بعد الفرقة والطلاق حفظا لأسرار الزوجية واحتراما لها، كل هذا لما للأسرة من مكانة وأهمية في التشريع الإسلامي.

١- فمن ذلك أن الله وصف هذا العقد بـ ﴿ميثاقا غليظا﴾ (النساء:٢١) فليس هناك عقد في الإسلام وصف بأنه ميثاق غير عقد الزواج، وزاد على ذلك ما لم يتصف به عقد من العقود وهو أنه ميثاق غليظ، فهو تشديد مركب في الوصف بما يوجب الحرص على بقاء هذا العقد، والحذر من نقضه وتحطيمه.

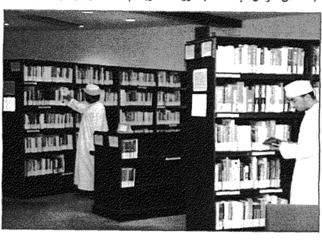
٢- ومنه أن الشارع الحكيم لم يجعل الطلاق مرة واحدة إنما جعله مرتين، ثم يتم التسريح في الثالثة بعد انقضاء العدة، وذلك لما يعلمه سبحانه- وهو العليم بمن خلق- في الإنسان من عجلة ووقوع في الغضب، فبسط له فرصة، وجعل له عودة بعد عودة، وأملا بعد ألم، ورجاء بعد يأس، فقال تعالى ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ (البقرة: ٢٢٩).

٣- ومنه أن الشرع أوقع الطلقات الثلاث في المجلس الواحد طلقة واحدة، وهو الرأي الذي ظل سائدا في عهد النبوة، وفي خلافة أبي بكر، وجزء من خلافة عمر، ثم اختاره ابن تيمية ومدرسته، واستقرت عليه المحاكم الشرعية في كثير من البلدان العربية والإسلامية.

٤- ومنه أنه أوجب للمطلقة السكنى والنفقة، قال تعالى ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ (الطلاق: ٦) ونهى عن إيقاع الضرر بهن، ولا يخفى ما في ذلك من دعوة لمراجعة النفس، واحتمال استئناف حياة زوجية جديدة.

٥- ومن الإجراءات التي شرعها الإسلام أملا في أن تعود الحياة الزوجية إلى ما كانت عليه، وذلك حين وقوع الطلاق الرجعي أو البائن وأثناء فترة العدة، عدم إخراج الزوج لزوجته من بيت الزوجية، ومنع خروج الزوجة من البيت إلا لضرورة، فإن خرجت كانت آثمة في نظر الشرع، قال تعالى ﴿يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ (الطلاق:١).

كل هذه التدابير في مراحل ارتباط الزوج بالزوجة تدل دلالة واضحة على حرص الإسلام على هذا الكيان، ورغبته في أن يكون لبنة قوية يتأسس عليها مجتمع صالح مصلح، وهي تشريعات وتدابير تبين عظمة هذا الدين، ومراعاته للنفوس البشرية: لأن الله هو الذي خلق، ويشرِّع لمن خلق ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك: ١٤).



الهوامش

(١) صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.
(٢) صحيح مسلم: الكتاب نفسه والباب نفسه.
(٣) التحرير والتنوير: ٣٨/١.
(٤) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ٨٢، تحقيق د.أبو اليزيد العجمي، طبعة دار السلام، ٢٠٠٧م.
(٥) في ظلال القرآن: ٦٤٨/٢، دار الشروق، ط ٣١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
(٦) سنن الترمذي: كتاب: النكاح. باب ما جاء في إعلان النكاح. وقال أبو عيسى هذا حديث حسن، وصححه الألباني.
(٧) بدائع الصنائع: ١٢٢/٥ طبعة دار الكتاب العربي . بيروت.
(٨) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة.
(٩) البحر الرائق: ١٣٧/٣ طبعة دار المعرفة، بيروت.
(١٠) سبل السلام: ١٢٥/٣ طبعة دار إحياء التراث العربي. بيروت.
(١١) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٤٦٧ طبعة دار الفكر. بيروت.
(١٢) سنن الترمذي: كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، وقال أبو عيسى حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.
(١٣) الحديث متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.
(١٤) في ظلال القرآن: ٦٥٤/٢.

القلق لدى أطفالنا

د. محمد الفيومي

القلق لا يعترف بسن، فهو لا يصيب الكبار فقط، وإنما يصيب الصغار أيضاً، وتتزايد معدلات القلق خلال العام الدراسي نتيجة خوف الصغير من العقاب الذي يمكن أن يتعرض له في حالة عدم إتمام الواجب الدراسي أو مذاكرة الدروس، لذلك أصبح القلق ملازماً لأطفالنا، فكيف نحميهم؟ وقبل ذلك لماذا يصيبهم ذلك القلق؟

يحذر خبراء تربية الطفل من التقييم السلبي لما ينجزه الأطفال، وتوبيخ الآباء لهم باستمرار على ما يصدر عنهم من أفعال، لأن هذا يعرضهم للقلق، كما يقرر الخبراء أن مصادر القلق لدى الأطفال عديدة وإن كانت مرتبطة في أغلب الأحيان بدوافع الطفل الذاتية ورغباته، لأنها تكون عادة موضع عقاب من الوالدين.

بين الكبت والقلق

فالطفل يقلق عند ولادة طفل جديد، لأنه يشعر بأنه يهدد مركزه عند أبويه، والقلق عند الطفل يؤثر على نموه الاجتماعي والمعرفي، فقد لوحظ وجود درجة عالية من القلق عند أطفال الروضة، يتمثل في الميل إلى جذب الانتباه وطلب المساعدة والتعلق والتلامس مع الكبار المحيطين به، ما يعني نكوصا وتراجعاً إلى مراحل أقل نضجاً في النمو الاجتماعي والمعرفي، أما إذا تعرض الطفل للظروف القاسية والإسراف في المعاقبة، فقد يتخذ القلق شكلاً أخطر وهو ما يسمى بالخوف المرضي أو «الفوبيا» وتظهر هذه «الفوبيا» في الخوف من اقتراب أي حيوانات أليفة منه، أو الوجود في مكان مفتوح، أو وجود زحام حوله، أو احتمال انفصال والديه أو موت أحد أفراد الأسرة، وغالباً لا يتحدث الطفل عن هواجسه هذه إلى الآخرين، ويمتنع عن تذكرها أو التفكير فيها لطبيعتها المخجلة، وهو ما يسمى «ميكانزم الكبت» الذي يمكن علاجه بتشجيع الطفل على الإفصاح عن مخاوفه لوالديه أو المقربين منه وعدم كبت المواقف التي تعرض فيها للخوف، لأن المصارحة لا تجعل هناك مجالاً لنشأة الفوبيا، لذلك نرى بعض الأطفال يتعرضون لحوادث مزعجة أو مخيفة ومع ذلك لا تنشأ لديهم مخاوف مرضية من المواقف التي مروا بها نتيجة أنهم تحدثوا عنها ولم يكبتوها.

إشباع حاجات الطفل النفسية والجسمية وتجنب أسلوب التهديد ودعم ثقته بنفسه وتوفير القدوة الحسنة ... مضادات للقلق

أما القلق فهو حالة جسمية ونفسية تقترن باضطرابات فسيولوجية مختلفة تغشى الأجهزة الداخلية جميعاً، فضلاً عن اثارة بعض الغدد الصماء التي يتصل إفرازها بالدم مباشرة، وقد تؤدي زيادة افرازها الى بعض الأضرار في حالة استمرار القلق، ويؤدي ذلك إلى حدوث بعض الأمراض مثل ارتفاع ضغط الدم أو الربو أو قرحة المعدة والسكر والصداع النصفي وأمراض الشريان التاجي والذبحة الصدرية والجلطة الدموية، وبعض حالات الإمساك والإسهال المزمن وبعض التهاب المفاصل والروماتيزم والطفح الجلدي والبهاق... إلى غير ذلك من الأمراض، ولقد دلت أبحاث دقيقة أجريت على فريق كبير من المصابين بضغط الدم الجوهري الذي لا ينشأ من الأسباب المعروفة على أنهم يعانون القلق. كما دلت الاحصاءات الحربية على أن قرحة المعدة والأمعاء سببت للجيوش البريطانية خسائر فادحة خلال الحرب العالمية الثانية، وجاء في التقرير عمن أصيبوا بها أنهم تعرضوا لقلق وتوترات نفسية موصولة من جراء توقع العدوان عليهم، فهي أمراض جسمية ترجع في المقام الأول إلى عوامل نفسية سببها حالات القلق، لذا لا يجدي في شفائها العلاج الجسمي وحده في حين أنها تستجيب للعلاج النفسي إلى حد كبير.

الوقاية والعلاج

يؤكد علم النفس أثر العوامل النفسية والاجتماعية في جميع العلل الإنسانية دون أن يغفل أثر العوامل الجسمية، فهو يهتم بالمتاعب الاجتماعية والمالية والأسرية وينظر إلى العوامل الانفعالية والأزمات النفسية على أنها عوامل حقيقية فعالة لإحداث الاضطرابات الجسمية، كالميكروب والسموم على حد سواء. كما ينظر للإنسان على أنه وحدة نفسية جسمية اجتماعية متكاملة متضامنة. فينبغي على المهتمين بتربية النشء أن يعملوا على غرس القيم الدينية الراسخة لديه، لأن ذلك من شأنه أن يشعر الفرد بالأمن والسكينة، ويصبح مستقراً في نومه ويقظته، كما ينبغي توفير طفولة سعيدة لأبنائنا، لأن ذلك يؤثر في مراحل العمر المتأخرة، والعمل على إشباع الحاجة الى الحرية والحب والأمن والانتماء وتهيئة مناخ لممارسة الهوايات، والعمل على توفير القدوة الحسنة لدى الطفل، كما ينبغي الابتعاد عن العقاب البدني للطفل وعدم مقارنته بالأطفال الآخرين، لأن لكل طفل ظروفه الخاصة وفق مبدأ الفروق الفردية، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، مع تجنب التهديد والوعد والوعيد للطفل وعدم تحمله واجبات دراسية تفوق طاقته وتثقل كاهله وتفوق قدراته.

المراجع

١- القرآن الكريم.

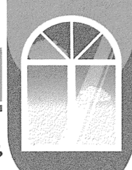
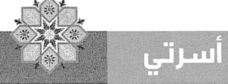
٢- أحمد عزت راجح «٢٠٠٢» أصول علم النفس، دار المعارف- القاهرة.

٣- محمد محمد عيسوي الفيومي «١٩٨٨» آثار اللعب النفسية والجسمية على حياة الطفل- المجلة العربية - السعودية.

٤- محمد محمد عيسوي الفيومي «١٩٩٥» مواجهة صعوبات الاستذكار والتغلب على قلق الامتحان- المجلة العربية.

٥- محمد محمد عيسوي الفيومي «١٩٨٤» القلق سمة العصر والإيمان خير عاصم، المجلة العربية- السعودية.

٦- عبدالرحمن العيسوي «٢٠٠٥» علم النفس ومشكلات الفرد، منشأة المعارف- الاسكندرية.

عمل المرأة من منظور الشريعة

وليد الجراد

لا يخفى على أحد أن النساء نصف هذه الأمة بل أكثرها. وهن شريكات الرجال في جميع ما ورد من الشريعة الحقة إلا في أشياء خصهن الله تعالى ورسوله بها من دون الرجال. وقد تفضل عليهن كما تفضل عليهم بأنواع من الأفضال. فلهن مالهم وعليهن ما عليهم في جملة الشرائع والأحكام. وما من خصال حسنة نزل بها القرآن والحديث إلا ومطلوب منهن فعلها. فالمرأة والرجل يشتركان معاً في بناء الأسرة والبيت ويسهمان في تنشئة جيل صالح محصن بالخلق الحسن والسلوك القويم والتربية الصالحة المستمدة من تعاليم شريعتنا السمحاء.

وقد نظر المجتمع عبر المراحل التاريخية الى المرأة نظرة دونية فعانت من الضعف والاضطهاد والهوان. لكن ديننا الحنيف أعلى شأنها وحافظ على حقوقها كاملة دون انتقاص. وأنزلها منزلتها الحقة كمخلوق له الدور الكبير في تطوير وتنمية الحياة العامة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. فالمرأة مصونة الحقوق والواجبات في الإسلام، لها ما للرجل وعليها ما عليه، وخير دليل على ذلك ما ضمنه الرجل للمرأة من الانفاق والقوامة عليها وتأمين متطلباتها وتوفير اسباب الحياة السعيدة لها بموجب نص القرآن الكريم ﴿الرجال قوامون على النساء﴾(النساء - ٣٤) لأن الاصل أن الرجل هو المكلف بالانفاق، أما بالنسبة للمرأة فقد أوكلت إليها مهمة عظيمة، مهمة الانجاب وتربية الاولاد والحرص على تأمين متطلبات الزوج وتدبير شؤون المنزل، والعمل على تنشئة جيل من الابناء تنشئة اجتماعية ودينية صالحة ليكون حجر الزاوية الهام في بناء مجتمعنا المطبق لتعاليم دينه المتمسك بقضايا امته. جيل يجعل عنوان حياته الوسطية في كل شيء فلا غلو ولا تطرف.



بهذا الدور الجبار الذي تقوم به المرأة في بناء مجتمعها ستحقق الاستخلاف في الأرض، وستنتج لنا جيلا مسلماً متمسكاً بتعاليم دينه الحنيف كما اراد رب العزة جل في علاه، لانها راعية ومسؤولة عن رعيتها.

وقد تعالت - حديثا - بعض الاصوات المنادية بتشجيع المرأة على الخروج الى سوق العمل لتخدم ذاتها ومجتمعها ولتبحث عن اسلوب العيش الكريم لها ولاولادها بذريعة الخوف من المستقبل المحفوف بالمخاطر، كالطلاق وموت الزوج او موت الأبوين ... الخ.

وهذا الامر ليس محل خلاف او اختلاف، فالإسلام لم يمنع المرأة مطلقاً من العمل ولكن وضع لذلك قيوداً وضوابط شرعية تلتزم بها المرأة العاملة دون تفريط بالواجبات الاساسية المناطة بها، وهي: الإنجاب والحضانة وتربية الاولاد وتدبير امور البيت والزوج، وفي حال دخول المرأة غمار العمل علينا ان نؤمّن لها العمل المناسب لطبيعتها كأنثى والملائم لجنسها، فلا نزج بالمرأة في اتون عمل شاق ومضن بين ماكينات النسيج ومصانع السيارات ومعامل الكيماويات، لأن ممارسة مثل هذه الأعمال ستنعكس سلباً على صحتها وصحة جنينها.

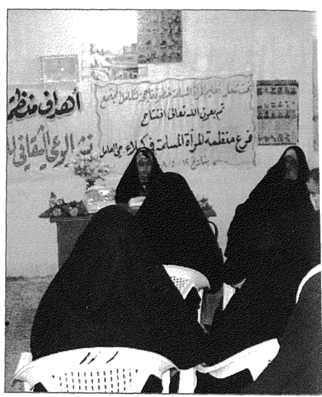
لذا يجب ان نتحرى لها العمل المناسب وأن نحدد لها ساعات عمل أقل، ونؤمن لأولادها دور الحضانة ووسائل المواصلات وقرب منطقة العمل، وان نبعدها عن الاعمال الليلية دون ان ننقص من اجرها شيئا، بهذا نكون قد يسرنا عمل المرأة وجلعناها تسهم اسهاماً فعالاً في بناء مجتمعها وذاتها دون التفريط في تربية الجيل الذي هو عمدة المجتمع واساسه المتين، لذا فما الفائدة من عمل المرأة اذا اهملنا تربية الابناء مقابل التنمية الاقتصادية؟ مما يجعل المجتمع خاسراً بسبب خروج الأبناء عن جادة الصواب وربما سلكوا سلوكاً اجتماعياً شاذاً واتبعوا طرقا هدامة تنعكس سلباً على بناء المجتمع الانساني الذي نتطلع الى بنائه بشكل صحيح.

وإذا نظرنا بين صفوف الاخوات والأمهات اللواتي ربين ابناءهن تربية صحيحة، فسنجدهم قادة ودعاة وعلماء ومربين، بينما كثير من الابناء الذين عملت امهاتهم دون الالتفات إليهم فشلوا في تحقيق النجاح سواء في مجال الدراسة او في مجالات الحياة الاخرى، كل هذا يجعلنا ندرك المهمة الحقة للمرأة في الإسلام.

من هنا كانت المناداة بلا افراط ولا تفريط في عمل المرأة، لكن نحن كمجتمع إسلامي له دستوره وتعاليمه وشريعته لم يترك الحبل على الغارب في قضية عمل المرأة، فهناك ضوابط شرعية واخلاقية لا بد ان تلتزم بها المرأة في حال خروجها للعمل من هذه الضوابط:

١- الحجاب الشرعي

يجب ان تكون المرأة العاملة بكامل حجابها بمعنى ألا تكون مختلطة مع الرجال، لأن الاختلاط له مساوئ متعددة ووخيمة عليها



وعلى المجتمع، وهذا ما نبه عليه نبينا الكريم ﷺ بقوله في الحديث المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ألا لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذي محرم» (متفق عليه) وعن ابن عمر رضي الله عنهما في قصة خطبة عمر بالجابية: «ما خلا رجل بامرأة الا وكان الشيطان ثالثهما...»(رواه الترمذي).

٢- أمن الفتنة :

أي ألا يكون هناك افتتان لأن النبي ﷺ يقول في الحديث المروي عن ابي سعيد رضي الله عنه: «إن الدنيا حلوة خضرة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا والنساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء» (رواه مسلم والنسائي)، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء» (الشيخان والترمذي)

وفي هذا نصوص كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم...﴾(النور - ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾(النور -٣١)، فالقضايا هنا هي قضايا عقدية شرعية ثابتة لايمكن المساس بها مطلقا.

٣- أن يكون عمل المرأة متناسباً مع طبيعتها كأنثى: بمعنى ألا تعمل أعمالاً ليلية أو أعمالاً شاقة ومضنية تتعرض فيها لاستنشاق الغازات والمواد الضارة التي قد تؤذي صحتها وصحة جنينها.

وثمة قائل يقول بأننا ضيقنا مجالات عمل المرأة، فالصحيح أن عمل المرأة في كل زمان ومكان فهناك أعمال الحياكة والتطريز وبيع الألبسة النسائية العامة والخاصة، فالمجال رحب وفيه سعة كبيرة لمن أراد العمل العفيف، العمل المناسب لطبيعة المرأة كأنثى، وهذه واحدة من أمهات المؤمنين وهي زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت صنّاعة اليد والنبي ﷺ يقول: «أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا»(رواه مسلم) كانت تصنع الخوص والصوف وتتصدق مما تصنع، وللأسف أصبحت المرأة الآن تشتري حاجياتها وملابسها الداخلية الخاصة من رجال، وهذا ينافي طبيعة الشريعة وحقيقة الإسلام، وحري بالمرأة ان تمارس هذا العمل بدلاً من الرجل منعاً للفتنة والاختلاط غير المشروع الذي يتنافى مع تعاليم ديننا الحنيف.

٤- ألا يطغى عمل المرأة على وظيفتها الأساسية في الحياة

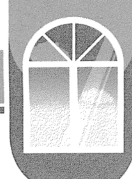
ألا وهي وظيفة الإنجاب والولادة والإرضاع والتربية والحضانة وتدبير شؤون المنزل والقيام على حاجيات الزوج، اي لا يطغى العمل على الواجبات الأساسية المنوطة بها كأم ومربية ومرضعة، وهذا ما أكدت عليه نصوص الكتاب الكريم بقوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾(البقرة -٢٣٣)، ويجمع التربويون اليوم على أن الأم تقوم بدور أساسي وهام لايمكن الاستعاضة عنه بأي دور آخر حتى أن الأب لايستطيع أن يقوم بهذا الدور، لأن الطفل يبقى مع أمه أكثر من ١٦ ساعة باليوم بينما الأب يذهب للعمل ويعود وينام ويرتاح من عناء التعب، مما يجعل من الصعب عليه القيام بذات الدور المهم

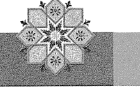
المرأة الخليجية قدمت نموذجاً اسلامياً رائداً للمرأة العاملة الملتزمة بالحجاب والضوابط الشرعية

والمتميز الذي انفردت به الأم لوحدها دون الأب، وقد كانت المرأة عبر التاريخ ترضع ابنها اللبن كما ترضعه مكارم الأخلاق، فأي دور أسمى وأرقى من هذا الدور الذي تقوم به الأم؟

خلاصة القول: إن عمل المرأة عمل يتسم بالوسطية كما ان الإسلام لايمنع المرأة من العمل منعاً مطلقاً في حال الحاجة اليه كي لا يجعلها مخلوقاً عالة يعيش على صدقات الآخرين، ولايبيحه إباحة تامة بل اجاز لها العمل ضمن ضوابط شرعية - فلا إفراط ولا تفريط - لئلا يطغى جانب على آخر فنخسر الأولاد على حساب العمل.

وهناك سبق تاريخي مشرف لبعض دول الخليج العربي في مجال عمل المرأة، فالمرأة تمسكت في هذه البلاد ولله الحمد والمنة بكامل حجابها فلا اختلاط ولا فتنة ومع ذلك نافست الرجال في الميادين العلمية والتربوية، وحصلت على اعلى الشهادات العالية كالماجستير والدكتوراه وهي بكامل حجابها وبانعزال تام عن الرجال، واستطاعت ان تضرب المثل الرائع في المشاركة في العمل بجميع القطاعات التربوية منها والصحية والتعليمية وغيرها من القطاعات الأخرى وهي بكامل حشمتها، وبهذا تكون قد قدمت لنا نموذجا إسلاميا رائداً للمرأة العاملة الملتزمة بالحجاب، مؤكدة للعالم اجمع ان الإسلام لم يمنع المرأة من العمل بل شجعه ضمن ضوابط الشرع، وان دين الإسلام هو الدين الخالد الذي يصلح لكل زمان ومكان يعطي لكل ذي حق حقه.

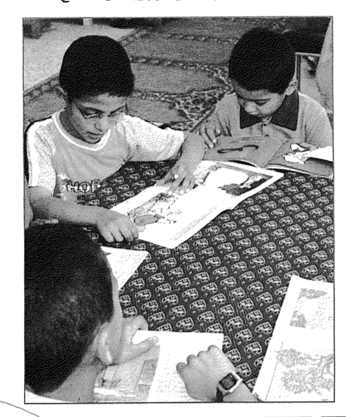




تنمية مهارة الحوار عند الطفل

حواس محمود

الحوار مهارة عقلية وكلامية يحتاج إليها الطفل كحاجته إلى أي من متطلبات النمو العقلي والعاطفي، والحوار أسلوب تربوي ينمي لدى الطفل قدرات فكرية ولغوية متنامية، فعلى الوالدين والمدرسين تدريب الطفل على آداب الحوار والنقاش جنبا إلى جنب مع تدريبه على آداب الجلوس والأكل والنوم وما إلى ذلك. فالأم والأب اللذان تطبع أحاديثهما الأسرية روح الهدوء والتدخل في الوقت المناسب، وإصغاء الواحد منهما لوجهة نظر الآخر، والتعليق عليها بالموضوعية التامة، والبعد عن الانفعال الزائد، يقدمان بلا ريب درسا مباشرا في أدب الحوار لابنهما الجالس بجانبهما، لذلك فهو سيشب على توفير مثل هذه الأجواء في كل حوار يكون هو أحد طرفيه، لأن للتربية بالقدوة أحيانا مفعولا طويل الأمد تعجز عن تحقيق مثله مئات المواعظ والتوجيهات والنصائح!.



والأم والأب اللذان يشركان طفلهما في الحديث كلما استدعت الحالة ذلك، ويأخذان وجهة نظره مأخذ الجد، أو يعلقان عليها بمزيد من الثناء والتشجيع، لن يجدا في ابنهما مطلقا ذلك الجليس الذي تتصارع داخله الرغبة في الكلام أو عدمه، وإذا حصل وأخذ الكلمة فإنه يأخذها والخجل يملأ عليه نفسه فتخرج جمله ناقصة، ووجهة نظره بعيدة عما كان ينوي طرحه، وعلى الأم والأب أن يراقبا عن كثب حديث أبنائهما فيما بينهم فيوقفان المستبد بالكلام عند حده، ويعلمان المتدخل فيهم متى يتدخل، ويطلعان المستمع على ضرورة الإصغاء الكلي لما يقوله المتكلم، وكذلك المدرس أو المدرسة عليهما أن يوجها التلاميذ إلى ضرورة الحوار والمشاركة والأسئلة في تقديم المادة الدراسية، في أجواء تسودها الحوارية والتشاركية والتبادلية والتفاعلية بعيدا عن أجواء التلقين السلبي والحفظ الجامد الذي لا يؤدي إلا إلى الجمود والركود واللافاعلية، وهي طريقة في التدريس تقليدية، يجب الخروج منها إلى تطورات العصر بما يتضمنه من الارتقاء بالعملية التعليمية وأجواء التحاور والتبادل والتشارك والتفاعل.

ولا ننسى عملية الحوار بين الوالدين والطفل، فيطلب من الوالدين التحاور مع الطفل بروح من المرح والابتسامة والتشجيع والدعابة وبث المعلومات المفيدة في عقله وروحه، والابتعاد عن الطرق السلبية في التحاور كالتعامل معه بأسلوب التسكيت، والتعامل معه بعبارات من قبيل: «فكني»، «بعدين بعدين»، «أنا ماني فاضي لك»، «رح لأبيك»، «رح لأمك»، «خلاص خلاص»، بالإضافة إلى الحركات التي تحمل المضمون نفسه، مثل التشاغل بأي شيء آخر عن الابن أو عدم النظر إليه، وتلاحظ أن الولد يمد يده حتى يدير وجه أمه إلى جهته كأنه يقول «أمي اسمعيني الله يخليك» وهذا أسلوب خاطئ في التعامل مع الطفل، يضاف إلى ذلك أسلوب التعامل معه بطريقة التحقيق كأسلوب الشرطة مما يربك الطفل ويوقعه في حالة من الخجل وضعف الشخصية، وذلك بإطلاق العبارات من قبيل أين كنت؟ وماذا عملت؟ ولماذا لم تخبرني؟ ومن كان معك؟ بأسلوب غاضب بعيد عن أجواء المحبة والمودة والتحاور العاطفي والعقلي الذي بموجبه يمنح الطفل الثقة بنفسه وقدراته وقيمه وأخلاقه.

وذلك بتنبيهه إلى الممارسات الخاطئة والسلبية كقوله له:«لا يابني ما كان لازم تعمل هيك»، أو«ليه عملت هيك يابابا»... وهكذا.

ويمكننا هنا أن نذكر ما اعتمدته د.إلهام عبدالحميد من الأسس التي تحقق الحوار الجيد ومنها:

- المناقشة: يستند الحوار الجيد إلى فكرة المناقشة التي تعني رفض الجمود عند حالة واحدة أو طرف واحد، بل تعني التحرك من حالة إلى حالة ومن طرف إلى طرف.

- الحرية: لا يتحول الحوار إلى حوار حقيقي دون إعطاء كل طرف حق الحوار والتعبير عن رأيه واحترام الرأي الآخر، وأن يتخلص الإنسان من مخاوفه، فإذا شعر الإنسان بحرية أمكنه أن يطلق العنان لتنمية قدراته وتفجير طاقاته الإبداعية.

- النضج العقلي والانفعالي: لا يمكن أن يتحول الحوار إلى مسألة ذات أهمية إن لم يستند إلى عقلية مدركة واعية ومرنة وغير متعصبة لأفكار سابقة، ويجب أن يكون لدى المتحاورين سعة أفق ورحابة صدر، ومعلومات كافية حول الموضوع المطروح للحوار.

- الواقعية والموضوعية: من أهم سمات الحوار الجيد التفكير العلمي والرؤية الموضوعية، والقدرة على ربط الأسباب بالمسببات، والابتعاد عن العواطف والمشاعر والانفعالات، والقدرة على النقد الموضوعي البناء.

- التواضع والحب والألفة: إن الحوار الجيد يتطلب الحب والتواضع والألفة، فلا يمكن لأي حوار- مهما كان ساخنا- أن يؤدي إلى جو من اليأس أو عدم احترام الآخر أو عدم الثقة بقدرة الإنسان على الابتكار، فالخصومة الفكرية لا تعني الكراهية أو عدم احترام الآخر، ولذلك فإن الحوار الجيد ينبغي أن يولد وينمو ويتطور في ظل مناخ يحترم آراء الجميع ولا يسخر منها، ويحافظ على جو من الهدوء والبعد عن العنف والافتعال والمجاملة والأساليب الإنشائية الطنانة.

- التسامح الفكري: الثقة بالتسامح الفكري ترتبط بشكل أساسي بالثقة بالمساواة بين البشر، وبحق كل إنسان مهما اختلف لونه أوجنسيته أو ديانته في الحرية والعدل، وبذلك يصبح التسامح واجبا أخلاقيا .

كثرة الحركة عند الأطفال.. الأسباب والعلاج

لينة أحمد جلبط

يشكل التعامل مع الأطفال المصابين بكثرة الحركة ونقص الانتباه تحديا كبيرا لأهاليهم ولمدرسيهم وتشتكي كثير من الأمهات من حركة أطفالهن الزائدة ويتساءلن.. هل امومتنا قاصرة؟

لا تعني كثرة الحركة عند الطفل قصورا بل هي دليل الحيوية والنشاط عند الطفل، ورسول الله ﷺ يقول «عراقة الصبي في صغره زيادة في عقله عند كبره» (رواه الترمذي) والطفل المتحرك يعطي فرصة للتوجيه والتصويب، والصواب ان نبحث عن العلاج، ونتزعج في حالة الطفل الذي لا يحرك ساكنا لانه غالبا ما يصاب بالكبت والخوف والخجل.

وقد تشتكي بعض الامهات من حركة اطفالهن الزائدة، على الرغم من انه يتضح بعد ذلك ان حركتهم لا تزال في الحدود الطبيعية، لكن تحمل اسرهم لهم ورحابة صدورهم تجاههم تكون ضيقة، وقد يكون ذلك لوجود عوامل خارجية مثل ضيق المنزل وعدم وجود اماكن مناسبة ينفس الاطفال فيها عن نشاطهم الطبيعي وربما يرجع ذلك الى عدم وجود وسائل تسلية وألعاب مناسبة يفرغ الاطفال فيها طاقتهم الطبيعية.

من وسائل الإسلام في تربية الإنسان

ان هذه الطاقة التي يفرزها الكيان الإنساني بشكل تلقائي هي طاقة حيوية محايدة تصلح للخير وتصلح للشر، تصلح للبناء وتصلح للهدم، كما يمكن ان تنفق بددا بلا غاية، والإسلام يوجهها وجهتها الصحيحة في سبيل الخير.

وسائل العلاج

١- الاكثار من الدعاء للطفل وتجنب الدعاء عليه، فقد قال ابن المبارك لمن اشتكى ولده: لعلك تدعو عليه قال نعم، قال: فأنت أفسدته.

٢- اشاعة روح العدل كما امرت بذلك شريعة الله المطهرة، فمن الضروري ألا يشعر ان غيره يفضل عليه لان المربي الجيد يعلم ان هناك فروقا فردية بين الاطفال.

٣- تحقيق الاشباع العاطفي لهذا الطفل، فلا شك انه يحتاج الى مزيد من العطف والاهتمام مثل المسح على رأسه وأعلى ظهره، وعدم حرمانه من القبلات.

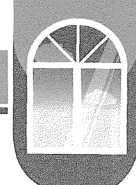
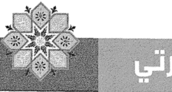
٤- الثناء عليه، خاصة أمام الأضياف والأقارب حتى لا يحتاج الى لفت الأنظار امام الأضياف، واعلم اننا نخطئ عندما نوجه الطفل لتحسين سلوكه امام الناس فقط، فإن الخطأ خطأ سواء كان أمام الناس أو من ورائهم.

٥- تشجيعه على معاشرة الطيبين والاحسان اليهم، ويراعى اختيار الاصدقاء والاقارب والجيران الصالحين الذين يربون ابناءهم على القيم السليمة والاخلاق الفاضلة.

٦- الحرص على تغيير الاسلوب السابق في التعامل معه، ومن الخطأ ان تكرر العقوبة وان نجعلها الحل الاول، والمفتاح الاساسي في تغيير اي سلوك هو الاستخدام الحكيم لأسلوب الثواب والعقاب.

٧- شغل أوقات الفراغ، فالنفس ان لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، والطفل كذلك ان لم تشغله بما هو مفيد سيفرغ طاقاته فيما هو غير مفيد، فيطلب من الطفل مثلا ترتيب ادواته وملابسه وحجرته قدر الامكان، او الاشتراك في احد الانديه لتفريغ طاقته في لعبة ما، او الخروج لمنتزهات المراقبة، او التمثيل وتبادل الادوار وألعاب الماء والرمل والصلصال وكلها من الالعاب المهمة في تخلص الطفل من مكبوتاته وتفريغ شحناته الانفعالية والايجابية او السلبية والتنفيس عما بداخله اثناء اللعب.

الخلاصة انه يجب علينا ان ننتبه لاطفالنا واذا لاحظنا حركة زائدة عندهم فاننا نوجههم، فهناك العديد من اطفالنا لا تنقصهم سوى دفعة بسيطة والتفاتة صغيرة ليصبحوا مثل اقرانهم بل احسن ويستثمروا ذكاءهم في اشياء تخدمهم وتخدم عائلاتهم ومجتمعهم.

الطفل والتعلم باللعب


د. بركات محمد مراد

يعد اللعب من أهم الأنشطة التي يمارسها الطفل فتستهويه، ومن ثم تثير تفكيره وتوسع خياله، ويسهم اللعب بدور حيوي في تكوين شخصية الطفل بأبعادها المختلفة، وهو وسيط تربوي مهم يعمل على تعليمه ونموه ويشبع احتياجاته، ويكشف أمامه أبعاد العلاقات الاجتماعية والتفاعلية القائمة بين الناس. وتعد الألعاب عامة مدخلا أساسيا لنمو الطفل من الجوانب العقلية والجسمية والاجتماعية والأخلاقية والانفعالية والمهارية واللغوية، كما يسمح اللعب باكتشاف العلاقات بينها، وهو عامل أساسي ورئيس في تعليم وتنمية التفكير بأشكاله المختلفة، وهو يسمح بالتدرب على الأدوار الاجتماعية، وتخلص الإنسان من انفعالاته السلبية وصراعاته ودروب توتره، ويساعده أيضا على إعادة التكيف.

إن للعب وظيفة مهمة- وإن بدا في ظاهره نشاطا عبثيا- إذ من خلال اللعب يتعلم الأطفال وينمو مخهم، ونرى الأطفال يرددون أصوات المناغاة في محاولة لتعلم نطق أصوات اللغة. ويهزون «الخشخيشة» أو يلقون دمياتهم ليتدربوا على الوظائف الحركية، وليفهموا كيف تتحرك الأشياء، وليستكشفوا قانون الجاذبية.

ويلعب الأطفال الأكبر سنا ألعابا تقتضي أداء أدوار معينة، ويتعلمون كيف يفهمونها ويسيطرون على الأدوار التي هي أمور ضرورية في الحياة اليومية للكبار.

ويعتبر المؤشر على أهمية اللعب لنمو الأطفال كمّ الوقت الذي يقضونه في اللعب، وكمّ الطاقة التي ينفقونها.

وقد يكون الأطفال أحيانا مدركين أن ما يفعلونه لعبا، ومثال ذلك حين يمارس الطفل الإمساك بكرة، ولكن اللعب يمكن أن يكون وظيفيا تماما دون أن يعي الطفل دوره الوظيفي.

ويحدث أحيانا أن ينطوي اللعب على مخاطرة، ويحب الصبية بخاصة الألعاب التي تشتمل على السرعة أو الإثارة أو القتال أو أداء أعمال بهلوانية تقتضي مهارة، وهذه الألعاب الخطرة لها وظيفة مهمة تفوق دور المخاطرة؛ إذ يتعلم الطفل أن يفهم المواقف الخطرة، وأن تتوافر له الفرصة لتجربة استجابات بديلة، وهكذا يتعلم تقنيات القتال، وتقنيات السقوط المحكوم، وأنشطة المراوغة، والاستراتيجية وغير ذلك من مهارات التي يمكن أن يكون لها في الحياة بعد ذلك دور مهم حين يواجه مواقف محفوفة بالأخطار.

إن القدرة على الاستجابة السريعة عند مواجهة خطر مفاجئ قد تكون مسألة حياة أو موت، وهنا لا تكفي فقط المعرفة العقلية، ذلك لأنها تقتضي من المرء وقتا طويلا جدا لتنشيطها في الذاكرة، ولكن رد الفعل الفوري لا يتحقق إلا من خلال أفعال منعكسة تدرب عليها المرء، وهذه الأفعال المنعكسة لا يمكن أن يتعلمها المرء إلا من خلال ألعاب تنطوي على عنف وجسارة.

ويمكن أن يتعلم الأطفال في مناخ اللعب الوقائي أو الآمن نسبيا كيف يعرفون ويقدرون المواقف الخطرة قبل أن تصبح واقعا حياتيا داهما، وهذا هو ما يسمى التعلم الوقائي Buffered Learning" نظرا لما توفره الألعاب للأطفال من بيئة خصبة تساعد على نموهم، وتستثير دافعيتهم للتعلم، وتحثهم على التفاعل النشط مع ما يتعلمون من حقائق ومفاهيم ومبادئ ومهارات وقوانين ونظريات، في جو واقعي قريب من مداركهم الحسية، وتجعلهم أكثر إقبالا على التعلم، بدأ رجال التربية التركيز على الألعاب، بشكل عام في مجال التفكير والتعلم.

وقد بدلت النظريات التربوية الحديثة أساليب تقديم المعلومة وطورتها، لاسيما بعد ظهور نتائج دراساتها المرتبطة بسلوكيات الطفل وحاجاته الفطرية، فمن ذلك إثباتها أن مفهوم اللعب والنشاط لم يعد نقيضا للجد والاجتهاد، وتأكيدها أن اندفاع الأطفال للمرح ليس عائقا لمسيرة العملية التعليمية، ومن هنا كانت التوجهات التربوية الحديثة للمعلمين وأولياء الأمور لتفهم إمكانية استثمارها تربويا في زيادة حصيلة الطفل العلمية، ورفع كفاءته المهارية، وتوجيه قدرته الإبداعية.

ولا ننسى سيطرة فكرة التعليم بالمعاناة على العملية التعليمية لعهود طويلة، ولم تتقادم هذه الفكرة بمرور الزمن، ففي كل عصر يظهر لها مجددون ومؤيدون يتعصبون للمادة التعليمية وللمعلم وللإدارة، ويتنكرون للمتعلم وطبيعته وقدراته وتفضيلاته. وقد تسببت هذه الفكرة في وقوف كثير من معتنقيها موقفا عدائيا من كل ما يضفي المتعة على التعلم والمتعلمين، فهم يؤمنون أنه لا تعلم من دون ألم "no - pain- no -gain"، وأن الدواء المر أنجع من الدواء الحلو، ورغم قسوة هذه الفكرة فإنها لاقت قبولا شعبيا واسعا في كثير من المجتمعات، نظرا لما حققته من نتائج إيجابية في مساعدة المتعلمين على تعديل سلوكهم وعلى الحفظ والتحصيل، علاوة على أن كثيرا من المعلمين شغوفون (بالفطرة) بالتعليم من خلال الخبرة المؤلمة، وأن الكثير من أولياء الأمور لا يقدّرون التعلم الناتج عن المتعة واللعب.

وفي أواخر القرن التاسع عشر ظهرت العديد من النظريات التي تقول إن اللعب ظاهرة سلوكية تسود عالم الكائنات الحية، وتمتاز بها الفقاريات العليا لاسيما الإنسان، ومن هنا فاللعب ليس قاصرا على البشر، فغالبية الثدييات تلعب مثلما تلعب طيور كثيرة، وصغار الإناث تلعب دور الأم مع أطفال من النوع نفسه، وتتعلم بذلك كيف تتعامل مع أطفال القردة، وهذه المعارف يمكن أن تكون حيوية حين تكبر وتنجب أطفالا.

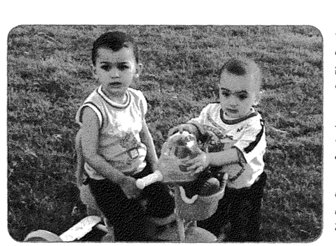
إذن لم تكن الألعاب فكرة جديدة، بل على العكس من ذلك، فإن جذورها تضرب في عمق التاريخ الإنساني، إلا أن النظرة إلى اللعب تختلف بحسب تفسيرها.

لقد لفت موضوع اللعب أنظار الباحثين في مختلف العصور، فتأملوا لعب الحيوان ولعب الإنسان وحاولوا التوصل إلى ما قد يكون له من فوائد، ويفسرون الأغراض التي يمكن أن يؤدي إليها، وقد وضعوا نظريات عدة حول تفسيرها.

وقد نشر هؤلاء العلماء والأدباء تفسيرات متعددة لهذه الظاهرة، فمنهم من فسرها على أنها طاقة زائدة لابد أن يتخلص منها الطفل، وأنه لا مانع من أن تسهم المدرسة في ذلك عن طريق إتاحة الفرصة للأطفال للتخلص من هذه الطاقة بما يساعدهم على التركيز في الدروس بعد ذلك، ومن أنصار هذه النظرية شيلر الشاعر الألماني، والفيلسوف المعروف هربرت سبنسر.

وهناك من رأى أن اللعب هو إعداد للحياة المستقبلية، ومن أنصار هذه النظرية كارل جروس الذي ذكر أن اللعب يؤدي وظيفة بيولوجية مهمة للطفل، فهو يمرن الأعضاء ويمكّنه من السيطرة التامة عليها واستعمالها استعمالا حرا في المستقبل.

أما نظرية جان بياجيه النمائية، فيشير فيها هذا المفكر التربوي إلى أن اللعب يرتبط بمراحل النمو عند الأطفال، ولكل مرحلة نمائية ألعاب، بل أنماط لعب خاصة بها، كما أن اللعب عند الأطفال كالتفكير عندهم، فهناك مراحل تفكير ولكل مرحلة تفكير أنماط من اللعب خاصة بها، ويشكل نمط اللعب في كل مرحلة أسباب التطور المعرفي أو العقلي، ووسيلة للتعلم والتفاعل مع البيئة واكتشافها، وبالتالي يمكن النظر إلى اللعب على أنه مقياس تطور العقل نفسه، ومن خلال هذه النظرية يمكن القول إن اللعب عبارة عن عملية كبرى تتكون من عمليتين رئيسيتين هما التمثيل Assimilation والملائمة Accommodation ، وتشير عملية التمثيل إلى النشاط الذي يقوم به الطفل لتحويل ما يتلقاه من أشياء أو معلومات إلى بُنى خاصة به وتشكل جزءا من ذاته، أما عملية الملائمة فهي النشاط الذي يقوم به الطفل ليتكيف مع ما يحيط به لتيسير عملية التمثيل.



لذا فإن بياجيه Jean Piaget يعزو عملية النمو العقلي عند الأطفال إلى النشاط المستمر للعمليتين، وتشكل مُتكاملا نشيطا، وفي هذه الحالة يصبح لدى الطفل حالة توافق ذكي وانسجام بين التعلم الجديد والخبرات السابقة في نطاق حاجته، وإذا تحقق هذا فإن بياجيه يطلق عليه اللعب الذي يعتبره وسيلة تعلم بالدرجة الأولى، ويُعتبر بياجيه من أهم السلطات المرجعية المهمة عن نظرية اللعب.

ومن هنا تعد الألعاب طريقة جديدة ومُثلى للآباء والأمهات للانخراط في تعليم أطفالهم وتربيتهم، لقد أظهرت الأبحاث العديدة أن مساعدة الآباء من خلال الألعاب تلعب دورا حيويا في تحصيل أبنائهم في المدرسة، والاحتفاظ بما تعلمه، وفي نقل أثره إلى مواقف جديدة.

إن بعض الآباء يعلمون أبناءهم كل شيء في المنهاج المقرر لهم وبالطريقة التقليدية، وبعضهم الآخر يقدم المساعدة لأبنائه من خلال البطاقات اللاصقة في كتاب أعمال أبنائه، كل ذلك أفكار غير مقبولة وغير كافية، فيجب على الآباء المساعدة بطريقة ممتعة، مرحة وذكية، وعندما يتم الاتصال والتفاعل بين الآباء وأطفالهم يجب أن تكون تلك اللحظات مفيدة وممتعة، وهذا ما توفره الألعاب التربوية المفيدة شرط أن تكون بسيطة وسهلة وغير مكلفة، ولكن شكوى الآباء أنهم دائما لا يوجد لديهم وقت فراغ لتعليم أبنائهم، أو حتى للجلوس معهم! وتتعدد أشكال وأنواع اللعب، وقد صنفها الباحثون في أصناف عدة هي:

الألعاب التلقائية: وتمثل الأشكال الأولية للعب، وفيها تغيب القواعد والمبادئ المنظمة للعب، وهي في معظمها انفرادية، ولا تتم ضمن مجموعات، ويلعب الطفل كلما رغب، ويتوقف عنه حين لا يهتم به، ومعظم ألعاب هذا النوع هي استقصائية واستكشافية.

ألعاب تمثيل الأدوار: يعتمد هذا النوع من الألعاب على خيال الأطفال الواسع ومقدراتهم الإبداعية، وفيه يتم تقمص الأطفال نماذج الحياة الإنسانية والمادية المحيطة بهم، وينشأ هذا النموذج من اللعب استجابة لانطباعات انفعالية قوية يتأثر فيها الطفل بنموذج حياة من الوسط المحيط به (٣).

الألعاب الترويحية والرياضية: يشمل هذا النوع من الألعاب جميع الأنشطة التي يقوم بها الأطفال والتي تنتقل من جيل إلى جيل، ومنها الألعاب الشعبية.

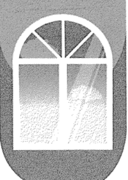
الألعاب الإيهامية: من أكثر الألعاب شيوعا في عالم الطفولة المبكرة، وهي من الألعاب الشعبية أيضا، وفيها يتعامل الطفل مع المواد أو المواقف كما لو أنها تحمل خصائص أكثر مما تتصف به في الواقع.

الألعاب الفنية: وهي إحدى أنواع الألعاب التركيبية، وتعد من الأنشطة الفنية التعبيرية التي تنبع من الوجدان والتذوق الجمالي، ومنها الرسم بالمواد المختلفة.

الألعاب الاستطلاعية الاستكشافية: يشمل هذا النوع من الألعاب كل عملية يقوم بها الطفل لمعرفة المكونات التركيبية لشيء ما وكيف يعمل ذلك الشيء.

الألعاب اللغوية: تمثل نشاطا مميزا للأطفال يحكمه قواعد موضوعية، وله بداية ونهاية محددة، ويمكن من خلالها تنمية كفاءة الاتصال اللغوي بين الأطفال وتدريبهم على الاستخدام الصحيح لكثير من أدوات اللغة حروفا أو أسماء أو أفعالا، كما أنها تمنح الأطفال فرص الإبداع اللغوي عن طريق التدريبات الشفوية الحرة.

الألعاب الثقافية: من خلال هذه الألعاب يكتسب الطفل معلومات ومعارف وخبرات متنوعة، ويدخل ضمنها الأنشطة القصصية





المختلفة، كالمطالعة والكتابة.

الألعاب التركيبية البنائية: يمثل هذا النوع ألعاب البناء والتشييد بالطرق والمواد المختلفة.

الألعاب الفلاحية: وهي أوجه النشاط المختلفة التي توجه للأطفال الذين يعانون اضطرابات نفسية مختلفة لتخليصهم مما يعانون.

ومن الجدير بالذكر أن الألعاب التربوية ممارسَة في وسائلنا التربوية، لكنها اجتهادات فردية تفتقر إلى التأصيل، فالألعاب طريقة تربوية لها تأصيلاتها النظرية في جامعات عالمية عريقة، وتطبيقاتها العلمية المشاهدة في الدورات التدريبية والفصول التعليمية في المدارس الغربية تستند إلى ثروة من الأبحاث والدراسات الأكاديمية، تقدم تحت مسمى «التعليم من خلال الممارسة «تارة أو » التعليم الترفيهي Eduainment أو «التعليم بالمرح»، وما العمل التربوي في محصلته النهائية إلا عملية تعلم هدفها إكساب الفرد معلومة جديدة، وغرس سلوك حميد وتنقيته من آخر مشين، وتغيير اتجاهات وقناعات. فالدراسات تؤكد أن الأفراد يتعلمون بصورة أفضل عندما تكون عملية التعلم ممتعة، فالألعاب طريقة جذابة وطبيعية، فنحن مفطورون على حب المرح الذي أحد مصادره اللعب، ففي داخل كل منا طفل يتوق للعب، كما يقول نيتشه.

إن الألعاب التربوية تتبنى مبدأ التعلم من خلال الممارسة، فهي ألعاب تُحكم بقوانين، وتحدد سلوك المشاركين المطلوب منهم القيام به، كما تحدد النتائج الأهداف المراد تحقيقها، والجزاءات التي تحدد نتيجة للأداء، كما تشير إلى مجموعة من الأنشطة المطلوب القيام بها لإنجاز مهمة ما، ويتم ذلك في جو مصطنع يحاكي الواقع، وأغلب الألعاب تحمل طابعا تنافسيا في إطار تفاعل اجتماعي بين المشاركين، تنتهي بفائز وخاسر، وهي بطبيعتها تتطلب من الأفراد المشاركة الجسدية (نشاط عضلي كالحركة) أو العقلية (نشاط عقلي كحل مشكلة) أو كليهما، كما تستثير الجانب الانفعالي لدى المشارك (كالحماس والمتعة والإثارة والترقب) (٤).

وعامة فإن الألعاب التربوية هي إحدى أهم وسائل نقل واستيعاب المعلومة، وغرس السلوك المطلوب، وتغيير الاتجاهات، والسبب في ذلك هو تميزها بخصائص عدة مقارنة بالوسائل الأخرى، والتي منها مخاطبتها لأكثر من حاسة لدى الإنسان، ففي حين تعتمد المحاضرة التقليدية على حاسة السمع لنقل المعلومة، فإن الألعاب التربوية تستخدم بالإضافة للسمع.. البصر، واللمس، وفي أحيان أخرى الشم والذوق، وكلما تمت مخاطبة أكثر من حاسة خلال عملية التعلم، كلما كانت المعلومة أو السلوك أكثر ثباتا وفهما لدى المشارك.

المؤشر العلمي على أهمية اللعب لنمو الأطفال كمّ الوقت الذي يقضونه وكمّ الطاقة التي ينفقونها

ومن الجدير بالذكر أن الألعاب من أكثر الوسائل جذبا لانتباه الأفراد، وأكثر وسائل التعلم التي يتفاعل من خلالها الأفراد فيما بينهم، كما أنها تقوي العلاقات الاجتماعية بين أفراد الجماعة، وتزيد وتعزز ثقة الفرد بنفسه.

ونلاحظ أن الألعاب في المنهج الأمريكي تبدأ من اليوم الأول من المدرسة، وهي ما تسمى بـ «الآيس بريكر Ice Breakr- »، وتلعب أدوارا مختلفة مثل تلك التي تقدم للدرس أو تقرب فكرة معينة، أو تستخدم لمراجعة الدرس أو لاستغلال وقت الحصة الباقي بما ينفع، أو لتدخل شيئا من الاسترخاء على جو الحصة.

وبعد قانون «لا طفل يخفق دراسيا» الذي أطلقته الإدارة الأمريكية، أصبح التركيز على تعلم الرياضيات والعلوم والقراءة والكتابة كبيرا، وتظهر في الوقت الحالي محاولات جادة للدمج بين كل هذه المهارات، وذلك عن طريق الأنشطة العلمية والتجارب.

وهكذا يحقق المعلمون أكثر من هدف تعليمي إضافة إلى المرح والتسلية، فإحدى معلمات العلوم في الصف السابع لم ترض بتدريس طلابها الحقائق العلمية الجافة فقط، فمثلا عندما بدأت تدرس طلابها عن الحمض النوويD N A أرادت أن يفهم طلابها آثاره على المجتمع، فبدأت بعرض أحد أفلام الخيال العلمي عن رجل مصاب بخلل في الجينات الوراثية، ثم بعد ذلك قرأ الطلاب قصة عن صبي تطوع لمحاربة الأخطار من أجل حماية الجنس البشري، ثم ناقش طلابها مقالات عن الاستنساخ، وبحوث الخلايا الجذعية، وقاموا بإجراء خمس عشرة تجربة في المعمل، وقاموا بعمل خلية من الجيلاتين والحلوى، وفحصوا خلاياها تحت المجهر، وحقنوا D N A بكتيري في إحدى الخلايا وجعلوها تتلألأ، ثم بعد ذلك انغمس الطلاب في كتابة قصصهم الخيالية العلمية..

وهكذا استطاعت المعلمة أن تدمج أكثر من مهارة في تدريسها.

ومما لا شك فيه أننا وبعد انتشار أجهزة الكمبيوتر وألعابه في كل مكان، لو استطعنا تطويع ألعابه بحيث تخدم أهداف التعليم، فسيرتقي التعلم كثيرا، فأطفالنا اليوم يقضون الساعات الطوال أمام شاشات الكمبيوتر بلا كلل ولا ملل، أفلا يمكن استغلال الجاذبية التي يفرضها عليهم الكمبيوتر في التعليم؟ وما أكثر الألعاب التي يستطيع المعلم أن يدخلها في المنهج الدراسي، خاصة أنها لا تعتمد على نوع واحد من الألعاب، فمن تجارب وتمثيل وألعاب حركية إلى إنترنت وألعاب كمبيوتر، وكل المطلوب أن يُعمِل المعلم خياله، ويجيل النظر في الخيارات الكثيرة المطروحة أمامه ليختار من بينها ما يناسبه ويناسب المنهج الذي يدرسه.

المصادر

- د. محمد محمود الحيلة: الألعاب التربوية وتقنيات إنتاجها، عمان، دار المسيرة، ط٣ ٢٠٠٦م.
- علي فالح الهنداوي: سيكولوجيا اللعب، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٣م.
- عزو عفانة: أسلوب الألعاب في تعليم وتعلم الرياضيات، غزة ١٩٩٦م.
- د. محمد محمود الحيلة: تقنيات إنتاج الألعاب التربوية، المعرفة، العدد١٤٧، الرياض ٢٠٠٧م.
- أجنر فوج: الانتخاب الثقافي، ترجمة شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨م.
- إيمان الكرود: الآيس بريكر، المعرفة يوليو ٢٠٠٧م.
- Games Eor Learning. (٢٠٠٣) Kaye peggy .Farrar Giroux .NEW YORK

قصة خلود

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الكتروني suad119@hotmail.com

جاءتني تطلب المساعدة ونظرات اليأس تملأ عينيها، مطأطئة الرأس، ودموعها تبرق في عينيها البريئتين، فقالت بصوت لا يكاد يسمع: أنا لا استحق أن أعيش، لا قيمة لي بعد الآن، أرجوك يا دكتورة ساعديني فأنا أشعر باكتئاب حاد لا أطيق الحياة معه.

فأخذتني بجولة على مدى ستة أشهر من حياتها، تذكر تفاصيلها بكل دقة، وتجسدها لي وكأنني أرى أحداثها أمامي، لتنهي قصتها بانهيار نفسي يصحبه بكاء بحرقة، وندم ليس له مثيل، وبكلمات سلبية موجهة لذاتها المحطمة.

حاولت تهدئتها بعد أن تركتها للحظات تبكي وتفرغ ما يثقل صدرها من ألم وضيق، فبدأت معها من حيث انتهت، فقلت لها: والآن وبعد هذه القصة المؤلمة التي كنت أنت بطلتها الضائعة، هل تريدين حقا الخروج مما انت فيه لتعيدي أشلاء نفسك المتناثرة، ولتمارسي حياتك بصورة طبيعية، وتنطلقي للحياة بروح المرح والطموح والحب كما كنت في السابق؟ فقالت بيأس يشوبه الأمل: نعم يا دكتورة، وهذا سبب وجودي هنا (في مركز ثوابت للاستشارات النفسية) فقلت: اسمعي يا ابنتي، لنجاح أي مهمة -ومنها مهمة تغيير الفرد لذاته- نحتاج إلى أمرين مهمين وهما: وضوح الهدف، ووجود الدافع، فقالت: كيف؟ قلت: هل أنت فعلا تعلمين إلى أين ستصلين بعد الانتهاء من هذه الجلسات؟ وبالنسبة لوجود الدافع فيجب أن تكوني على أتم استعداد لمواجهة أي واجبات قد يتطلبها العلاج، وتتحملي كل الصعاب في سبيل وصولك إلى «خلود» السابقة وكأن شيئا يدفعك من داخلك لتحقيق ذلك، فقالت: نعم.. وكررت وهو سبب وجودي هنا، وبدأنا العلاج.

ولتكونوا معنا أعزائي القراء فإنني سأمرر عليكم شريط الأحداث، والذي غالبا ما تتعرض له البنات، وخصوصا اللاتي يمتلكن قلوبا وشخصيات مثل قلب وشخصية خلود، فالقصة بدأت عندما تعرفت خلود أثناء الدورة التدريبية التي انتسبت إليها من خلال عملها على شاب يكبرها بعشر سنوات، فهي في العقد الثاني من العمر وهو في العقد الثالث، لم يسبق لها خلال مراهقتها أو في سن رشدها أن تتعرف على الجنس الآخر أو تحتك بهم، مما ساعد في استغلالها بطريقة ساذجة، فبدأت حواراتهم رسمية عن المادة التي يدرسونها، ثم تطورت الحوارات إلى أن وصلت لتبادل أرقام الجوالات بهدف الشرح وتبادل الخبرات حول الدورة التدريبية، ومن هنا كانت البداية.. فبدأ هذا الشاب يحرك في نفس خلود ما لم يحركه غيره، فأسمعها كلمات تدل على الاهتمام والإعجاب من غير خدش للحياء، واستمر أربعة أشهر وهو على هذا الحال، ولكن خلود -كأي فتاة- رسمت لنفسها صورة أخرى معه، فتخيلت نفسها العروس التي طالما انتظرت يومها السعيد، والآن وجدت هذا الحب مع هذا الشاب، وبدأت العلاقة بالتطور إلى أن وصلت إلى المقابلات خارج إطار العمل وفي الأماكن العامة، ترددت خلود في البداية لكنها غلفت ترددها بإيحاءات وهمية بأن هذا لقاء عمل فلماذا لا أخرج معه؟! إلى الآن.. وهذا الشاب لم يخدش حياءها ولم يستخدم أي كلمات حب أو إطراء إلا ما ذكره من اعجاب غير مباشر، وهذا ما فهمته خلود من كلماته.

مرت الأيام وخلود تعيش أحلام اليقظة للفارس المنتظر فتطور حديثها إلى أن قال لها كلمة «أحبك» وهنا بدأت القصة الحقيقة، يا سلام.. يا الله.. هذا ما انتظرته خلال خمسة أشهر، هذا ما كنت أريده، لقد تحقق حلمي وصدقت كل أفكاري، إنه فعلا يريدني أنا، ويحبني أنا، هذا ما قالته خلود ببكاء شديد، ثم نكست رأسها لتقول: لقد انتهيت يا دكتورة، أنا إنسانة غير شريفة، أنا لا أستحق أن يكون والداي هما والدي لأنني ابنة فاشلة غير سوية جلبت لهم العار والخزي، بكت قليلا لتكمل لي قصتها، ثم تواعدنا في يوم ما على ان نتقابل في شقة صديق له، ويقول إن صديقه متزوج وهو مسافر الآن، وأعطاني مفتاح شقته حتى أحرسها له، فتعالي لنأكل طعام الغداء معا خاصة أنني أريد أن أهديك شيئا كبيرا لا أستطيع أن اهديك إياه في مطعم عام، ترددت خلود كثيرا وخافت ولكن (أحبك، أنت حبيبتي) كانت تتردد في عقلها، فبررت لنفسها الذهاب دون علم أحد، خرجت من البيت وتزينت وتعطرت وذهبت حيث الدمار على حد وصفها، دخلت ثم حدث ما كان يخطط له هذا الشاب، لقد سلب منها حياءها، سلبها أغلى ما تملك الفتاة ثم حاول ان يعالج الأمر بعدما انتهى، فقال لها: أنت الآن زوجتي، وسوف أتقدم لك رسميا ولكن امنحيني بعض الوقت، وقام وكأن شيئا لم يكن، تقول خلود: كانت لدي مشاعر مضطربة لا أعرف ما هي، رجعت البيت وسلمت على أسرتي ولم أضع عيني بعين أحد، أشعر بخوف شديد ومشاعر ألم ونشوة ولكن الخوف هو المسيطر.

مرت أيام على الحدث ولم يتصل الحبيب، بدأت خلود بالاتصال عليه وهو لا يرد عليها، وبعد اتصالات عدة تجاوزت العشرات رد عليها ليقول: اسمحي لي انا مشغول أكلمك اليوم ليلا، أعادت هذه الكلمات إلى خلود نوعا من الأمل المشوب بالخوف، ولكن داخلها يقول سوف نضع اليوم موعدا لتحديد يوم الزواج، تقول: انتظرت الليل، فاتصلت به والخط مشغول، كررت وكررت ولكن.. لديه خط آخر، اتصلت وأخيرا أجابني وقد جاوزت الساعة ٢ صباحا فقال لي: ما بك انا تعبان ماذا تريدين مني فقلت: أنا.. ماذا أريد؟! ألا تعلم أنني أعيش أياما عصيبة، فالخوف من الفضيحة يكاد يقتلني، متى ستأتي لتخطبني؟، فرد بكل برود، يا خلود أنا قلت لك لم يحن الوقت بعد، وأنهى المكالمة التي تركت خلود في حيرة من أمرها، صرخت من الداخل ولكن لا مجيب، مرت أيام وعندما حاولت الاتصال به بعد هدوئها رد عليها بنبرة عصبية يا بنت الناس: أنا لا أصلح لك، وأرجوك لا تتصلي على هذا الرقم مرة أخرى، انتهت المكالمة واغلق الجوال، انهارت خلود... ولنا بقية في العدد القادم.

التربية الإعلامية في عصر الطغيان الإعلامي

التربية الاعلامية هي المبادئ والأحكام التي يكتسبها الفرد من وسائل الاعلام عن طريق تحصين الجماهير في مواجهة الانفلات الإعلامي، وتعريفهم بالأسلوب الصحيح للتعامل مع هذه الوسائل.

وقد كشفت الدراسات العلمية عن أهمية التربية الاعلامية في المجتمعات العربية الاسلامية بعدما هيمنت وسائل الإعلام على الساحة الدولية، وأصبحت تشكل خطورة على الجمهور المتلقي، وبعد أن أصبح المتلقي ضحية لكل ما يقدم له دون أن يميز بين ما يضره وما ينفعه في عصر ثورة العلم والمعرفة التي نعيشها بفضل التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال لاسيما الإعلام الفضائي لما يتمتع به من سعة في الانتشار وقوة في التأثير تتزايد لدى الجماهير يوما بعد يوم.

د.محيي الدين عبدالحليم

والإعلام الناجح يعد شاهداً على العصر الذي نعيش فيه، فهو مرآة تعكس ما يدور في العالم بما ينقله من وسائل واقعية وأخرى خيالية تقدم للجماهير مستجدات الحياة وأنماطها بما يزخر به من سلوكيات ومفاهيم ومعارف، وقد توصلت احدى الدراسات إلى أن ثلثي معلومات الفرد أصبح يحصل عليهما من وسائل الإعلام المختلفة.

بيد أن الناظر لحال ومستوى وسائل الإعلام العربية يجدها أصبحت دون مستوى التحدي في بناء مجتمع المعرفة وحماية الجماهير في العالم العربي لأنه قلما تهتم هذه الوسائل بصفة خاصة بالعلماء والمفكرين والمبدعين بل نجدها تمجد نجوم السينما والفن والرياضة والطرب لتنشر أذواق هؤلاء وسلوكياتهم حتى أصبحوا مثلا أعلى للشباب، والطامة الكبرى تجسدها أغاني «الفيديو كليب» بما تحويه من مشاهد الإثارة والجنس والعري واستخدام الآلات الموسيقية الصاخبة لاسيما في إعلانات التلفزيون مما قد يدعو الشباب صراحة إلى الانحراف والابتذال فيتحول الإنسان العربي إلى شخص استهلاكي ينشغل فقط بتحقيق رغباته ومتعه الشخصية.

وهذا يعني أن الإعلام العربي قد أصبح في حاجة إلى وقفة متأنية وموضوعية كي يكون اعلاما هادفاً له رسالة، ويدعو إلى العمل والبعد عن الاستهلاك المبني على التسلية والترفيه فقط، ويسهم في تحقيق التنمية الحقيقية التي تسعى إلى الارتقاء بمستوى معيشة البشر وأنماط حياتهم بفضل التحول من الجمود إلى الإنجاز، ومن الانعزالية والأنانية إلى إنسان غيري لا ينصب كل اهتمامه على نفسه بل يهتم ويفكر في المستقبل العام للوطن، ومن ثم فإنه لا بد من تشجيع وسائل الإعلام على تنمية نمو العقل الفكري الحديث لايجاد المجتمع الانتاجي الذي يعتمد على نفسه لا المجتمع الاستهلاكي الذي يعتمد على الغير ويستهلك نتاج حضارة الآخرين دونما عطاء مقابل.

المفكرون والإعلاميون والتربويون مطالبون بوضع تصور علمي للمعلومات والمعارف التي ينبغي أن يلم بها الإنسان العربي

ولكي يحقق الإعلام العربي هذه المهمة فلا بد من ايجاد الإعلام الذي يملك الثقافة العلمية التربوية الحقيقية والرغبة والموهبة في توصيل المعلومات والمعارف وتفسير مدلولاتها ومعرفة الآثار الناجمة عنها لأن رجل الاعلام هو الحارس الأمين على الرسالة الاعلامية، ولا بد أن تتلقفه يد التربية بالتعليم والتأهيل والتدريب منذ اللحظة الأولى التي يضع فيها قدميه على عتبة العمل الإعلامي وطوال سنين حياته العملية، لأن رجل الإعلام الواعي المدرب المنشأ تنشئة إعلامية سليمة سوف يستطيع أن يعبر عن أهداف وطنه.

وفي الحقيقة رجال الإعلام هم ضيوف على كل بيت وفي كل وقت، والقدوة الحسنة هي خير وسيلة لتحقيق المنشود، ومن الاعلاميين من يحرصون على السلوك القويم والثقافة الجادة والعمل المفيد ويضربون مثلا أعلى يحتذى بدلاً من الاهتمام بالشكل دون الجوهر وبالتسطيح دون التعمق لأن أمثال من هذا طريقه يكون ضررهم أكثر من نفعهم وهم أحوج ما يكونون إلى التربية الإعلامية السليمة.

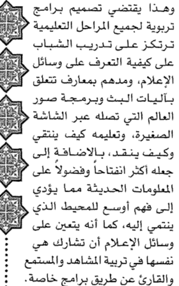
وإذا كان للاعلام العربي انجازات تكنولوجية ملموسة في مجال الأقمار الصناعية ومستوى الإرسال والابنية والاجهزة الهندسية، فإن الجانب البشري لم يلق مثل هذا النهوض والتطوير، فلا يكفي تحديث الأجهزة ونقل التكنولوجيا.

ومن ثم فلا بد من إعداد الكوادر الإعلامية في جميع الميادين، لأن التأهيل التربوي لرجل الإعلام عن طريق التعليم والتدريب المستمر هو الطريق للوصول لممارسة إعلامية سليمة مادمنا نتطلع عن طريق التربية الإعلامية إلى اليوم



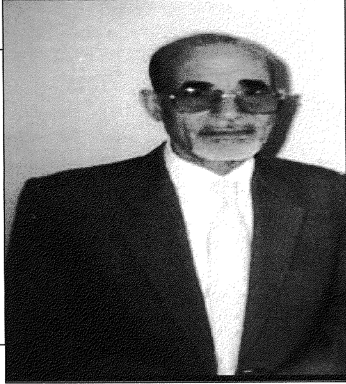
الذي يشهد فيه العالم العربي نهضة اعلامية تقودها كوادر قادرة على النهوض بهذه الرسالة السامية.
وتشير الحقائق العلمية إلى أن المناهج الدراسية في شتى مراحل التعليم الأساسي في العالم العربي تفتقر إلى وجود مادة إعلامية في مناهجها الدراسية شأنها في ذلك شأن التربية الموسيقية والرياضية والفنية والزراعية والتجارية والحرفية، فلماذا لا تكون هناك تربية اعلامية؟ لاسيما أن الإعلام يمارس تأثيراً كبيراً على كل قطاعات المجتمع، لأن الحاجة ماسة إلى أن يشمل الخطاب الإعلامي مخاطبة الصغار وتنشئتهم تنشئة صحيحة مزودة بالمعارف المناسبة وإحاطتهم بمسارات الإعلام ومهاراته وتطبيقاته واخلاقياته.
ولا يخفى أن التربية الإعلامية تواجه تحديات كثيرة يلزم مواجهتها على المستوين العربي والإسلامي على اعتبار أن التربية قطاع من قطاعات المجتمع يصيبها ما يصيب المجتمع، ولمواجهة تلك التحديات فإنه لا بد من الدخول بقوة في عصر المعلومات والتدفق المعرفي بحيث يمكن اللحاق بأسرع ما يمكن بمنجزات العصر العلمية والتكنولوجية بما تفرضه من أنماط ثقافية، إلى جانب التأكيد على منظومة القيم التي تشكل الخصوصية الثقافية العربية، ومن أهمها القيم الدينية والأخلاقية والعادات والتقاليد والموروث الشعبي، مع ضرورة التحاور مع الثقافات الأخرى من منطلق الندية لا التبعية، فالإسهام الثقافي العربي والإسلامي كان يمثل إحدى الركائز الأساسية للثقافة الإنسانية عموما حتى لا تقع فريسة لأي ثقافة غلابة أو مسيطرة في العصر الذي نعيش فيه، وإنما تتبادل التأثير والتأثر من منطلق استقلالية الثقافة العربية وما تتمتع به من عناصر قوة مؤثرة.
وأمام هذه التحديات فإن التربية التعليمية يجب أن تأخذ على عاتقها ترسيخ الخصوصية الثقافية العربية الإسلامية وتحصن الجمهور المتلقي من كل أشكال الاتصال الثقافي الذي يستهدف هويتنا وحضارتنا، وكذلك تحقيق التوازن بين المحافظة والتجديد دون التقوقع في ماض عريق أو التعولم المطلق غير المشروط، وإنما التقدم المحسوب الذي يحكمه منطق الانتقاء في ضوء الحاجة الى العصرنة مع التمسك بالهوية وتمثيل التراث العربي الإسلامي واستخلاص النماذج التي تستجلي أصالته وبعث القيم التي تساعد في ذلك من خلال الحفاظ على الأصالة والمعاصرة ومساعدة الجماهير العربية في مواكبة العصر وتوظيف معطياته والإسهام بالجهد الذي يجعل منها عناصر غير منتجة للحضارة وليس فقط مستهلكة لها، ولا نحسب الأمر يسيراً إذ إن تربية الفرد إعلاميا في مثل هذا المجتمع وفي مثل هذا العصر أمر بالغ الصعوبة لأنها تحدث في مناخ تسوده قيم غير ثابتة سريعة التحول متعددة الاتجاهات متباينة من حيث القوى التي وراءها.
ولقد أكد تقرير اليونسكو للتربية في القرن الـ ٢١ أن سبل مواجهة تحديات القرن المقبل تكمن في أن نبني التربية الإعلامية من خلال تنمية شخص المتلقي العربي من مختلف جوانبها حتى يصبح قادراً على تحمل المسؤولية والحكم الصائب على الأمور.

ونظرا لأهمية التربية الإعلامية فإنه يلزم بذل الجهد من قبل المفكرين والباحثين الإعلاميين والتربويين لوضع تصور علمي للمعلومات والمعارف التي ينبغي أن يلم بها الإنسان العربي وهو يعيش الآن في القرن الحادي والعشرين وكذلك القيم والاتجاهات التي ينبغي أن يتحلى بها، والاتجاهات التي ينبغي أن تتوافر لديه، والمهارات التي ينبغي أن يكتسبها.
ومن المهام التي ينبغي انجازها بإلحاح تصميم برامج تدريبية للمعلمين في مجال التربية الخاصة بوسائل الإعلام، حيث إن الزمان الذي كان المعلم فيه على معرفة متعمقة بمادة اختصاصه فقط قد ولى إلى غير رجعة، فالمطلوب في أيامنا هذه أن يعرف كيف يكسب التلاميذ القدرة على استثمار المعلومات التي تصلهم عبر وسائل الإعلام، بالاضافة الى الاهتمام بالبرامج التدريبية الموجهة للمعلمين ليكونوا أكثر قدرة على تعليم الصبية والشباب فن السيطرة على أنفسهم.
وهذا يقتضي تصميم برامج تربوية لجميع المراحل التعليمية ترتكز على تدريب الشباب على كيفية التعرف على وسائل الإعلام، ومدهم بمعارف تتعلق بآليات البث وبرمجة صور العالم التي تصله عبر الشاشة الصغيرة، وتعليمه كيف ينتقي وكيف ينقد، بالاضافة إلى جعله أكثر انفتاحاً وفضولاً على المعلومات الحديثة مما يؤدي إلى فهم أوسع للمحيط الذي ينتمي إليه، كما أنه يتعين على وسائل الإعلام أن تشارك هي نفسها في تربية المشاهد والمستمع والقارئ عن طريق برامج خاصة.



المفكر الإسلامي د.محمود عمارة لـ (الوعي الإسلامي) :

الهوى والمزاج الشخصي والتدين الملون .. وسائل تشرذم الأمة



حوار: محمد صالح

المفكر الإسلامي الكبير د.محمود محمد عمارة عالم جليل من علماء الأزهر الشريف نهج أسلوبا علميا شرعيا في تربية طلابه ومريديه بعلمه الغزير، وعطائه الوفير، صاحب قلم رقيق، وأسلوب دقيق، وحضور متميز على الساحة الإسلامية.. أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات التي نهل منها الطلاب وعل منها العلماء، له باع طويل في الأسلوب العربي المتأدب، يعمل حاليا أستاذا للدعوة بالدراسات العليا في كلية أصول الدين جامعة الأزهر، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.. «الوعي الإسلامي» التقت د .عمارة .. وإليكم نص الحوار:



ما الذي يشغل اهتمامكم من واقع الأمة الإسلامية في حقبتها المعاصرة؟

موضوع وحدة الأمة الإسلامية، وتدعيم القدوة، من أهم القضايا المعاصرة التي تشغل البال، وأنا من الذين يشغلهم ذلك.. فكونك على الحق هذا شيء مهم جداً، وأهم منه أن تتضافر جهود المحقين، لاسيما وأعداء الإسلام يواجهون الإسلام من خلال وحدتهم القوية التي تبين عنها المؤتمرات الرامية إلى توحيد الصف في مواجهة الزحف الإسلامي، ونذكر هنا قوله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، هذه هي الوحدة، فإنك تلاحظ أن الآية تقول «جميعاً» وكأنها تكشف الستار عن مجموعة المهتمين بالإسلام، لكنّ هذا مُشرّق وذلك مُغرّب.. مما يذهب بقيمة هذه الأمة الموزعة أشتاتاً، وكأننا بهذا الاختلاف نوفر على الأعداء طاقة كان من الممكن أن يبذلوها لمحاربتنا، لكننا تركناهم يجلسون على كراسي المتفرجين يشاهدون هذه الفرقة التي هي بعض آثارهم، وثمرة من ثمرات مؤامراتهم علينا، فلا بد من التوحيد، ثم الوحدة.

ثانياً : غياب القدوة.. فما أكثر من يتكلمون عن الإسلام، لكن القدوة غائبة.. لاحظ أن الرسول ﷺ في عمرة الحديبية عندما أشار على الصحابة أن يحلقوا رؤوسهم فتوقفوا، فأشارت عليه أم سلمة أن اخرج ولا تكلم أحداً وادعُ حالقك.. ومن هنا قالوا: عمل رجل في ألف رجل خيرٌ من قول ألف رجل في رجل.. إذن ألخص لك هذه القضية، التوحيد ثم الوحدة، التي يؤسفنا أن نقول بأنها مشروخة، ويجب إذا أردنا أن ننطلق أن نوحد الجهود.

الغزو الفكري أشرس وأعنف بكثير من الغزو العسكري فما هو مدى معاناة الأمة من هذا الغزو، وما هي مظاهر المعاناة، وكيف السبيل إلى العلاج؟

لاحظ أن القرآن أشار إلى خطورة هذا الغزو قال تعالى ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء...﴾ (النساء: ٨٩) وأنهم يستخدمون كل الوسائل لتدعيم هذا الهدف الخبيث، ومن المواجهة العسكرية قوله تعالى ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا...﴾ (البقرة: ٢١٧)، فالقرآن فيه إشارات صريحة في هذه النقطة، لكن المهم في الموضوع هو ما دور الأمة الإسلامية؟ وإذا كانوا يحاربوننا بالسلاح فيجب أن نكون على أعلى مستويات الاستعداد أخذاً من قوله تعالى ﴿وأعدوا

لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل... ﴾(الأنفال: ٦٠) ولاحظ (مِنْ) وهي تفيد معنى الاستغراق.. القوة المادية والقوة المعنوية أيضا، فلا بد أن يكون العلماء الذين يتصدون لمواجهة هذه الحملات، لا بد أن يكونوا على مستوى المواجهة، وإلا فدخول أنصاف المتعلمين في عراك فكري مع هؤلاء الناس ربما يُهزمون.

الواقع يعج بالأفكار المختلفة، والتيارات المتنوعة، ولا بد من وجود داعية يقظ لرصد المؤامرات والرد على المطاعن، فما مؤهلات الداعية المعاصر؟

لابد أولا من حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً، ومعايشة السنة المطهرة، ومع هذا وهذا لا بد أن يكون للداعية حس لغوي مميز ليستطيع بواسطته أن يفهم السطور وما وراء السطور، ولعل الشيخ الشعراوي- رحمه الله- في طليعة مَن يؤكدون ذلك، فعن هذه اللغة كان ينطلق، وكان يحقق من النجاح ما لا يحققه غيره، ولاحظ أهمية اللغة، وضرورة أن يكون في المكتبة أكثر من مرجع في اللغة، وهذا أمر غائب في حياة بعض الدعاة ، لا صلة لهم بكتب اللغة .

هناك فصائل كثيرة تعمل في حقل الدعوة الإسلامية..كيف ترون واقع هذه الفصائل؟ وما رؤيتكم الدعوية لتعددها؟ وبماذا تفسرون الاختلاف والتنازع بصفة عامة فيما بينها؟

هذا الاختلاف الذي تتحدث عنه له تفسير واحد فقط وهو أن عنصر الذات والمزاج الشخصي طرف في القضية، لو أننا أخلصنا النية لله سبحانه وتعالى لاتفقت كلمتنا، وكما قال بعض الصالحين: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، فأي فئة من هذه الفئات فيما بينها وبين الفئات الأخرى أصول، فلماذا لا نتفق في الأصول ثم يعذر بعضنا بعضا في الفروع، وإلا فاختلافنا هذا محسوب لأعداء الإسلام، فيجب أن تتلاقى هذه الفئات بالتعبير السياسي «أن نتلاقى على خط الهدنة»، بمعنى أن أتنازل عن بعض ما عندي، وأن تتنازل عن بعض ما عندك من الأمور التي ليست في صلب الإسلام، ثم نقف على خط واحد، والطاقات المبذولة الآن في اختلافات الفرق الإسلامية يجب أن تُرصد للترقي.

وهل نحن في هذا الاختلاف ممن يُغيظ الله بهم الأعداء؟

أبداً، فالأعداء مغتبطون، ونحن نحقق أهدافهم من حيث ندري أولا ندري، فالوسيلة هي الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ثم استبعاد الأشخاص والأمزجة، وإجلاء كل من ليس له قدم صدق في العلم أو الدين، حتى يتحدث باسم العلم والدين، من هو من أهل العلم وأهل الدين. إننا في عصر التخصص، بل إن القرآن الكريم يقول ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل: ٤٣)، فلا ينبغي أن يتصدى لهذه الأمور من ليس له قدم صدق في العلم أو الدين.

كما قلت لك في بداية هذه الإجابة: إن الهوى والمزاج الشخصي أو العلم الملون، والتدين الملون الذي فرض نفسه، فكانت هذه الفُرقة التي قدمناها خدمة لأعداء الإسلام، وسوف نحاسب عليها لأن ذكاء المرء محسوب عليه.

كانت تربط بينكم وبين الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- علاقة وآصرة طيبة، فما طبيعة هذه العلاقة؟

عقب تخرجي عُينت مدرسا في الأزهر، وفي العام التالي نُقلت إلى معهد دسوق الديني، فعلمت أن الشيخ الغزالي سيُلقي محاضرة في الإسكندرية، والمسافة بعيدة بين بلدة دسوق والإسكندرية، وكان علي أن أنفق في السفر نصف راتبي الشهري، فبذلته راضيا لأراه وأستمع إليه، كنت قرأت له قبل ذلك لكن «فما راء كمن سمع»، كان يُعجبُني فيه سجيته التلقائية، ووضوحه، ونشأته الريفية، ولذلك تعجب أنّ علاقتي به توطدت عندما علمت أنه فلاح مثلي، وتلمح آثار هذه الخضرة، وهذه الطلاقة وهذه الحرية في أسلوبه، في تعبيراته، فلما التقيت به، وكنت في مجموعة خصني بالحديث، وتذكرت حينئذ أن الأرواح جنود مجندة، فلما عملت معه في جامعة أم القرى مدة أربع سنوات وجدت الأهداف متفقة، ويسعدني أن أكون تلميذا في مدرسة الشيخ محمد الغزالي، وقد تعلمت منه خلق السماحة على الفارق الهائل بيني وبينه، فحينما كان في وزارة الأوقاف وهو مدير تأتيه الورقة فيوقع عليها دون أن ينظر لما فيها، ويساعد دائما ذوي الحاجات، كان الشيخ الغزالي يقول: أنا أميل إلى الدعابة، وأنا أيضا أميل إلى الدعابة، وكان يقول: أنا فيّ شيء من الحدّة، وأنا أيضا فيّ شيء من الحدة، وهذه طبيعة من نشأ في الريف، يعبر عن شعوره بتلقائية وبدون مراجعة.

يتطاول أدعياء الإسلام بين الحين والحين على ثوابت الدين، ومما يدمي القلب أنّ بعض أجهزة الإعلام تفتح صدرها لهم، وتفسح المجال لكلامهم.. فما نظرتكم لهؤلاء؟

أختصر الرد وأقول: مثل هؤلاء معنا كمثل حقل نام صاحبه، فعاثت فيه الذئاب، فقبل أن تلوم هؤلاء الناس لُم أمة الإسلام الغافية، الراقدة، مع أن أعداءها يَنشَطُون، يُسخرون كل إمكاناتهم للنيل منها، فإذا أردت أن تضع حدا لهذه الهجمة، فعد إلى أصحاب الحقل أنفسهم، الذين يجب أن يستيقظوا من سباتهم، من كهفهم المظلم.. لأن الذي يُهاجم، ليس هجومه صادراً عن جُرأة، فلقد سمعت مرة من يقول: يهودي فدائي! فقلت له: لا، يهودي، أم فدائي؟ إذا كان يهودياً فلن يكون فدائيا، وإذا كان فدائيا فلن يكون يهوديا!! أما ما تريد أن تصفه ليس فدائية اليهود، ولكنه ضعفنا نحن، لذلك أظن أنني استطردت وأنا طالب فقلت: «وإذن فدودة القطن ليست دودة القطن، وإنما هي معاصينا تشكلت فكانت خير رد علينا حتى نفيق».

دودة القطن ليست دودة القطن وإنما معاصينا تشكلت فكانت رد علينا حتى نفيق

ونذكر هنا قول الشاعر:

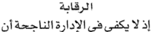
أنا لا ألومُ المُستبدّ إذا تجبر أو تَعدّى
فسبيلُهُ أن يستبد وشأنُنا أن نَستَعدَّ

فأين الاستعداد لوضع حد لهذه الهجمة الشرسة؟ نحن نلوم أنفسنا أولا.

وسائل عملية للتنمية البشرية

أشرنا في مقال سابق إلى بعض وسائل تنمية الموارد البشرية، كالإدارة والتخطيط والقيادة، ونكمل في هذ المقال بقية هذه الوسائل، فتنمية الموارد البشرية هي الأساسي لأي تنمية يراد تطبيقها في المجتمعات، انطلاقا من أن الإنسان هو المحرك الأساس لجميع برامج التنمية، سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية، ولذا فمن وسائل تنمية الموارد البشرية ما يلي:

د.سعيد عبدالله حارب



الرقابة

إذ لا يكفي في الإدارة الناجحة أن يكون التخطيط سليما والقيادة كفؤة، بل لا بد أن تتبع ذلك رقابة جيدة حتى تراجع سير العمل وتسعى لمعالجة أخطائه وتصويب مسيرته وقياس أدائه، فالرقابة هي «متابعة وملاحظة وتقييم التصرفات والأشياء بواسطة الفرد ذاته أو بواسطة الغير وذلك بهدف التأكد من أنها تتم وفق قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية وبيان الانحراف والأخطاء تمهيدا لعلاجها والقضاء عليها» (١). وبهذا التصور فإن الرقابة تعتبر جزءا أساسيا من الأداء، إذ من خلالها يمكن قياس أداء الأفراد في أعمالهم وتصحيح أخطائهم ومعاقبة من يخطئ أو يخل بمهام عمله.

وللرقابة مكان واضح في الإدارة الإسلامية، فقد جاءت الآيات التي تؤكد على الرقابة وأثرها الدنيوي والأخروي، فقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران:٥). وقال تعالى ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة :٢٨٤).

ووردت الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على أهمية الرقابة، فعن يزيد بن أبي سفيان قال: قال أبو بكر رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإن رسول الله ﷺ قال «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحداً حمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئاً بغير حقه فعليه لعنة الله، أو قال: تبرأت منه ذمة الله عز وجل» (مسند الإمام أحمد) .

وقد طبق النبي ﷺ هذه الرقابة في حياته ثم جاء صحابته من بعده فساروا على نهجه وقد تميز عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء خلافته بأسلوب الرقابة على أداء الأفراد فكان يبعث الولاة ويراقبهم ويستدعيهم متى قصروا أو أخطأوا في أداء أعمالهم، «إن الممارسة العلمية للرقابة الإدارية في عهد عمر بن الخطاب توضح المفهوم العام للرقابة، وكيفية تطبيقها بصوره تمثل قمة الإدراك الإداري السليم لمسؤولية الحاكم والإداري في الرقابة والمتابعة فقد اكتمل في فهمه أن الرقابة هي مرحلة مكملة لحسن الإدارة، وأن مسؤولية الحاكم لا تقتصر على حسن اختيار العاملين وتوجيههم وتدريبهم على العمل فحسب، وإنما تتعدى ذلك إلى المتابعة والرقابة الدقيقة، فقد كان يقول لأصحابه: أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت ما علي، قالوا: نعم، قال: لا، حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا» (٢) .

إن الرقابة على أعمال العاملين وسيلة لتصحيح مسارهم وتجاوز أخطائهم، وتتوزع الرقابة بين رقابة ذاتيه.. ترتبط بالخشية من الله سبحانه وتعالى ومراقبته في كل شأن من شؤون الإنسان، وهي رقابة لا تنفك عن الإنسان في كل شأن من شؤون حياته وهي الأساس لكل صور المراقبة الأخرى بالنسبة للمسلم، ورقابة الخير وفعل الحسن وترك السيئ وهي صفة تنشأ مع الإنسان بالتربية والتزكية وتعويد النفس على فعل الخيرات وترك المنكرات، والرقابة الإدارية وهي التي تتولاها جهات الاختصاص في العمل خلال ضوابط وتعليمات ومقاييس يتم تطبيقها على الأفراد لبيان أداء أعمالهم بطريقة صحيحة.

التدريب

يعتبر التدريب أحد الأساليب المهمة في تنمية الموارد البشرية إذ من خلاله يتم صقل هذه المواهب والمهارات وتطويرها أو تعليمها مهارات جديدة تحتاج إليها، خاصة في العصر الحديث حيث تطورت الوسائل ودخلت مستجدات جديدة تحتاج من الإنسان إلى أن يتابعها ويتعلمها ويستفيد منها، وقديماً كان التدريب مرادفاً للتعليم وصنوا له، لكنه في العقود الأخيرة أخذ منهجاً جديداً بحيث أصبح علما مستقلا بذاته، والتدريب «نشاط

إنساني هدفه العام يتركز حول التحسين أو التطوير ويمكن أن يمارس هذا النشاط بأسلوب فردي أو بأسلوب جماعي، وفي كلتا الحالتين قد يتم بصورة منظمة وقد يأتي عفوياً أو بصورة غير مخططة لا تتضمن وضع أهداف محددة» (٣).

وقد اهتم الإسلام بتدريب الأفراد وتهيئتهم للأدوار التي يكلفون بها، فقد أعد النبي ﷺ أصحابه من خلال تكليفهم بالواجبات والأعمال التي يستطيعون القيام بها حتى إذا اعتادوا على ذلك دفعهم للأعمال الكبيرة ولعل في اختياره لقواد الجيوش واستخلافه لبعض الصحابة في المدينة أثناء خروجه للغزوات خير دليل على ذلك، وكان توجيهه ﷺ بالتدريب والتعلم لما يستطيعون، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً» (رواه البخاري).

والتدريب في مجال الموارد البشرية يسعى لرفع كفاءة العاملين في مجال عملهم واختصاصهم وإدارة وظائفهم بصورة جيدة تحقق المستوى الأفضل، وتعليم الأفراد حل مشكلاتهم العملية التي تواجههم، وتطوير إنتاجيتهم، كما يعمل التدريب على إطلاع العاملين على المستجدات في حقول تخصصهم وتنمية مهاراتهم الشخصية وخاصة القيادية منها، وكذلك مهارات الاتصال مع الآخرين والعمل ضمن مجموعة مشتركة، ويرفع التدريب من حماس العاملين ويشعرهم بالرضا عما يقومون به من أعمال، كما يقلل من أخطائهم، ويفتح أمامهم أبواب التقدم والترقية ولا شك أن



مثل ذلك التدريب ينعكس على أعمالهم ومؤسساتهم التي يعملون بها من خلال معرفتهم الدقيقة بالواجبات الموكلة لهم وبأهداف المؤسسة التي يعملون لها، كما يزيد من إنتاجهم ويعمل على تطوير هذه المؤسسات.

ويهدف التدريب إلى تزويد الفرد بالمعلومات ذات العلاقة بوظيفته، وبالأساليب المتطورة لأداء واجبات ومسؤوليات وظيفته وتزويد الفرد بالمهارات اللازمة التي تمكنه من إنجاز وظيفته بأقل جهد ممكن، وأخيراً بناء وتنمية الفرد وتغيير اتجاهاته ومفاهيمه لكي يتمكن من أداء وظيفته بفاعلية.

تنمية المواهب والقدرات

يتفاوت الناس في قدراتهم ومواهبهم وإمكانياتهم، ولذلك تسعى تنمية الموارد البشرية إلى الاهتمام بمواهب الإنسان وقدراته وتنميتها ورعايتها وتطويرها، فليس كل واحد يقدر على تأدية كل الأدوار، ففي الحديث الذي يرويه البخاري، قال يزيد حدثني مطرف بن عبدالله عن عمران قال قلت: يا رسول الله فيم يعمل العاملون؟ قال ﷺ «كل ميسر لما خلق له» (صحيح البخاري).

كما أخبر بذلك النبي ﷺ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة» (صحيح البخاري).

وكذلك يتمايز الناس فيما بينهم في صفاتهم ومهاراتهم ومواهبهم، وذلك جزء من التكوين الإنساني الذي خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان عليه، فالمواهب هي إمكانات ذاتية يهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان، فيميزه ببعض الصفات التي تكون خِلقية أو خُلقية أو يميزه بمهارة في الصنعة أو الحرفة أو الإدارة أو القيادة، ولا يكاد يخلو إنسان من موهبة أو صفة من هذه الصفات التي تنمو وتزدهر بالعناية والتربية، أو تندثر بالإهمال والترك وهنا يأتي دور برامج تنمية الموارد البشرية التي تعمل على تطوير هذه المهارات والمواهب وإكسابها المعرفة والتطبيق.

وتنمية المواهب تتم من خلال الاهتمام بأصحاب المهارات والذكاء والفطنة، ولعل أولى الخطوات في ذلك اكتشاف هذه المواهب والقدرات منذ المراحل الأولى في حياة الإنسان، ويأتي دور التعليم في اكتشاف هذه المواهب من خلال معايير ومقاييس عالمية مجربة، ومعترف بها بين أهل الاختصاص، وإيجاد البرامج التدريبية اللازمة لذلك ومتابعة هذا الأمر في مراحل حياة الإنسان كافة.

ولهذا فإن أصحاب المواهب والقدرات يحتاجون إلى عناية خاصة لأنهم يستطيعون أن يتفوقوا على أقرانهم بل يسبقوهم بخطوات واسعة، والأمم التي تعتني بالموهوبين تجني تقدماً ورقياً على يد هؤلاء الموهوبين الذين يخرج العلماء والباحثون والمفكرون من بينهم، ومن هنا فلا بد من البحث عن هؤلاء المتميزين لأنهم أقل الناس حظا من العناية و الاهتمام.

إن من الحقائق الثابتة على امتداد التاريخ البشري أن الموهبة الإنسانية أعظم وأندر وأهم ثروة يستطيع أي مجتمع أن يمتلكها، فهناك العديد من المصادر سواء أكانت طبيعية أم من صنع الإنسان، والتي ساهمت ويمكن أن تساهم في تقدم المجتمعات وتطورها، والعالم الإسلامي في حاجة ماسة إلى الاهتمام بهؤلاء الموهوبين والمبدعين حتى يستطيع أن يحقق تقدمه العلمي ورقيه الحضاري.

الهوامش

١- الإدارة الإسلامية، حزام المطيري ١٩١.

٢- الإدارة في الإسلام، فوزي كمال أدهم، ص١١٣.

٣- تدريب الموظفين، حسن الحلبي ص ٣٢.

٤- أسس التدريب الإداري، يوسف القبلان ص٢.

٥- انظر تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٦ ص ٣٢٧، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

التنوع الثقافي في ظل العولمة


د. حسن عزوزي ●

مما لاشك فيه أن الثقافة تتخذ أشكالا متنوعة عبر الزمان والمكان، وهذا التنوع يتجلى في أصالة الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية، وكذا في تعددها وتفاعلها. ويتزايد تنوع هذه المجتمعات يوما بعد يوم، مما يستدعي التفاعل المنسجم والرغبة في العيش المشترك بين الافراد والمجموعات ذات الهويات الثقافية المتعددة والمتنوعة.
وبالرجوع الى اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي نجده يشير الى أن التعددية الثقافية هي الرد السياسي على واقع التنوع الثقافي، وحيث ان التعددية الثقافية لا يمكن فصلها عن وجود اطار ديموقراطي فانها تيسر المبادلات الثقافية وازدهار القدرات الابداعية التي تغذي الحياة العامة، واذا كانت الحقوق الثقافية جزءا لا يتجزأ من حقوق الانسان التي هي حقوق عالمية ومتكافلة فان من حق كل شخص ان يتمتع بالقدرة على التعبير عن نفسه والابداع في كل المجالات، كما ان له الحق في تعليم وتدريب جيدين يحترمان هويته الثقافية احتراما كاملا، فضلاً عن الحق في ممارسة تقاليده واعرافه الثقافية الخاصة المميزة.

إن إعلان اليونسكو عن التنوع الثقافي يكفل حرية التعبير وتعددية وسائل الاعلام والتعددية اللغوية والمساواة في فرص الوصول الى اشكال التعبير الفني والثقافي والحضور الكامل في وسائل التعبير والنشر وهي مفاهيم وقيم تعتبر في اطار القانون الدولي ضمانات للتنوع الثقافي.
ولذلك فان كل ابداع ينهل من منابع التقاليد الثقافية لا بد ان يزدهر بالاتصال مع الثقافات الأخرى، ويعتبر احياء تراث الشعوب بمختلف اشكاله ونقله الى الاجيال القادمة طريقا لتغذية الابداع الانساني بكل تنوعه، والتحفيز على تأسيس حوار حقيقي وفعال وهادف بين الثقافات يخدم الاهداف الانسانية ويساهم في اقرار ثقافة العدل والسلام والحوار بين الحضارات والأديان. إن المفهوم الدولي للتنوع الثقافي يؤكد على ان تهتم السياسات الثقافية لبلدان العالم بإتاحة الظروف المواتية لانتاج ونشر صناعات وخدمات ثقافية متنوعة تكون لها القدرة على اثبات الذات على الصعيدين المحلي والدولي، ولذلك يعهد الى كل دولة تحديد السياسة الثقافية التي ترجو من ورائها تنفيذ إسهامها الطبيعي في التنوع الثقافي.

مساهمة الحضارة الإسلامية في الحفاظ على التنوع الثقافي

يوجد في الحضارة الإسلامية ضرب من الأدب يعرف بأدب الاختلاف الذي هو خلق إسلامي ومظهر إيجابي من مظاهر الحضارة الإسلامية، إنه يؤكد على قيم الحوار وأدب الخلاف في الإسلام، لما في ذلك من انصاف للخصم واحترام للرأي الآخر وتفصيل لأسس التنوع الثقافي الذي حافظت الحضارة الاسلامية عليه عبر القرون، ولم يسبق ان حفظ حق التنوع الثقافي وكفلت حرية التدين كما حدث في ظل الحضارة الاسلامية، ومهما تم خرق هذا الحق في بعض الأحيان خلال عصور التراجع الحضاري فإن هذا الحق يعتبر من الثوابت التي لا تتغير.
وقد وردت في القرآن الكريم نصوص متعددة تؤكد التنوع وتدعو الى قيمه وتؤصلها، من ذلك قوله تعالى ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾(الروم: ٢٢)، وقوله عز وجل ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾(هود: ١١٨-١١٩)، وقوله تعالى ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(النحل:١٢٥)، إن الإسلام ينكر نزعة المركزية المغرضة التي تريد العالم نمطا واحدا والإنسانية قالبا واحدا منكرة على الآخرين حق التمايز والاختلاف ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾(المائدة: ٤٨)، فهو سبحانه قد خلق البشر للتنوع والاختلاف لكن لن يتحقق المراد من هذا التنوع الا اذا كان هنالك حوار يرسخ قيم التوافق والتعاون والتعايش بين أتباع الحضارات والثقافات المختلفة، وهذه القيم تنبني على ثلاث قواعد.
- قاعدة الاحترام المتبادل.
- قاعدة احترام الخصوصيات.
- قاعدة التسامح.
لقد تميزت الحضارة والثقافة الإسلاميتان بتركيزهما على اعتبار «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وأن «الحكمة ضالة المؤمن» مما أسهم في إغناء التراث الإنساني في حقول العلوم والفنون والآداب كافة، لقد حرصت الشعوب الإسلامية عبر التاريخ على إظهار رغبتها وتأكيد إرادتها في المشاركة في اغناء الرصيد الثقافي الانساني على اساس من احترام حقوق الانسان وصون المقومات المادية والمعنوية للكرامة الانسانية واعتبار التنوع الثقافي والحق في الاختلاف مقوما اساسيا من حقوق الإنسان

● أكاديمي في جامعة فاس

كما شرع لها الإسلام وحددتها القوانين الدولية.

مميزات التنوع الثقافي في سياق تكريس الحوار الحضاري

إنه لا يمكن تصور حوار حقيقي بين الثقافات والحضارات إذا لم يكن هناك اقرار بمبدأ التنوع الثقافي، ومهما كانت هناك بعض وقائع الصدام والصراع، فالأمر ليس قدرا محتوما، لأن العنف والجهل بالحقائق والخوف من الآخر ليست أمورا حتمية بل هي نتاج للتربية وللثقافة التي ينشأ عليها الفرد وتطبع سلوكه وردود أفعاله، ولذلك كان لا بد في اطار التفاعل الحضاري من التمسك بالهوية الحضارية وحماية الشخصية الثقافية، ولا شك ان في كفالة الحق في التنوع الثقافي تأكيدا على الخصوصية الثقافية لكل شعب من شعوب العالم وابرازا للهويات الوطنية ذات السمات الحضارية.

جاء في المادة الاولى من اعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي:

- لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما والحفاظ عليهما.
- من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته.
- تشكل جميع الثقافات بما فيها من تنوع خصب وبما بينها من تباين وتأثير متبادل جزءا من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعا.

من جهة أخرى تتأكد خصوصية كل ثقافة في اغناء التراث الانساني من خلال الاقتناع بعدم وجود ثقافة راقية واخرى منحطة، فلكل ثقافة غناها المتميز وثراؤها الخاص، وقد جاء ضمن مبادئ واهداف الاعلان الاسلامي للتنوع الثقافي:

«إن لكل ثقافة قيمتها ومكانتها وإسهامها في اغناء التراث الثقافي الانساني وانها معنية بالعمل على تجسير هوة عدم الفهم بين الحضارات وعدم اخلاء الساحة للتوجهات المعادية وللهجمات المغرضة لتستمر في تشويه صورة الإسلام والمسلمين والتجني على العقيدة السمحة.

- إنه لا وجود من حيث المبدأ لثقافة عدوة أو أمة عدوة، عكسا لما قد تفضي اليه الأحكام المسبقة ضد الثقافات والحضارات والصور النمطية للشعوب والأمم مع مواصلة الدعوة الى الافادة من مزايا العولمة وتلافي سلبياتها ومفاجآتها المحتملة.
- إن التنوع الثقافي ثروة ينبغي ألا تكون مصدرا للنزاع والتوتر ونبذ الآخر، بل سبيلا الى توسيع الارضية المشتركة ودعم فرص التوافق والتلاقي وتقليل الفوارق وحل النزاع بالطرق السلمية «وبالمنهج القائم على الحوار المؤدي الى زيادة الوعي بالقيم المشتركة بين الشعوب جميعا».



العولمة تمثل تحدياً حقيقياً للموروث الإنساني المشترك من فقدان الشعوب التحكم في مصيرها

التنوع الثقافي في ظل تحديات العولمة

لاشك ان العولمة تثير مخاوف عدة في جميع الأوساط، غير ان العولمة ليست معطى جديدا في تاريخ العلاقات بين الأمم، إذ ظهرت العولمة بشكل ما حين عزز العرب والمسلمون المبادلات التجارية والثقافية بين الشرق والغرب.

أما العولمة في صورتها الغربية الحديثة فبالرغم مما تنطوي عليه من بعض الايجابيات الا انها تمثل في واقع الأمر تحديا حقيقيا للموروث الانساني المشترك، حيث تجد الشعوب الاسلامية نفسها امام تحد يتمثل في فقدان التحكم في مصيرها نتيجة للتحديات التي تستهدف انماط العيش في المجتمعات الإسلامية بسبب تراجع الالتزام بالأخلاق والقيم الإسلامية تحت ضغط العولمة التي تسعى الى اضعاف الخصوصيات الثقافية والحضارية للشعوب ومظاهر الابداع لديها، فعندما تفقد الأمم والشعوب خصوصياتها الثقافية والاجتماعية نتيجة الاستلاب الثقافي الذي ينشأ عن عدم التكافؤ في العلاقات بين الدول فإنها تصير مجرد مستهلك للمنتجات التي تفرضها العولمة،

ولاشك ان مواجهة الآثار السلبية للعولمة في مجال التأثير على حق التنوع الثقافي لدى أمم وشعوب العالم انما تتحقق من خلال تعزيز مظاهر ومجالات التبادل المتكافئ والحوار الندي البناء ونشر ثقافة العدل والسلام لجعل العلاقات بين الشعوب والثقافات والديانات أكثر انسجاما.

وهكذا فإن التنوع الثقافي له قيمة ايجابية عالية لأنه يدل على غنى العطاء الفكري للعقول البشرية على اختلاف ظروفها وبيئاتها عكس العولمة التي تسعى الى فرض نموذج ثقافي واحد مهيمن يلغي النماذج الثقافية الأخرى المتنوعة ويهدد باندثار مقوماتها الحضارية.

إن مواجهة تحدي العولمة في سياق الحديث عن حق التنوع الثقافي تفرض حشد جميع الجهود لترسيخ الثوابت والمسلمات التي يؤمن بها المسلمون والإسهام في تعزيز قيم التعدد والحوار والتعارف الحضاري الذي دعا اليه القرآن الكريم من خلال الآية القرآنية ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: ١٣)، وهو مبدأ إنساني حضاري هام له أكبر الدور في ردع النزاعات والصراعات من جهة وتقريب الأفكار والمسافات ونسج أواصر التعارف والتفاهم بين الأمم والشعوب من جهة أخرى، إنه بالتعارف والتواصل والاعتراف المتبادل يمكن تقريب الشقة بين مختلف الثقافات والحضارات وجعلها ينفتح بعضها على بعض في سعي حثيث نحو تلاقح متميز وتفاهم مفيد يسمح بالإقرار بالتعددية والتنوع الثقافي والاعتراف بما لدى الآخر من مقومات الإنتاج الثقافي والإبداع الحضاري.

تفجيرات مومباي ومستقبل الصراع الهندي الباكستاني

جاءت تفجيرات مومباي في السادس والعشرين من نوفمبر 2008 لتدفع بالصراع التقليدي بين الهند وباكستان إلى واجهة الأحداث، بل وتنذر بتحول الصراع إلى حرب شاملة كما حدث عامي 1965 و1971 أو تستمر الحرب الباردة بينهما، والأخطر أنها وضعت العالم على شفا حرب نووية لا تبقي ولا تذر.


د.عمرو عبدالكريم

ربما كان الصراع هو السمة الغالبة على تاريخ البلدين منذ الاستقلال، حيث خاضت الدولتان ثلاث حروب شاملة، انتهت الأولى بتقسيم كشمير عام ١٩٤٩، ولم تفلح الثانية عام ١٩٦٥ في تغيير الوضع، في حين أسفرت الثالثة عام ١٩٧١ عن تقسيم باكستان نفسها إلى دولتين، وغدا تاريخ الجوار بينهما خطوطا متعرجة من الهدنة على حَذر أو حرب مشتعلة على خط الحدود الفاصل بينهما، أو اتهامات متبادلة بإثارة القلاقل والنزاعات العرقية والدينية داخل كل دولة.

وفي كل مرة تضرب إحدى الدولتين حوادث عنف تشير أصابع الاتهام مباشرة إلى الطرف الثاني، ففي تفجيرات مومباي الأولى ١٩٩٣ ورغم اعتقاد ساد أنه ربما يكون الفاعل جماعات الجريمة المنظمة أو جماعات هندوسية فإن الهند ركزت اتهامها في باكستان، وفي نهاية ٢٠٠١ كادت الدولتان أن تصلا إلى حافة الحرب حينما اتهمت نيودلهي إسلام أباد بالضلوع في الهجوم على مبنى برلمانها.

ثم كانت تفجيرات مومباي الثانية ٢٠٠٨ والتي وضعت الدولتين مجدداً على حافة حرب نووية علقت الهند على إثرها عملية السلام المعروفة باسم "الحوار الشامل" التي كانت قد بدأت في ٢٠٠٤، كما أجلت المباحثات الثنائية التي كان من المقرر عقدها في ديسمبر ٢٠٠٨ في باكستان، بل صرح مسؤولون هنود أن كل الخيارات مطروحة أمامهم في إشارة إلى الخيار العسكري.

ورغم محاولات تحسين العلاقات سواء عقب زيارة فاجباي لباكستان فبراير ١٩٩٩ أو بداية عملية السلام ٢٠٠٤ فإن هذه المحاولات دائما ما كان يقطع خطها حوادث العنف في أي من البلدين، إلا أن امتلاك الدولتين للقدرات النووية ١٩٩٨ جعل الصراع بينهما يدخل في إطار «المعادلات الصفرية» التي يخسر جميع أطرافها.

مَن الفاعل ومَن المستفيد؟

بالرغم من أن البحث في هوية المنفذين ربما يتجاوز طاقة هذا المقال فإنه يمكننا التأكيد على عدة نقاط:

أولا: أن معرفة هوية الفاعلين لن تتكشف تماماً إلا بعد أن تنتهي التحقيقات، ثانيا: أن المستوى العالي في التخطيط والتنفيذ الذي تمت به العملية يرجح أن يكون الفاعل تنظيما كبيرا وراءه دعم لوجستي ضخم وربما دولة. ثالثا: أن تأثير هذه العمليات سيتجاوز مساحته الداخلية، خاصة أن المنطقة برمتها تشهد صراعا دموياً ليس في وسع أي من المحللين التنبؤ بنهايته.

رابعاً: يمكننا رصد عدة فاعلين محتملين وهو يمثل أغلب المستفيدين من التفجيرات.

١- إن تنظيم القاعدة بالتعاون مع تنظيمات جهادية هندية هو المخطط والمنفذ، وفي هذا السياق نرى أن هناك علاقة وثيقة بين الحرب الدائرة في وزيرستان، وبين تفجيرات مومباي.

٢- جماعة عسكر طيبة التي تستهدف تحرير كشمير، ورغم نفي الجماعة مسؤوليتها عن الأحداث فإن الهند تصر على تحميلها المسؤولية.

٣- هناك احتمال أن يكون الفاعل منظمات هندوسية متطرفة عمدت إلى إطلاق اسم إسلامي وهمي «مجاهدي ديكان» واستهداف أميركيين وبريطانيين للإيحاء أنهم من تنظيم القاعدة.

٤- تشير بعض الاحتمالات إلى قيادات الاستخبارات العسكرية الباكستانية ولو بشكل فردي- والتي ترى أنه ليس من مصلحتها تقارب بلادهم مع الهند، وهم يعتبرون أن إضعاف الهند ودعم حركة طالبان يخدم الدور الإقليمي الباكستاني، ويساعد في المساومة بشأن قضية كشمير، أي هي محاولة لاستخدام «الورقة الدينية» في إدارة الشأن العام الداخلي وعلاقات باكستان الإقليمية، وخاصة مع الهند وأفغانستان.

٥- لا تستبعد بعض التكهنات رجال المافيا الهنود.

كشمير أهم محاور الصراع

ثمة اعتقاد سائد لدى العديد من المحللين الاستراتيجيين بأن كشمير هي مشكلة العلاقات الهندية الباكستانية حيث تحتل موقعاً إستراتيجياً بين وسط وجنوب آسيا لاشتراكها في الحدود مع أربع دول هي الهند وباكستان وأفغانستان والصين، ولما تمثله من أهمية إستراتيجية لدى الدولتين، فهي تشكل للهند عمقا أمنياً إستراتيجياً أمام الصين وباكستان، كما أنها امتداد جغرافي أمام فلسفة النظام الباكستاني القائمة على أسس دينية مما يهدد الأوضاع الداخلية في الهند ذات الأقلية المسلمة الكبيرة.

ولعل إدراك هذه الأهمية الإستراتيجية واضح لدى النخبة الهندية من أيام نهرو الذي أرسل إلى رئيس وزراء بريطانيا في ١٩٤٧: إن كشمير ترتبط من الناحية الشمالية بحدود مشتركة مع ثلاث دول هي أفغانستان والاتحاد السوفييتي والصين، وهو ما يجعلها أمرًا حيويًا لأمن الهند».

أما بالنسبة لباكستان فكشمير منطقة حيوية لأمنها القومي، نظرًا لأن الطريقين

الرئيسين وشبكة السكة الحديد تجري محاذية لكشمير، ومن ثم فالاحتلال الهندي لكشمير يمثل تهديدًا مباشرًا لأمن باكستان، كما أن الأنهار الثلاثة الرئيسية المغذية للنظام الزراعي في باكستان تنبع من كشمير، وهو الأمر الذي يجعلها بالنسبة لباكستان خطاً أحمر لا يمكن تجاوزه.

وبصرف النظر عن الأهمية الإستراتيجية للإقليم لدى الدولتين، فإن النظام الذي أقر استقلال الدولتين عام ١٩٤٧ قضى بأن تنضم الأقاليم ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان. ولكن الهند استولت على الإقليم بالقوة وعندما أقرت الأمم المتحدة بحق الإقليم في إجراء استفتاء يحدد مصيره اعترضت الهند ورفضت تنفيذ القرار.

لقد كانت كشمير سبباً في حربين من ثلاثة حروب بين الدولتين، وسباق تسلح انتهى بدخول الدولتين النادي النووي. وهذا الصراع يلقي بظلاله على الاستقرار الإقليمي في شبه القارة الهندية، وتتأثر به المنطقة العربية إجمالا، ليس فقط بسبب سياسات الاستقطاب الحاد، وإنما بسبب التداخل بين الدوائر الإقليمية.

ومنذ أحداث ١١ سبتمبر والولايات المتحدة تعمل على إعادة رسم الخرائط الإقليمية بما يتوافق مع مصالحها الإستراتيجية ولعل هذا مبعث اهتمامهما بقضية كشمير والصراع الهندي الباكستاني، ليس من أجل إيجاد حل عادل للقضية وإنما من أجل وضع حد للأزمة بين الدولتين، كما تخشى واشنطن أن تتحول كشمير إلى أفغانستان أخرى فتكون نقطة ارتكاز في الحرب على الولايات المتحدة.

الحرب النووية.. بين الممكن والمستحيل

منذ أن أدى سباق التسلح بين الدولتين إلى قيامهما بالتفجيرات النووية في مايو ١٩٩٨ أصبح كل نزاع بينهما مُهَدداً بحرب لا تبقي ولا تذر، حدث هذا في أواخر ٢٠٠١ وتكرر في تفجيرات مومباي الثانية نوفمبر ٢٠٠٨ التي وضعت الدولتين على حافة صراع غير تقليدي، فما إن حدثت التفجيرات حتى قال وزير الخارجية الهندي إن بلاده لديها عدة خيارات إن لم تتجاوب باكستان مع مطالبها، ورغم استبعاده شن هجوم عسكري على باكستان، فإن رئيس الوزراء عقد اجتماعاً بقادة الأركان، وقادة الجيوش البرية والجوية والبحرية الذين عرضوا عليه سيناريوهات التهديدات العسكرية التقليدية وزيادة التدابير الأمنية «لمستوى الحرب»، وأوصت الهند رعاياها بعدم السفر إلى باكستان.

ورَدّت باكستان على لسان وزير خارجيتها: إن دولته تملك خيار الدفاع عن سلامتها وان جيشها متأهب لردع أي عدوان، وقال رئيس الأركان إن الجيش سوف يرد خلال دقائق على الهجمات الهندية، وألغيت إجازات الجنود وأعيد نشر القوات على الحدود مع الهند.

لكني أحسب أن حرباً نووية - أو حتى شاملة- بين الدولتين هي أمر مستبعد لعدة اعتبارات:

١- إن هناك تكافؤا وردعاً نووياً بين الدولتين، ولعل هذا ما جعل الهند تعلن أنها لن تكون البادئة باستخدام السلاح النووي، كما أكدت باكستان أنها لن تلجأ إلى الخيار النووي إلا كخيار أخير.

٢- هناك قوات أميركية في باكستان، لذا حذّرت أميركا الهند من اللجوء إلى الخيار



الخطاب السياسي للدولتين يتجه إلى المرونة لاستيعاب المتغيرات التي طرأت على هيكل النظام العالمي

النووي، بل حذرتها من شن حرب تقليدية واسعة النطاق، فالتوتر بين البلدين يقوض جدول أعمالها في السيطرة على المنطقة.

٣- ومن ثم فلن تترك واشنطن باكستان تولي وجهها شطر الهند وتتركها وحدها في مواجهة طالبان الأفغانية والباكستانية، وذلك هو ما هدّدت به باكستان من أن الصراع إذا نشب فستحول مجهودها الحربي إلى حدودها مع الهند بدلاً من التصدي للجماعات المسلحة التي تنشط داخل باكستان.

٤- تدرك باكستان أن استخدام السلاح النووي قد يؤدي إلى تعقيدات دولية حادة تؤثر على المستقبل السياسي للنظام الحاكم في باكستان، كما قد يتيح لإسرائيل الفرصة للاشتراك مع الهند في ضرب المفاعلات النووية الباكستانية.

٦- كثير من المحللين يرون أنه لا يمكن لأي من البلدين تحمل كلفة مواجهة شاملة وأن لغة التصعيد كانت لأسباب تتعلق بالسياسة الداخلية، ومن ثم فإن خيار الحرب مستبعد لأن النخبة الحاكمة في الدولتين لا تريد أن تخوض غمار حرب، فالهند على أعتاب انتخابات تشريعية وسباق بين الحمائم والصقور مازال مستمراً، كما أن باكستان خارجة تواً من تغيير في رأس السلطة الحاكمة وما زالت أزمتها السياسية مستمرة.

ولعل تلك الاعتبارات هي ما تفسر اتجاه الخطاب السياسي في الدولتين إلى شيء من المرونة والذي بدوره يشير إلى استيعاب الطرفين للمتغيرات التي طرأت على هيكل النظام الدولي والتي تؤثر بالتبعية في إدارة القضايا الخلافية بين القطبين النوويين، لذلك فإن المتوقع هو هدوء العاصفة وتعاون البلدين في إنهاء الأزمة.

وإذا كان ما سبق هو حكم موازين القوى على الأرض فأنه ينبغي التأكيد أن الحرب إذا نشبت فلن تكون مجرد معركة تستغرق عدة ساعات أو بضعة أيام، إنما ستستمر بقوة دفع ثلاثية لدى كل طرف من: قوة العقيدة القتالية وكثافة البشر وتقدم السلاح.

دورنا الدعوي في الأزمة الاقتصادية

الداعية إلى الله - عز وجل - يشارك في أدوار مختلفة في الحياة، فهو الأب والمربي الحكيم لأهله وأبنائه، وهو الابن البار لوالديه، وهوالأخ الصادق الوفي لإخوانه واخواته، وهو الداعية المتفائل المستبشر برحمة الله في حالات اليأس والاحباط التي تصيب الناس، وهو كذلك الداعية الواعي لما يحدث في المجتمع من تداعيات في جميع مجالات الحياة، فهو دائماً يتأمل ويفكر في كيفية الاستفادة من تلك الأحداث في تقريب الناس إلى الله ونشر أخلاق الإسلام بمفهومه الشمولي، وبما انني قريب من القطاع الخاص ومجال شركات الاستثمار والأحداث الساخنة حول الأزمة الاقتصادية وتداعياتها وأثرها الاقتصادي والاجتماعي على أفراد المجتمع، أجد أن العلماء والدعاة الى الله والمؤسسات الدعوية والعلمية وأصحاب التوجه الإسلامي في البرلمان وغيرهم ممن يستطيع أن يكون له أثر ايجابي في حل الأزمة وتفريج كربات الأمة الإسلامية مطلوب منهم المساهمة بشكل رئيس في حل مثل تلك الأزمات وآثارها على مستوى مجالات عدة منها:



عمر المطوع

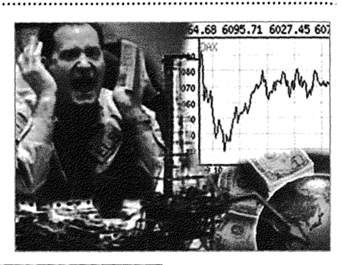
الاجتماعي

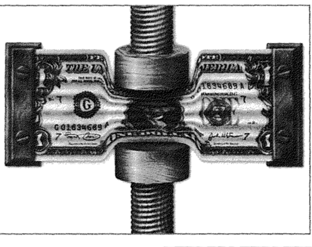
يجب على الداعية أن يسعى في قضاء حوائج الناس وتفديج كرباتهم والوقوف معهم وتذكيرهم بالله عز وجل، وتذكيرهم بمعاني الصبر والتوكل والرضا والثبات، فقد رأينا الكثير من الناس البسطاء متضررين من الأزمة الاقتصادية وانهيار أسواق المال، فمنهم من خسر كل ما يملك والثاني عليه دين لو أنفق عمره كله لم يستطع سداده، والثالث أعفي من وظيفته بسبب تقليص المصاريف، وهكذا سوف تجد الكثيرين ممن تضرر بهذه الأزمة الاقتصادية، فلنكن قريبين من واقع الناس، نشد أزرهم ونواسي آلامهم ونشير عليهم بالرأي السديد في حال طلبهم النصح والمشورة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (رواه مسلم)، وما أعظم أن تقوم المؤسسات الدعوية بعمل دروس عامة تركز فيها على الجوانب الإيمانية وربطها بالواقع الذي يعيشه الناس في الأزمة المالية، فلتلك المواعظ والدروس اثر كبير في ثبات الناس على الحق والرجوع الى الله، يقول سفيان الثوري رحمه الله «ليس للشيطان سلاح للإنسان مثل خوف الفقر، فإذا وقع في قلب الإنسان منع الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء».

العلمي والشرعي

لا بد ان ينبري اخواننا الدعاة المهنيون في عالم المال والاستثمار ليكونوا صفاً واحدا مع العلماء والمراقبين الشرعيين المختصين بالمعاملات المالية، للقيام بتحضير بحوث عدة وتقارير متخصصة في تداعيات الأزمة المالية ووسائل علاجها، فيقومون بعقد الملتقيات والندوات التي تناقش الموضوع بنظرة واقعية وموضوعية بعيدا عن النظرة البسيطة التي يتم التركيز فيها فقط على الربا، فآثار الربا مدمرة سواء في حال الأزمة الاقتصادية أو النهضة الاقتصادية، وهذا ما نؤمن به وندعو اليه، وسوف يجد اخواننا الدعاة الكثير من المؤسسات المالية التي ترحب برعاية مثل هذه الملتقيات، وهناك الكثير من المختصين أصحاب التوجه الإسلامي قد كتبوا في ذلك، فياحبذا لو تجمع الجهود حتى يعم نفعها، فاصدار مثل تلك التقارير وعقد مثل تلك الملتقيات التخصصية سيؤدي







إلى وجود دور واضح وجلي ذي طبيعة تتوافق مع احكام الدين الإسلامي في محتوى القرارات التي سيتم تطبيقها من قبل الجهات التنفيذية في الدولة.

الشركات الإسلامية

من باب النصح الذي امرنا به شرعاً أن نذكر إخواننا أصحاب القرار في الشركات التي تعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية بأن المسؤولية العظيمة في إظهار الصورة المشرقة للاقتصاد الاسلامي لانتشال الناس من الآثار المدمرة للربا، فعليهم أن يتوقفوا ويدققوا التأمل في حصيلة التجربة المالية الإسلامية ومدى تأثيرها في الأزمة الحالية، وهل مؤسساتنا المالية تستطيع أن تساهم في ايجاد مجتمع ذي طبيعة انتاجية يساهم في بناء الاقتصاد؟ أم أنها تشجع النمط الاستهلاكي لافراد المجتمع؟، وهل الأدوات المالية التي يتم استخدامها تساهم في بناء اقتصاد متكامل يساعد في تنمية البلاد في شتى قطاعات الحياة؟ وماذا عن بعض الأدوات التي تشوبها شبهة الربا مثل «التورق» الذي أصبح منظما بشكل مخيف وكذلك «التكييش».

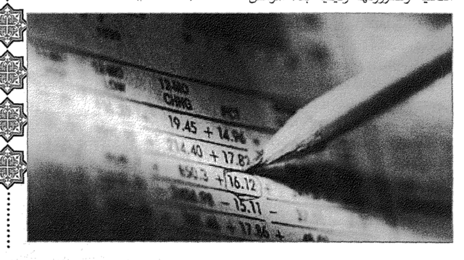
إن علينا أن نراجع انفسنا وألا نتوسع بما لا تتحمله قدراتنا وامكاناتنا، فنؤسس في كل مجال شركة بهدف تحصيل رسوم الاكتتاب حتى يظهر الربح في ميزانية الشركة الأم، أو نقيّم الأصول بأكبر من أسعارها ونسجل أرباحا غير محققة بهدف تجميل الميزانيات وقبض المكافآت، إن علينا ان نتوقف ونقيّم تعاملنا مع الآخرين، علينا أن نقف، نراجع، نقيّم، نصحح، ثم ننطلق من جديد، فكما تقول الحكمة «ليس من العيب أن تخطئ .. ولكن كل العيب ان تتمادى في الخطأ».

السياسي والنقابي

لابد من المسارعة في تشريع قوانين تحافظ على استقرار الاقتصاد ولا تكافئ أصحاب الادارات السيئة للقطاع الخاص والمتنفعين، وأن نفكر في مشاريع البنية التحتية وضرورتها وكيفية بناء المواطن المنتج، علينا ان نشرع قوانين تضمن جودة الادارات التنفيذية للشركات، فلقد جمعت أموال المساهمين من قبل بعض الادارات السيئة واستثمرت في نشاطات ذات مخاطر عالية، فلنفكر في المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة، ولنشجع كل مشروع مدروس وحكيم يساهم في حل الأزمة الاقتصادية ولو كان من غير توجهاتنا.

الأزمة الحقيقية أن يسلب الدين والإيمان بعرض من أعراض الدنيا

أخيراً فإن الأزمة الحقيقية والهلاك المروع هو أن يسلب منك الدين والإيمان بعرض من أعراض الدنيا، فقد قال النبي ﷺ «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» (رواه مسلم).



التاريخ الإسلامي .. عجائبه ونجائبه

حين نتحدث عن التاريخ الإسلامي وبطولاته وتضحياته لا نعني ولا نحدد ذلك بنسب أو جنس أو بيئة أو أي عامل طرأ عليه، إنما فقط نعني ما صنعه هذا الدين الذي أنزله الله تعالى، منة منه ونعمة، كما لا نعني أفراداً قاموا بذلك فعلوه بأشخاصهم، وإنما كان ذلك بالإسلام وحده، أقبلوا عليه وأخلصوا له وضحوا لأجله، ولولاه لم يكونوا شيئاً ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ (الأنبياء- 10) (1)، به تميزوا وتحضروا وسادوا وقادوا، وإلا فما الذي كان لديهم يعطونه ويقدمونه للآخرين، وهو ما عبر عنه ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس في القادسية، وقارن بين حالهم قبل الإسلام وبعده وفي كل الميادين الإنسانية والحضارية والاجتماعية، فتغير المجتمع كله وارتقى وأقام الحياة الكريمة الفاضلة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (آل عمران- 103) (2).



د.عبدالرحمن الحجي

ويحدثنا التاريخ عن ذلك المجتمع الذي تحرر من أثقاله وأدرانه وقام بانياً فارعاً، ارتقى قمم الحياة الإنسانية الفاضلة التي ما كانت تخطر على بال أو تَمُرُّ على ذاكرة، لكنها كانت بالإسلام واقعاً متحركاً مأموناً على الدوام، وقامت في مجتمعه المعاني الإنسانية الغائبة وعاشت تموج بها الحياة في نوع من البشر جديد، إنسانيةً واستقامة وأمانة، كما هي علماً وإنتاجاً وشجاعة، عَرفت بهم الحياةُ لأول مرة الإنسانيةَ والعدالة الحقة والمحبة، وتغير بذلك الإنسان والحياة وفرحت بهم وانتشت البيئة والمكان، بل والحيوان، ورأت من ورائهم الحياة الإنسانية الفاضلة والحضارة الكريمة والفروسية الخَلوق، ولادتها الجديدة السليمة السالمة الأبية الطهور، فأحدثت في الحياة عجباً لا يُصَدَّق لولا أنها مرئية متكررة متوهجة، فغدت الأرض غير الأرض عندما أشرقت بنورها وازَّينت وأنبتت من كل زوج بهيج، فاستدار الزمان وعاد كما أراده الله يوم خلق السموات والأرض.

والحديث عن رقي المجتمع المسلم يتجاوز المباني العمرانية والإنجازات المادية، بل حتى أحياناً النَّتاجات العلمية إلى رقي ذلك المجتمع في نوعيته وسلوكه وأخلاقياته، فما كان يمكن أن تُبنى تلك الصروح العالية والعجائب لولاه، وتأتي معانيه واضحة في سلوكه، فليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، وبذلك ارتقوا من السفوح الهابطة إلى القمم السامقة، فكانوا مثالاً فريداً، تشهد ذلك من خلال سلوكه وفعاله وتعاملاته.

هل يمكن أن نجد في التاريخ أمةً، أطفالها ونساؤها وشيوخها فضلاً عن رجالها، يهرعون باحثين عن طرق- مهما كانت شاقة- يخدمون بها هذا الدين تقرباً إلى الله تعالى وعلى منهجه، حتى لو كان في ذلك تقديم نفوسهم رخيصة له.

والكلام عن المجتمع المسلم الذي رباه الإسلام باعتباره هو الذي يسوس أمورهم ويوجه حياتهم ويأخذ المسلم نفسه بمنهجه إيماناً واحتساباً، يفعله مقبلاً غير مدبر، مهما كانت التضحيات إلى مستوى اعتبر من العجائب الفريدة، وقدم نجائب الأحداث وعجائبها وكرائمها وبشائرها الندية التي أضاءت الحياة وارتقت بها إلى الفضائل.

والتاريخ الإسلامي مليء بهذه الصور التي زينته، تجدها مطمورة تحت أنقاض الشبهات والزيوف والتحريف، التي لم تدع جانباً منه إلا هوت بفضائله وأضاعت مذاقه وأذابت قوة بيانه ومدلولاته وجمالاته، فكم من صورة باهرة- عُرضت بشكل باهت أو جائر حائر- جعلته مثيراً للرثاء، إن لم يكن للازدراء، وهو في حقيقته يحمل الضياء الذي لو عرفه أهله بل حتى غير أهله، لأعجبوا به وانجذبوا إليه، وهذا الغبش والعبث قد أحاط بالتاريخ الإسلامي في عمومه أفراداً وجماعات ومجتمعاً، وهم الذين قدموا غالي التضحيات لبناء ذلك المجتمع الكريم، نساءً ورجالاً، شباباً وأطفالاً. فهذه عفراء وموقفها- مع أولادها الثلاثة- في غزوة بدر (٣) (١٧ رمضان، ٢هـ).

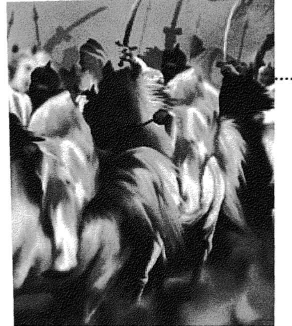
وهذه أم سعد بن معاذ سيد الأوس حين تأخر ابنها قليلا عن الالتحاق بغزوة الخندق خرجت تحثه قائلةً له: لقد تأخرت يا سعد. ولما انتهى من استعداده خرج يهرول وهو يرتجز (٤):

لَبِّثْ قليلاً يَشْهَد الهيجا حَمَلْ

لا بأس بالموت إذا حان الأجلْ

وانظر إلى سَواد بن غَزِيَّة وما فعله في بدر

● أستاذ التاريخ الأندلسي



الإسلام يصنع الحياة الفاضلة بتربية أهله على العظائم الخيرة والكرائم النيرة والمحامد الفاضلة

وهو متقدم في الصف فأشار إليه رسول الله ﷺ «استو يا سواد» فقال «يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني»، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه الشريفة وقال استَقِدْ، فما كان من سَواد إلا أن اعتنقه فقبل بطنه فقال «ما حملك على هذا يا سواد» قال» يا رسول الله حضر ما ترى فأردتُ أن يكون آخر العهد أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير (٥).

ومن الأسف أن هذه الصيغ الفريدة تم تجاوزها من قبل الأعداء وإهمالها، بل جرحوها وفتكوا بها وقلبوا صورتها، وكلما كانت صفحاتها أكثر بياضاً زادت عليها السهام وكثرت جروحها واتسعت الهوة بينها وبين حقيقتها الرائعة، من أمثال يوم السقيفة وحروب الردة والفتوحات، ويقدم التاريخ الإسلامي بغير حقائقه مما يجعله مبتورا عن طبيعته بعيدا عن أصالته غريباً عن منبته.

أما عجائب هذا التاريخ في صناعة الحياة الإنسانية فهي بعيدة عن التناول في أغلب الأوقات، وهو في حقيقته مليء بالعجائب والنجائب حين يُعرض محققاً مدققاً متحرياً، فالإسلام الذي ربى أتباعه على معانيه ومنهجه الرباني أنتج مجتمعاً- أفراداً وجماعات نساءً ورجالاً وأطفالاً- ملأ الحياة الإنسانية في ذاته وفيما حوله، صيغاً نشرت شذاها في الآفاق وتمنى العيش فيها حتى غير المسلمين، بل إن ذلك كان المفتاح لقلوبهم كي يُقبلوا على هذا الدين فدخلوه أفواجا.

كيف لإنسان مثخن بالجراح يبقى مستمرا في القتال كأنه لا يحس بالألم، فهذا أنس بن النضر يطلب الموت في سبيل الله (وهو عم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ وبه سُمِّي)، قاتل حتى قُتل فوجدوا به فوق ٧٠ ضربة، فيقول أنس ابن أخيه عنه «لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ في معركة أحد فوق ٧٠ ضربة فما عَرَفَتْه إلا أختُه من بَنانه» (٦).

وهذه من العجائب والنجائب وقصص الكرائم وأحاديث المحامد التي صنعها المسلمون بهذا الدين وحده، وهكذا كان المسلمون جميعاً، فلو قرأت عن أي من الصحابة الكرام والتابعين ومن بعدهم أمثالهم من تلك الأجيال ممن أقبلوا على دين الله بحب عميق وتوجهوا بإخلاص عديم النظير في القيام بواجبهم لرأيت العجب، وحين تنظر في حياة أحدهم ترى هذه النوادر مسطورة مشعة تنير الحياة وتعطرها بعبق الحضارة الإنسانية ونضارتها البارة، فاستحقوا بذلك كل وصف فاضل كريم (٧).

بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شم الأنوف من الطراز الأولا

وكذلك ما كان من آخرين مثل سعد بن الربيع في معركة أحد وغيرهم كثير وكثير، انطلاقاً من النبع ذاته والقيام بتلك المعاني التي قدمت تلك الصيغ بمنهج الله تعالى، إيمانا واحتساباً، وهذه الصيغ وأمثالها مليئة بها صفحات التاريخ الإسلامي في كل العصور، كلما كان الالتزام بهذا الدين. وكان العلماء في ذلك قدوة.

وبالإسلام وحدَه يمكن صناعة الحياة الفاضلة، ترى ذلك من خلال صفحات تاريخه المدون الموثق، في صور تربيته لأهله على العظائم الخيِّرة والكرائم النيِّرة والمحامد الفاضلة، فيه وحده يصنع الإنسان ما لا يمكن صناعته من قِبَل أي أحد أو يبلغه أو يرتقيه مهما حاول أو أراد وهو لا يعرفه إلا بهذا الدين الذي يأتي بالعجائب والنجائب في كل اتجاه وفي كل ميدان وفي أي أثر.

وفي الختام نتعرف على قصة عُمَيْر بن الحمام الأنصاري شهيد معركة بدر، وكان يستعد للمعركة وبيده تمرات يأكلها مستعيناً بها يتقوى على القتال، فما إن سمع رسول الله ﷺ يقول: "والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة" فرمى بقية تمراته وهو يقول: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فأخذ سيفه فقاتل حتى قُتل، فكان أول شهيد أو من أوائلهم، وكان ينشد (٨):

ركضاً إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعادِ
والصبر في الله على الجهاد
وكل زادٍ عرضة النفادِ
غير التقى والبر والرشادِ

الهوامش

١ - انظر تفسيرها: في ظلال القرآن، ٤/٢٣٦٩.
٢ - انظر تفسيرها: في ظلال القرآن، ١/٤٤٣.
٣ - سيرة ابن هشام، ١/٧٠٢. واستشهد منهم اثنان (عوف و مُعَوِّذ)، سيرة ابن هشام، ١/٧٠٨. (والعفراء: الأرض البيضاء لم توطأ. وكذلك: اليلة الثالثة عشرة من كل شهر). ونسبها في سيرة ابن هشام، ١/٤٢٩، ٧٠٢، ٧٠٨.
٤ - انظر السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، ٢٢١.
٥- سيرة ابن هشام ١/٦٢٦.
٦ - سيرة ابن هشام ٢/٨٣، ١٢٤، ١٢٥.
٧ - من قصيدة لحسان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ.
٨ - نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، وبعدها.



التغيير

التغيير كلمة لها مدلول كبير، طالب بـه الجميـع، ولـم يمارسـه بـذكـاء إلا نفر قليل، إنها كلمة مدوية، عشقها العلماء، وهام بها الجهابذة العظماء، ولم يفر منها إلا الحمقى والجهلاء، الذين رضوا بـالدون، واستمرأوا الذل والهوان، وقبلوا أن يسطروا على هامش التأثير وفي ذيل القافلة.

لقد أثبت التاريخ أن الإنسان لا يمكن له أن يقيم حضارة أو يصنع مستقبلاً ما لم يغير من نفسه ابتداء، ثم يسير جاداً في طريق التغيير حتى يغير مَنْ وما حوله، وعندها سيجني الشهد، وإن لم يفعل ذلك فما له غير العلقم والحنظل.

يقول الله تعالى ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ (الأنفال: ٥٣).

إن عمر بن عبدالعزيز غيّر فأحسن التغيير، إذ بنى دولة إسلامية لم يشهد التاريخ من بعدها لها مثيلاً، فأمن الناس على أنفسهم وأهليهم وأعراضهم وأموالهم، وعزوا فلم يجرؤ أحد على إذلالهم، وفاض المال حتى لم يجدوا من يأخذه، وكل ذلك في سنتين لا غير!

وقد فر عبدالرحمن الداخل من الشام بعد سقوط الدولة الأموية على أيدي العباسيين، فلم يرضه ما آل إليه أمره، فأبى إلا التغيير، فكانت العاقبة أن شيد له ملكاً في قعر بلاد النصارى، وأقام حضارة إسلامية دامت قروناً طويلة، أخرج الله بها الغرب من ظلمات جهلهم إلى علم سادوا اليوم به الدنيا.

وهـرب الطفل الرضيع، صلاح الدين الأيوبي، مع أبيه وعمه وجميع أهله فاراً من القتل المحتم، وكاد والده أن يفتك به لما جاع فصاح وأوشك أن يكشف أمرهم في جنح الليل، لولا قدر الله عز وجل الذي حماه بيد عمه الذي أدخله صندوقاً فأسكته، ثم تمر سنوات ليست طويلة في عمر الأمم، وإذ بهذا الطفل الطريد يدخل بيت المقدس، فيكسر الصليب، ويرفع راية التوحيد، ويحدث تغييراً عجز أكثر من ألف مليون مسلم أن يحدثوه اليوم!

وفي عالم الإدارة والسياسة والمال حوادث كثيرة، ونجاحات عديدة، لم تكن لتكون لولا أن أصحابها برموا من واقعهم وصمموا على التغيير.

فالرئيس الفرنسي جاك شيراك لما انتخب رئيساً لفرنسا وزار الولايات المتحدة الأميركية تحدث في مؤتمره الصحافي عن الفترة التي أمضاها في شبابه في الولايات المتحدة الأميركية فقال: منذ أربعين سنة كنت أعمل في مطعم هوارد جونسون، ولم أتخيل أبداً أنني في يوم من الأيام سأقف في البيت الأبيض إلى جانب رئيس الولايات المتحدة في مؤتمر صحافي.

وهذا مانديلا عاش ثمانية وعشرين عاماً في سجن جنوب إفريقيا، وكان يقود التغيير ويؤججه وهو في سجنه، حتى أخرجه حاكم جنوب إفريقيا مرغماً من سجنه، وأصبح حاكمًا لجنوب إفريقيا عدة سنوات، بينما أصبح الحاكم السابق في طي النسيان، فيا للعجب!

والمرأة الحديدية تاتشر كانت بائعة مغمورة في أحد المحلات التجارية، وإذ بها بعد ذلك تصبح رئيسة لوزراء بريطانيا. فما الذي صنعت حتى أصبحت كذلك؟ أهو الجمود والتقاعس؟ أم التغيير والمبادرة والتصميم؟

وماليزيا مثل متميز في التغيير، حيث صممت أن تصبح دولة صناعية خلال عشر سنين (١٩٨٦ - ١٩٩٥)، فغيرت من شأنها تغييراً شاملاً، واستطاعت أن تصبح كما أرادت في المدة التي رسمتها لنفسها. بل إن معدل النمو في ماليزيا اليوم يعدّ من أعلى معدلات النمو في العالم.

وشركة (American on line) دخلت البورصة في شهر مارس ١٩٩٢، وكان سعر السهم فيها ثمانية دولارات، وبعد ثلاث سنوات فقط ارتفع سعر السهم إلى تسعين دولاراً!

بل إن بعض الشركات حققت في السنوات الأخيرة الماضية أرباحاً مقدارها ١٥٠٠في المائة ومنها شركة (Global Link)، وهي شركة للترجمة، حيث تقوم بالترجمة إلى ست لغات هي: الإنجليزية، الروسية، الفرنسية، الألمانية، الأسبانية، والإيطالية. صاحب هذه الشركة كان يعمل رئيساً للترجمة في جهاز المخابرات الأميركية لمدة ثلاثين سنة، وعندما تقاعد أسس هذه الشركة المتميزة، والذي غيّر فيها أسلوب الترجمة العادي إلى الترجمة بالحاسب الآلي، حيث يتم تصوير ما يراد ترجمته بواسطة (Scanner)، ثم يقوم الحاسب الآلي بترجمة ثلاثين ألف كلمة في الساعة الواحدة!، لذلك حققت هذه الشركة أرباحاً كبيرة جداً.

نعم، إنه التصميم على تغيير الواقع والسعي إلى ذلك، وقد سئل أحد الزنوج الأميركيين، وكان مليونيراً، فقيل له: كيف أصبحت مليونيراً؟ فقال: بأمرين، ومن فعلهما فسيصبح مثلي، فقيل له: ما هما؟ فقال: الأمر الأول أنني قررت أن أصبح مليونيراً، والأمر الثاني أنني حاولت أن أصبح مليونيراً!

إن العملية التغييرية عملية ذكية، إذ لم تعد مسألة خاضعة للمزاج، بل هي ضرورية للبقاء والمواصلة والتفوق والنجاح، فمن لا يتقدم يتقادم، ومن لا يغيّر بذكاء يفشل ويندم، ونجاح الأمس لا يعني نجاح الغد، وعلى المرء أن يقرر التغيير، بعد أن يتوكل على الله تعالى ويستعين به، ثم يبدأ ولا يتأخر.

د.علي الحمادي ●

● رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».



شهد العالم في القرن الماضي ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب بشكل ملحوظ وخاصة من قبل النخبة والصفوة وقادة الرأي العام والعلماء والفلاسفة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا يعتنق الكثير من مفكري الغرب ومثقفيهم على اختلاف توجهاتهم الإسلام؟ هذا ما سنعرفه من خلال سلسلة روائع سير المهتدين التي ترويها لكم «الوعي الاسلامي» بألسنة أناس سعوا إلى الهداية والسعادة، أناس يرون أن الإسلام دين العقل والمنطق والحرية والرحمة والإحسان للإنسانية جمعاء.

قصة إسلام الملك الإنجليزي جون لاكلاند بن هنري الثاني

-ظهور أول وثيقة لحقوق الإنسان (الماكناكارتا)-

علاء الدين المدرس

لقد كشف الباحثون والعلماء أخيراً أن أول صحيفة لحقوق الإنسان، التي كتبت في انجلترا في عصر الملك جون لاكلاند، وهي وثيقة «الماكناكارتا»، في سنة ١٢١٥م، كانت بنودها مستقاة ومستنبطة من القرآن بشكل مباشر، كما كشف الباحثون أن الملك جون الذي صدرت في زمنه أول وثيقة لحقوق الإنسان، كان حاكماً عادلاً ورشيداً على عكس ما أشيع عنه خلال القرون التي تلت عصره، والملك جون هو أخو القائد الانجليزي ريتشارد قلب الأسد إبان الحملات الصليبية المعروفة على بلاد الشام في عصر الناصر صلاح الدين الأيوبي، في القرن الثالث عشر الميلادي.

وتشير الوثائق إلى أن الملك جون كان قد قرأ القرآن وتأثر به، وحاول اعتناق الإسلام سراً، ويذكر الباحثون أن هذا الملك قد طلب من السلطان محمد الناصر ملك المغرب والأندلس وإفريقيا في ذلك العصر، أن يتحالف معه ضد خصومه في أوروبا، كما أبدا رغبة شديدة في دراسة الإسلام والتعرّف عليه عن كثب، لكي يعتنق دين محمد ﷺ ويعلن إسلامه في الوقت المناسب.

وكان قد أرسل وفداً مكوناً من ثلاثة أشخاص إلى قصر السلطان الناصر لهذا الغرض، ولكن خطة الملك جون ورغبته الصادقة في التقرب إلى السلطان الإسلامي وتأثره بالقرآن وتعاليمه، كانت قد كشفت وأجهضت من قبل خصومه، وكان من أبرز أسباب هذا التوجه السياسي لدى الملك جون، التآمر الصليبي الأوروبي المستمر على حكمه، وربما كان من بين الأسباب التي أدت إلى فشل خطته، الدور المشبوه الذي قام به أحد أعضاء الوفد الذي أرسله إلى السلطان العربي، إذ كان متعاوناً مع خصومه ومناوئاً لحكمه، وقد استطاع هذا الشخص أن يشكك في نوايا الملك جون أمام السلطان محمد الناصر، وتمكن من أن يدقّ «إسفيناً» من الشك والريبة بين السلطان المسلم والملك الانجليزي، فأدى ذلك بطبيعة الحال إلى رفض طلب الملك جون، للتحالف بين بريطانيا والأندلس، ضد المحور الصليبي في ايطاليا وفرنسا وأسبانيا، والمتحالف مع الكنيسة والتيار اللاهوتي المتعصب آنذاك، وقد أدت جهود خصوم الملك جون إلى ارتياب السلطان المسلم في نوايا الملك، وفي رغبته باعتناق الإسلام، فاتهمه بالحماقة وقصر النظر وعدم الجدية في مشروع التحالف الذي عرض عليه، ما أدى إلى عودة الوفد إلى انجلترا، دون أن ينجح في إبرام أي اتفاق مع الدولة الإسلامية القوية والمتحضرة آنذاك، ومن ثم محاصرة الملك جون ومحاربته وتشديد الطوق عليه من قبل الكنيسة والدول الأوروبية المتحالفة معها، مما أدى في نهاية المطاف إلى عزله واتهامه بالظلم والفساد، ثم الجنون والهرطقة، وأخيراً إعدامه.

الجدير بالذكر أن الملك الجديد ريتشارد والدول المتحالفة معه، كانت قد استعانت برموز الإقطاع وكبار الملاك والتجار الاحتكاريين في انجلترا، لمحاصرة الملك جون والانقضاض عليه وإسقاط حكمه، وكان من أبرزهم الأمير الإقطاعي روبن هود، والذي كان صديقاً للملك ريتشارد.

ولقد تم – مع الأسف- تزييف التاريخ وتفاصيل الأحداث المهمة المتعلقة بعصر الملك جون وخفاياه، لاسيما ما يتعلق بعدالة حكمه وتأثره بالإسلام، ومعارضته للحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، وصدور أول وثيقة لحقوق الإنسان في عهده، حتى شهدنا أن التاريخ المزيف قد قلب الحقائق، فخلّد الأمير روبن هود، وجعله بطلاً أسطورياً، ونصيراً للفقراء والمساكين، ومدافعاً عن الحق الإلهي الذي نادت به الكنيسة، وجعله من أبرز الأمراء الوطنيين الذين حاربوا الملك المستبد المارق والخارج على تعاليم الكنيسة! حتى اشتهر روبن هود في السينما الأوروبية بطلاً أسطورياً، وأطلق عليه زوراً لقب نصير الفقراء والمستضعفين.

ورغم إعدام الملك جون واتهامه بالظلم والاستبداد والجنون، وتعرض سيرته وعهده للتشويه والتزييف التاريخي، إلا أن وثيقة الماكناكارتا الشهيرة، تشير إلى عدالة حكمه، وتثبت ظلم واستبداد خصومه، كما تشير هذه الوثيقة إشارة قاطعة، إلى مدى تأثر أوروبا العصور الوسطى والملك جون ووثيقته، بالقرآن الكريم وتعاليمه الراقية.



من تراث الوعي

صفحة تعرض أبرز ما نشرته المجلة خلال رحلتها التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة

حاجتنا إلى الإيمان

الشيخ يوسف القرضاوي (العدد التاسع والعشرون - غرة جمادى الأولى 1387 هـ - 7 أغسطس 1967م)

إن قضية الإيمان ليست امرا على هامش الوجود، يجوز لنا ان نغفله أو نستخف به، أو ندعه في زوايا النسيان، كيف وهي أمر يتعلق بوجود الإنسان ومصيره؟ وانها سعادة الأبد أو شقوته، إنها لجنة ابدا، أو لنار ابدا.. فكان لزاما على كل ذي عقل ان يفكر فيها ويطمئن إلى حقيقتها.

وقد فكر الكثيرون من اولي الالباب، وانتهى كل منهم إلى اثبات العقيدة في الله بطريقه الخاص، فمنهم من استند إلى صوت الفطرة في اعماقه ﴿أفي الله شك فاطر السموات والارض؟﴾ (إبراهيم:١٠) ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ (الروم:٣٠)، ومنهم من اعتمد على مبدأ «السببية» الذي يقرر ان كل صنعة لا بد لها من صانع، وكل حادث لا بد له من محدث، وكل حركة لا بد لها من محرك، وكل نظام لا بد له ان يكون وراءه منظم، وهذا المبدأ ثابت الاوليات البديهية في العقول.

ومنهم من ناقش المسألة مناقشة حسابية رياضية، فانتهى إلى ان الاضمن والآمن لحياته وما بعد حياته ان يؤمن بالله وبالآخرة والبعث والجزاء، وفي مثل هذا يقول الشاعر الفيلسوف ابوالعلاء المعري:

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تبعث الاموات، قلت: اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولي فالخسار عليكما.

ونحن نقول - تنزلا مع هذا المنطق: ان الذي يؤمن بالله والدار الآخرة، لا يخاطر بدنياه الفانية ليربح آخرته الباقية، كلا انه بإيمانه يربح الحياتين معا، ويفوز بالحسنيين في الدنيا والآخرة جميعا، ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾(النساء:١٣٤)، ﴿ولدار الآخرة خير﴾(يوسف: ١٠٩).

إن العبادات التي فرضها الدين إنما هي وسائل لتزكية نفس المؤمن، وترقية روحه، ما أقل ما يبذل فيها من جهد، إلى جنب ما يكسب وراءها من خير.

وإن المحرمات التي حظرها عليه الدين، انما صان بتحريمها عقله وخلقه، ونفسه وماله، وعرضه ونسله، فهو إنما ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (الأعراف:١٥٧).

والدين اذا حرم على الناس شيئا عوضهم ما هو خير منه، مما لا يشتمل على مفسدة الشيء المحرم.

إن المؤمن لم يخسر شيئا بعبادته لله سبحانه، واتقائه ما حرم الله عليه، وإنما ربح الهدى والاستقامة على الحق، والثبات على الخير، والاستعلاء على الشهوات، وربح بعد ذلك هدوء النفس، وطمأنينة الحياة.

وفي عصرنا هذا أصبح الناس يجرون وراء المنفعة لاهثين، حتى إن كثيرا منهم ليرون الحق فيما ينفعهم، لا فيما يطابق الواقع، أو ما تقوم البراهين على صحته.

وقد قام مذهب برأسه ينادي بأن المنفعة مقياس الحقيقة، ويصر على أن المهم من كل شيء هو نتائجه، وما يترتب عليه من آثار في حياتنا العملية، وعلى أن الصدق ليس هو مطابقة الخبر للواقع، بل انسجامه مع ما سيقع، وهكذا، فكل شيء يحكم عليه بما يتبعه من نتائج، فإن كانت هذه النتائج متناسبة مع اغراضنا ومع ما نريد من مقدماتها كانت خيرا وصدقا وحقا، وأن كانت غير ذلك كانت شرا وكذبا وباطلا، ولا يوصف الفعل بحسن ولا قبح ولا يوصف القول بالصدق والكذب، حتى تعرف ثمرته.

هذا هو مذهب البراجماتزم، او مذهب المنفعة، الذي يدعو اليه «وليم جيمس» وغيره.

ونحن لا نخشى هذا المذهب على عقيدتنا- وان كنا لا نوافق عليه في الجملة - فاننا نوقن ان أنفع شيء للناس هو الحق، وأضر شيء بالناس هو الباطل، وقد ضرب القرآن الكريم مثلا للحق بالماء السائل، والمعدن النافع، وللباطل بالزبد الرابي على وجه الماء حين يسيل به الوادي، أو بالرغوة المنتفخة على وجه المعدن، حين يوقد عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع، ثم قال تعالى معقبا على هذا التمثيل ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب

عالم إسلامي

جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الامثال﴾ (الرعد:١٧).
والـذي يمكث فـي الارض هو «الحـق»، وهـو الـذي عبـر عنه القرآن بـ«ما ينفع الناس» لانه ينفعهم ماديا ومعنويا، ينفعهم اجساما وعقولا وقلوبا، وينفعهم افرادا وجماعات، وينفعهم دنيا وآخرة.
نحن لا نقصر المنفعة على الحياة العاجلة هنا، بل نضع في حسابنا دائما الحياة الآخرة، حياة الخلود التي أعدت للإنسان، وأعد لها الإنسان.
أجل، لو أننا احتكمنا إلى مقياس المنفعة وحدهـا، ورضينا منطق الـذيـن لا يـعـتـقـدون فـكـرة إلا المصلحة، لوجدنا الدين – مع هذا – ثقيل الميزان، مبين السلطان.
فقد اثبت التاريخ والاستقراء لحياة البشر ان الدين ضرورة لا غنى عنها.. ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد، وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك.
والـفـرد بغير ديـن ولا إيمـان، ريشة في مهب الريح، لا تستقر على وضع ولا تثبت على حال، إنسان ليس له قيمة ولا جذور ولا اعماق، إنسان حائر قلق، لا يعرف حقيقة نفسه، ولا سر وجوده، لا يدري من جاء به إلى هذه الحياة ولا لماذا جيء به إليها.
والمجتمع بغير ديـن ولا إيمـان مجتمع غـابـة – وإن لمعت فيه بـوارق الحـضـارة – الحـيـاة والبقاء فيه للأشد والأقوى، لا للأفضل ولا لـلأبـقـى.. مجتمع تعاسة وشقاء، وإن زخر بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم، مجتمع تافه رخيص لان غايات أهله لا تتجاوز شهوات البطون، والفروج، فهم ﴿يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام﴾ (محمد:١٢).

ماذا حقق التقدم المادي

و«الـعـلـم» المـادي – وان امتد رواقه، وانفسحت ميادينه – ليس بمستطيع ان يحقق الطمأنينة والسعادة للناس، لان العلم انما يرقى بالجانب المادي للحياة، فيختصر الشقة البعيدة، والزمن الطويل إلى مدة اقصر، ولهذا سموا عصرنا هذا «عصر السرعة» أو «عصر التغلب على المسافات».
ولكن هل يستطيع أحد ان يسميه عصر «الفضيلة» أو «عصر الطمأنينة» أو «عصر السعادة» للبشر؟
إن العلم هيأ للإنسان الحديث وسـائـل الحـيـاة، ولـكـنـه لـم يهده إلى غاياتها، إنه زين له ظاهرها، ولكنه لـم يصله بأعماقها، وما أتـعـس الإنـسـان إذا اغـرقـتـه الوسائل فذهل عن الغايات وإذا شغل بالسطح عن القاع، وبالقشر عن اللباب.
العلم المادي اعطى الإنسان ادوات كثيرة، ولكنه لـم يعطه «قيمة» كبيرة أو «هدفا» رفيعا، يحيا له، ويموت عليه.
ذلك ان هـذه ليست مـن وظيفة العلم، وليست مـن اختصاصه، وانما ذلك من اختصاص الدين.
ولقد رأينا من المفكرين والفلاسفة من لا يؤمنون بالله، ولكنهم يؤمنون بالإيمان بالله، أي يعتقدون في نفع هـذا الإيمـان، باعتباره قوة هادية موجهة، وقوة مؤثرة دافعة، وقوة منشئة خلاقة.
لم يستطع هؤلاء ان يجحدوا ما للإيمان بالله من طيب الاثر في نفس الفرد، وفي حياة المجتمع، فـقـال بعضهم: «لـو لـم يكن الله موجودا لوجب علينا أن نخلقه»، أي نخترع للناس إلها يؤمنون به، ويتلمسون رضاه، ويخافون حسابه حتى تـرتـدع الانفـس الشـريـرة، وتستقيم اخلاق الجماهير.
وقال آخر: لم تشككون في الله، ولولاه لخانتني زوجتي، وسـرقـنـي خادمي.
ونحن لا نوافق على منطق هؤلاء في عـمـومـه، فـإن الحـق احق ان يتبع مهما تكن نتيجته، والاباطيل يـجـب ان تـطـارد كـيـفـمـا كـانـت العاقبة، ولكن الـذي يعنينا من قول هؤلاء – وهم خصوم الدين وأعـداء الإيمـان – إن أثـر الدين والإيمـان في النفس والحياة لا يمكن ان يكابر فيه إنـسـان. ان الحقيقة يجب أن تحترم لذاتها، وان لـم تجلـب نـفـعـا، أو تـدفـع ضررا، فكيف اذا كان من ورائها أعظم المنافع وأطيب الثمرات.
ونـحـن حـين نـتـحـدث عـن ثـمـرات الإيمـان، انما نعني الإيمان القوي الـدافق، الإيمـان حـين يبلغ مـداه، ويشرق على القلوب سناه، ويخطر فـي اعـمـاق الـنـفـوس مـجـراه.. لا نـتـحـدث عـن الإيمــان الـضـعـيـف المزعزع، الإيمان المخدر النائم انما نتحدث عن الإيمان الحي اليقظ، القادر على التوجيه والتأثير.
ولا يـضـيـرنـا ان اصـحـاب هـذا الإيمـان قـلـيـلـون، فـانـنـا نـنـاقـش هنا الماديين الذين يشككون في قيمة الإيمان، وحسبنا ان يعلم الشاكون والمشككون ان الإيمان الذي يحاربونه كلما زاد عمقه في القلوب، وسلطانه على النفوس، ازداد اثـره المـبـارك فـي حيـاة الافراد والجماعات.

مفتاح الشخصية الإسلامية

مـفـتـاح الـشـخـصـيـة الإسـلامـيـة والـعـربـيـة عـلـى وجـه خـاص هـو الـديـن، هـو الإيـمـان، هـو عقيدة الإسلام.
ومـهـمـا نـحـاول أن نـزكـي هـذه الـشـخـصـيـة، وان نـفـجـر طاقاتها المكنونة، بغير مفتاحها الأصيل – وهو الدين – فإننا نحاول عبثا، كمن يبنى على الماء، أو يكتب على الهواء.
بـعـقـيـدة الإسـلام انـطـلـق الـعـرب مـن جـزيـرتـهـم، يـخـرجـون الـعـالم من الظلمات إلى النور، ويؤدبون بسيوفهم الاكاسـرة والقياصرة، وكل من صعر خده من الجبابرة.
وبعقيدة الإسلام انتصرت أمتنا العربية على اوروبـا، وقد جاءت بقضها وقضيضهـا فـي تسع حملات صليبية، تريد ان تلتهم الاخضر واليابس، في هذا الشرق المسلم.
وبعقيدة الإسـلام انتصرت على غزو التتار الذين زحفوا على هذا الشرق «كالريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم» وكادوا يدمرون الحضارة الإنسانية كلها، لولا ان قيض الله لهم من مسلمي مصر والشـام من ردهـم عـلى أعـقـابـهـم، وهـزمـوهـم بـإذن الله في «عين جالوت» وكان مفتاح الـنـصـر صـيـحـة أطلـقـهـا الـقـائـد المملوكي «قطز» فهزت المشاعر واسـتـثـارت الـعـزائـم، وأيـقـظـت الهمم، وهبت بها على المقاتلين نسمات الجنة، تلك هي الصيحة التاريخية «و إسلاماه»، الا ان كل عمل أو قول يزعزع الدين والإيمان في نفوسنا إنما هو عمل يؤدي إلى إضعاف كياننا، ومقومات حياتنا، وجذور نهضتنا.
«نـحـن قـوم مـؤمـنـون» وهـذا الإيمان هو أساس شخصيتنا، وسـر قوتنا، ورافـع رايتنا، هو سر مجدنا في الماضي، وباعث انتفاضتنا في الحاضر ومناط آمالنا في المستقبل.
«نحن قوم مؤمنون» وهذه قضية بديهية، يجب ان يلتقي على حمايتها وتثبيتها واشاعتها، قلم الكاتب، ولسان الخطيب، وفكر الفيلسوف، ووجـدان الشاعر، وريشة المصور، وتقنين المشرع، وسلطان الحاكم، وقوة الجيش، ورقابة الشعب.
يجب ان يرعاها الأب في البيت، والمعلم في المدرسة، والاستاذ في المحاضرة، والأديب في القصة، والصحفي في الخبر، والمؤلف في الكتاب، وكل ذي فن في فنه.

ابن المبارك وجهاد السيف والقلم

د. أحمد عيساوي ●

هو أبو عبد الرحمن بن المبارك بن واضح المروزي الحنظلي بالولاء، تركي الأب وخوارزمي الأم، الحافظ المحدث المجتهد، أحد الأئمة الأعلام. كان أبوه تركيا ومولى لرجل من بني حنظلة، من أهل همذان، وأمه خوارزمية من خوارزم. كما تشير المصادر التاريخية الإسلامية إلى أن أباه مبارك كان كثير التقوى والخلوات والعزلة والورع، فقد روي أنه كان ناظرا لبستان مولاه، فطلب منه رمانة حامضة فجاءه برمانة حلوة، فقال له: أنت لا تعرف الحلو من الحامض، قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأنك لم تأذن لي فيه.

فلما علم مولاه قدره ووجد حقيقته كذلك عظم قدره عنده وصار يستشيره في أمور كثيرة، وقد كانت لمولاه بنت جميلة خُطبت له كثيرا، فسأله يوما، وقال له: يا مبارك من ترى نزوج هذه البنت؟ فقال: «الجاهلية كانوا يزوجون للحسب والنسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين»، فأعجبه عقله، وقال لأمها مالها زوج غيره، فتزوجها، فجاءت بعبد الله هذا، وكان واحد زمانه وقته، وفريد عصره، وفيه يقول القائل:

إذا سار عبد الله من مرو ليلة
فقد سار منها نورها وجمالها
إذا ذكر الأحبار في كل بلدة
فهم أنجم فيها، وأنت هلالها.

مولده

اتفقت الآثار على أن ولادته كانت سنة ١١٨هـ، ولكنها اختلفت في موطن ولادته، فقد أشارت بعضها إلى أن ولادته كانت بمدينة «مرو» حسب البيتين الآنفي الذكر، وغيرها من أبيات المديح

ومن مرو خرج إلى العراق سنة ١٤١هـ فلقي التابعين.

فيما ذهبت بعض المصادر إلى عدم ذكر موطن ولادته، ولكن ابن المبارك كان إذا زار مدينة «همذان» أحسن إلى ذراري وأولاد موالي أبيه من بني حنظلة، وهذه إشارة ضمنية إلى أنه تربى مع أولئك الأولاد من موالي أبيه أو ولد معهم في مدينة همذان، أو تربى معهم فيها. والأرجح أنه - على عادة الموالاة آنذاك - أن يقيم المولى مع القبيلة التي يواليها، ويتزوج منها، وينجب أولاده فيها، وهو ما نرجحه من ميلاد ابن المبارك في مدينة همذان.

نشأته وتعلمه

تشير المصادر إلى أن عبد الله بن المبارك أدرك جيل التابعين وسمع منهم، وأشهرهم: هشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وسليمان التميمي، وحميد الطويل، وعبد الله بن عون، وخالد الحذاء، ويحيى بن سعيد، وموسى بن عقبة، وغيرهم من أئمة تابعي هذه الطبقة.

أخذ عبد الله بن المبارك الحديث والفقه والقراءات عن شيوخ كثيرين، فقال عن نفسه: «حملت عن أربعة آلاف شيخ، فرويت عن ألف منهم».

وممن روى عنهم الحديث: سليمان التميمي، وحميد الطويل، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وابن عون، وسفيان الثوري، وشعبة، والأوزاعي، ومالك، والليث بن سعد، وهشام بن عروة، وابن أبي ذئب، وابن جريج، والأعمش، وموسى بن عقبة، ونظراؤهم.

وأخذ الفقه عن أبي حنيفة كما أخذ القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة المشهورين، ووردت عنه الرواية في حروف القرآن.

كما تذكر المصادر أنه حدث الناس بأكثر من عشرين ألف حديث شريف، وصنف الكثير من المصنفات في اللغة والأدب والشعر والحديث والسيرة والفقه والزهد والجهاد، ولكن لم يصلنا منها شيء.

روى الإمام الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ «١٣» أن خلقا كثيرا قد روى وحدث وتعلم عن ابن المبارك من أهل الأقاليم، فإنه من صباه ما فتر عن السفر، منهم: عبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن معين، وحبان بن موسى، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن منيع، وأحمد بن حنبل، وغيرهم الجم الغفير. وما يمكن ملاحظته على هذه المرويات ما يلي:



١ - زهده في التعالي بذكر نفسه، بالرغم من علمه الكبير، فقد روي أنه لما سكن الكوفة جلس إليه بعض تلامذته يطلبون العلم و يقرأون عليه كتاب المناسك، وانتهى إلى حديث وفيه: قال عبد الله، وبه نأخذ، فقال من كتب هذا من قولي؟ قلت: الكاتب الذي كتبه، فلم يزل يحكه بيده حتى درس، ثم قال: ومن أنا حتى يكتب قولي؟

٢ - كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم، وتلامذته الذين أخذوا عنه، حتى صار مدرسة علمية متنقلة.

٣ - انقطاعه للعلم والتعلم والتعليم، ثم توسيع دائرة نشاطاته باتجاه التجارة والجهاد.

منزلته العلمية وخصاله

للإمام عبد الله بن المبارك منزلة علمية عالية المستوى، فقد أجمع أهل العلم في زمانه، ومن بعده على الإشادة بفضله، وعلى رئاسته لسيف العلم والقلم والجهاد، فقد قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: «لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه، رحل إلى مصر واليمن الشام والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم وأهله، كتب عن الصغار والكبار، وجمع أمرا عظيما، وكان صاحب حديث حافظا..».

قال فيه الإمام ابن معين: «كان كيسا، متثبتا ثقة، وكان عالما صحيح الحديث، وكانت كتبه التي

● مفكر إسلامي جزائري

حدث بها قرابة العشرين ألف حديث ويزيد».

وقال فيه ابن عبد البر: «.. أجمع العلماء على قبوله، وجلالته، وإمامته، وعدله». ووصفه الإمام الزاهد والمحدث الثقة سفيان الثوري فقال: «.. وددت عمري كله بثلاثة أيام من أيام ابن المبارك».

وقال شعبة: «.. ما قدم علينا مثله».

وقال أبو إسحاق الفزاري: «.. ابن المبارك إمام المسلمين».

وقال شعيب بن حرب: «.. ما لقي ابن المبارك مثل نفسه». وقال ابن عيينة: «.. نظرت في أمر الصحابة، فما رأيت لهم فضلا على ابن المبارك إلاّ لصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم، وغزوهم معه». وقال إسماعيل بن عياش: «.. ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير، إلاّ وجعلها فيه».

واجتمع فريق من أصحاب ابن المبارك مثل الفضيل بن موسى، ومخلد بن الحسين، فقالوا: «تعالوا نعدد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب، والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة والورع والإنصاف، وقيام الليل والعبادة، والسلامة في رأيه، وقلة الكلام فيما لا يعنيه، وقلة الخلاف على أصحابه».

وقال فيه الإمام ابن كثير: «وكان موصوفا بالحفظ والفقه والعربية والزهد والكرم والشجاعة والشعر، له التصانيف الحسان، والشعر الحسن، المتضمن حكما جمة».

ومن خلال هذه الشهادات العلمية والأخلاقية المحايدة في ابن المبارك نتبين أنه استحق بجدارة وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لجيل القرون الثلاثة الأولى ووصفهم بالخيرية.

مؤلفاته وتصانيفه

قال عنه الإمام الذهبي: «دون العلم في كل الأبواب، والفقه، والغزو والزهد والرقائق وغير ذلك». ومؤلفاته هي:

١ - تفسير القرآن، وقد ذكره البغدادي في كتابه «هداية العارفين»، وذكره ابن النديم في الفهرست، باسم التفسير.

٢ - السنن في الفقه، وذكره ابن النديم والبغدادي.

٣ - كتاب التاريخ، وذكره ابن النديم والبغدادي.

أكثر أوقاته كان يقضيها في الجهاد .. فإذا حان وقت قسمة الغنائم غاب وقال: يعرفني الذي أقاتل له

٤ - كتاب الزهد، ذكره ابن النديم والبغدادي، وحاجي خليفة في «كشف الظنون»، وقد نشر كتاب «الزهد» في الهند باسم «كتاب الزهد والرقائق» بتحقيق الأستاذ حبيب الأعظمي سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م. «٢٧»

٥ - كتاب البر والصلة، ذكره ابن النديم والبغدادي.

٦ - رقاع الفتاوى، ذكره البغدادي وحاجي خليفة.

٧ - الرقائق، ذكره الأشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه، وحاجي خليفة في كشف الظنون، والبغدادي باسم «الدقائق في الرقائق».

٨ - الأربعين في الحديث، ذكره البغدادي وحاجي خليفة باسم «الأربعين».

مرجعيته وفكره

كان الإمام ابن المبارك شديد التمسك بالسنة والحديث، شديد الحرص عليهما، شديد الاعتناء بهما، شديد التدقيق في مسائلهما، وقد ورد عنه ما يلي: قال عبدان، سمعت ابن المبارك يقول: «.. ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث».

وقال ابن المبارك لرجل: «.. إذا ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر».

وسئل ابن المبارك: عمن نأخذ، قال: «من طلب العلم لله، وكان في إسناده أشد، قد تلقى الرجل الثقة، وهو يحدث عن غير ثقة، وتلقى الرجل غير الثقة، وهو يحدث عن ثقة، ولكن ينبغي أن يكون ثقة عن ثقة».

وقال أبو إسحاق الطالقاني: «.. سألت ابن المبارك عن الرجل الذي يصلي عن أبويه؟ فقال: من يرويه؟ قلت شهاب بن خراش، قال: ثقة، عن من؟ قلت: عن الحجاج بن دينار، قال: ثقة، عن من؟ قلت: عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحجاج مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل».

وقد حفلت كتب الرقائق والزهد والأخلاق والسير والآداب بالكثير من أخلاق ومواقف عبد الله بن المبارك، يمكن عرضها في الميادين التالية:

مواقفه السياسية والجهادية

إن اختيار ابن المبارك لمنهج الحج عاما، والغزو عاما، يكشف لنا عن موقفه السياسي من الخلفاء العباسيين، الذين كان منهم الرشيد والمأمون والمعتصم، وغيرهم، ممن كان يحج عاما ويغزو عاما، وممن استشهد منهم في الغزو، كالخليفة المأمون الذي توفي بطرسوس بلاد الروم عندما قفل راجعاً من إحدى الشواتي.

فقد كان موقفه واضحا من سياستهم عندما تبنى خطهم واشتغل بالعلم والتعليم والحديث وروايته وبالتجارة والزهديات وسائر أعمال الخير. ومن شجاعته في الجهاد ما رواه عبده بن سليمان عنه فقال: «كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل من المسلمين فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه فطارده ساعة، فطعنه فقتله، فازدحم الناس إليه، فكنت فيمن ازدحم إليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بأطراف كمه فمددته، فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال لي: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا؟». ولعل هذه الرواية تبين لنا مدى تكتم ابن المبارك عن سيرته الذاتية وأخباره الخاصة، وكذلك شأن المتصوفة وزهاد القرون الهجرية الأولى. فقد كان يمضي أكثر أوقاته في الجهاد، ويبلي فيه البلاء الحسن، فإذا حان وقت قسمة الغنائم غاب، فقيل له في ذلك، فقال: «يعرفني الذي أقاتل له».

وفاته ووصيته

توفي بهيت بالعراق منصرفا من غزوة بعد حياة عامرة وحافلة بالطاعات والقربات والحسنات، لثلاث عشر خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائتين، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل مات في البرية سائحا مختارا العزلة، متمثلا بهذين البيتين:

وإذا صاحبت فاصحب صاحبا
ذا حياء وعفاف وكرم
قائلا للشيء: لا، إن قلت: لا
وإذا قلت: نعم، قال: نعم.

تحفة معمارية وصدقة جارية وأثر باق

جامع زايد الكبير

بهيج بهجت سكيك

منذ قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة قبل ١٤٣٠ عاماً والمسجد يمثل محور الحياة عند المسلم، فلم يكن المسجد مجرد مكان للصلاة بل كان له دور يمس كل جوانب الحياة عند المسلمين، فقد كان مقر الحاكم الرسول ﷺ وقيادة الجيش، تخرج منه الجيوش لصد الغزوات وللفتوح فيما بعد، ودارا للقضاء، ومدرسة لتعليم مبادئ الدين الإسلامي وأصوله، وفيه يتفق التجار على بيوعهم، بل تعدى ذلك ليصبح مكتبة تضم المخطوطات والكتب التي تتعلق بالعقيدة والقرآن والتفسير والفقه والشريعة.

بقيت وظائف المسجد هذه في الدول غير الإسلامية التي تضم أقليات إسلامية، وما المراكز الإسلامية في لندن وواشنطن وديترويت وروما وباريس إلا تجسيد ومثل لدور المسجد في الإسلام. فالمركز الإسلامي في لندن يحتل رقعة كبيرة أقيم عليها مسجد للصلاة ومكتبة، ومدرسة لتعليم أبناء المسلمين هناك، ومكتب للمأذون الشرعي لإتمام عقود الزواج حسب الشريعة، بل ضم مكاناً للذبح على الطريقة الإسلامية(مسلخ) ومكانا لتجهيز الموتى ومقبرة.

ومع اتساع رقعة العالم الإسلامي لم يعد للمسجد هذا الدور، واقتصرت وظيفته على الصلاة فقط، كما اختلفت مواد البناء والتصميم التي كانت تتسم بالبساطة (الطين والخشب وسعف النخيل)، كما كان صحن المسجد والمنبر والمحراب هي أركان المسجد.

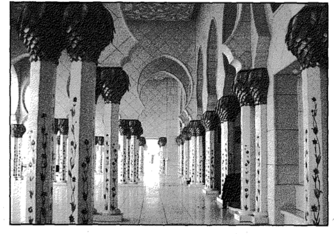
إن دخول كثير من الشعوب والأمم في حظيرة الدولة الإسلامية أعطى ثراء كبيراً في تنوع مواد البناء ومهارة البنائين و هندسة وعمارة المسجد، فلقد صهرت حضارات كالفرس والترك والروم والهنود والأفارقة في بوتقة الإسلام.

مسجد الشيخ زايد

إن مسجد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في «أبو ظبي» نموذج لهذه المساجد التي اختزلت وضمت نتاج هذه الحضارات، فعمارة المسجد شملت القاعات، والايوانات، والقباب، والأعمدة والأقواس، وتيجان الأعمدة، والمنمنمات، والمقرنصات، والرنوك، وتنوعت فيها خطوط الكتابة بين النسخ والرقعة والكوفي والديواني، كما جلبت مواد البناء لهذا المسجد من بقاع الأرض، مثل الرخام، والزجاج، والخشب المحفور، والأصباغ والسجاد، والمعادن وغيرها.

جمال الموقع والتصميم

أديت صلاة عيد الأضحى المبارك في مسجد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مدينة «أبو ظبي»، حاضرة دولة الإمارات العربية المتحدة، بهرني جمال المبنى وروعة التصميم، والموقع المشرف على مدينة «أبو ظبي» من الجهة الجنوبية على الطريق إلى دبي والى مدينة العين الظبيانية التي تحظى بمكانة خاصة من آل نهيان.



وضع تصميم هذا الصرح الجميل عام ١٩٩٦ على أيدي شركات عالمية بعد اختيار الموقع، وبوشر بناؤه عام ١٩٩٨، وافتتح رسمياً عام ٢٠٠٧، ومازالت الأعمال التجميلية جارية في مساحاته وميادينه الخارجية.

شيد هذا البناء على مساحة قدرها ٢٢٤٠٠ متر مربع، وشاركت في بنائه ٣٨ شركة مقاولات عالمية وآلاف من العمال المهرة، وأول ما يلفت الانتباه عن بعد تلك القباب الموزعة على سطحه والتي بلغت ٨٢ قبة مستوحاة من الفن المعماري القوطي، المغربي والباروك، تتوسطها القبة الرئيسة الكبرى المصنوعة من الرخام الأبيض والتي يبلغ قطرها الخارجي ٣٢,٨ متراً، وارتفاعها عن سطح الأرض ٨٥ متراً، وهي بذلك تعتبر القبة الأكبر على مستوى مساجد العالم!

للمسجد أربع مآذن، ترتفع كل مئذنة ١٠٧ أمتار، محيطة بزواياه يرفع فيها اسم الله خمس مرات كل يوم.

يستوعب المسجد حوالي ٤٠٩٠٠ مصل موزعين على القاعة

الرئيسة التي تستوعب ٧٠٠٠ مصل، والصحن الخارجي ٢٢٥٠٠ مصل، وفي الإيوان بين الحرم الرئيس والصحن ١٠٠٠ مصل، أما قاعة النساء فهي تتسع لحوالي ١٠٠٠ امرأة.

الحرم الداخلي للمسجد

أول ما يواجه الداخل إلى القاعة الرئيسة للمسجد المنبر والمحراب، وقد تجلت فيهما خلاصة الفن المعماري الإسلامي من خطوط لآيات القرآن الكريم وحفر على الخشب فيما يعرف اليوم بـ «الأرابيسك»، والرخام المطعم بعروق الذهب والأحجار الكريمة والفسيفساء ذات الألوان الزاهية.

تقوم القاعة الرئيسة على ٢٤ عمودا ضخما، ينقسم كل عمود إلى أربعة أعمدة أصغر منه تتصل بالأرض بقاعدة مستديرة، أما إجمالي عدد الأعمدة الداخلية والخارجية التي أقيمت عليها الصالات والإيوان والتي تحمل الأقواس فقد بلغ ١٠٤٨عموداً، لها تيجان جميلة تصلها بالأقواس محلاة بماء الذهب.

جلب رخام المسجد من بلاد كثيرة كإيطاليا واليونان والصين وأفغانستان، واشتمل على ٢٨ نوعاً من الرخام، أشهرها الرخام الأبيض (اكوا بيانا) و(بيانو) من ايطاليا للقباب، والرخام المجزع ذي العروق الجميلة المتداخلة لأرضية الصحن الخارجي والإيوان والقاعة، وتم تلبيسها بأسلاك معدنية على شكل أزهار وورود مما زاد من بهائها.

أكبر ثريا وأكبر سجادة

إذا كانت قاعدة القبة الرئيسة للمسجد هي أكبر قاعدة قبة مسجد في العالم، فإنه يضم أيضاً أكبر ثريا، وتغطي قاعته الرئيسة أكبر سجادة في العالم، وفيه أكبر ميضأة للوضوء، فهو مسجد «الكبريات» بحق.

سجادة القاعة الرئيسة تغطي٧١٥٠ متراً مربعاً، وشغلت من ٣٥ طناً من الصوف والقطن النقي، قام بتصميم زخارفها الفنان الإيراني علي خالقي في مدينة مشهد وتضم ٢٥ لوناً زاهياً يغلب عليها اللون الأخضر الذي كان يفضله الشيخ زايد- يرحمه الله - وتتصل بها ثلاث قطع أخرى للقاعات الملحقة بالصالة الرئيسة وصالة مصلى النساء.

أما الثريا التي تتدلى من مركز القبة الكبرى التي تتوسط القاعة الكبرى للمسجد وتواجه تماماً المنبر والمحراب فيبلغ قطرها ١٥ مترا، وترتفع عن سطح الأرض ١٥ مترا، وهي من البلور(الكريستال) النقي والذهب والأحجار الكريمة التي يكثر بها العقيق الأحمر، كما توجد ٦ ثريات موزعة على أروقة المسجد وايواناته، وكريستال البلور تم تصنيعه من نوع «شواروفسكي» الشهير.

مرافق المسجد

إلى جانب مكاتب هيئة السياحة في «أبو ظبي» ومكاتب الإشراف والأمن والخدمات والصيانة، عليك أن تقطع صحن المسجد وأروقته لتصل إلى مبنى مخصص للوضوء، تنزل السلم الكهربائي لتصل إلى سرداب كبير ينقسم إلى ناحيتين، واحدة للرجال تتكون من غرفتين، واخرى للنساء، داخل كل غرفة ميضأة من الرخام ذات هندسة دائرية لها مقاعد مجهزة بالماء الحار والبارد وكل ما يلزم الوضوء.
لقد وضعت مخططات لاستكمال وبناء مركز تحفيظ القرآن ومدرسة ومكتبة حتى يصبح المسجد مجمعا شاملا.

سد مأرب وترعة جابر

مازالت صورة الشيخ زايد - يرحمه الله- وهو يفتح سد مأرب في اليمن الشقيق، والذي أمر بإعادة بنائه في موقعه القديم بتمويل خاص منه، وبهندسة جديدة ليحيي به موات الأرض ويعيد إليها سعادتها ليعود اليمن السعيد ماثلة.

ما بين تمويل سد مأرب وجامع زايد أكثر من ثلاثة عقود، وخلال هذه العقود فإن مآثر الشيخ زايد- يرحمه الله- لا تنحصر في بناء مسجد أو بناء دولة الإمارات العربية المتحدة ونهضتها الحديثة، بل تعدت هذه المآثر حدود الدولة لتكون سببا في فتح بيوت، وإغاثة قرى، وتخطيط مدن في جميع أنحاء العالم.

فمازالت أسماء فرسان العرب: زايد بن سلطان، وجابر الأحمد الصباح، وفيصل بن عبدالعزيز، وفهد بن عبدالعزيز، وهم جميعاً الآن في رحاب الله، تحملها مشاريع خالدة: مدينة زايد في مصر، ومدينة زايد ومسجد زايد في فلسطين، وترعة جابر في مصر، ودار الأمل والنور في جنوب لبنان، ومدينة فيصل ومجمع فيصل ومركز فيصل وجسر الملك فهد... وغير ذلك كثير.

إن مسجد الشيخ زايد بن سلطان في أبوظبي معلم سياحي يزار، وتحفة معمارية تمثل الحضارة الإسلامية بكبريائها وشموخها وديمومتها التي بقيت حتى الآن، وهو يرقد قريبا من مسجده يسمع اسم الله يرفع خمس مرات كل يوم.

قراءة في فكر علماء الوسطية

قواعد التعامل مع غير المسلمين

د. حسين الجرادي

في الثلث الأخير من القرن المنصرم وأوائل القرن الحادي والعشرين ابتليت الأمة بأفراد ظنوا أنهم من أكثر الناس حرصاً على الإسلام والمسلمين، فزعموا أن رأيهم هو الحق وما بعده هو الضلال، فاستحلوا دماء وأموال المخالفين، واستباحوا دماء أهل الكتاب في البلاد الإسلامية مدعين أنهم ليسوا أهل ذمة لعدم دفعهم الجزية ولعدم الحكم بالشريعة الإسلامية، واستباحوا دماء السياح، وأدى فهمهم الخاطئ للولاء والبراء والقتال الى تحريمهم التعامل مع غير المسلمين، وقد تصدى المستشار سالم البهنساوي رحمه الله لهؤلاء وذاد عن حياض الإسلام النقية، وفند دعاواهم وكان لهم بالمرصاد فأبان خطأ فهمهم، واعوجاج منهجهم، وبين زيف افكارهم، وجرمهم بحق الإسلام والمسلمين، فناقش هؤلاء، وسافر في مؤتمرات دولية، ونشر بالصحف، ثم قام باصدار كتاب «قواعد التعامل مع غير المسلمين» يفند فيه دعاواهم، ويشرح بالدليل والبرهان كذب ادعاءاتهم.

التعددية في الإسلام

الإسلام هو الدين الوحيد الذي اعترف بخصومه وحفظ حقوقهم على الرغم من إنكارهم له، وذلك أن الله تعالى قد أقام الوجود على أساس التعددية والتنوع، وهذه سنة من سنن الله تعالى وآياته في خلقه قال تعالى ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين﴾ (هود: ١١٨)، ومن آياته أيضاً التعددية في القوميات والأجناس واللغات قال تعالى ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾(الروم:٢٢)، وهناك تعددية في الشعوب والقبائل تثمر التمايز الذي يدعو القرآن الكريم الى توظيفه في اقامة علاقات التعارف قال تعالى ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(الحجرات:١٣).

وهناك تعددية في الشرائع ثم الحضارات قال تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ (المائدة:٤٨).

ظن بعض المسلمين انه إعمالاً لقاعدة المعاملة بالمثل، يعامل غير المسلمين في البلاد العربية والإسلامية والاوروبية بمثل ما يعامل به المدنيون في فلسطين والعراق وافغانستان، وهو القتل ومصادرة الأموال او سلبها، لكن الإسلام يرفض ذلك تماماً فهو لا يتعرض الا لمن اعتدى وفي حدود اعتدائه، فالعقوبة في الإسلام شخصية لا يمكن ان تتعدى الى شخص آخر غير المعتدي قال تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾(الأنعام:١٦٤)، ولايقوم بذلك أفراد بل تتولاه الحكومات، ذلك أنه لما قتل عبيدالله بن عمر الهرمزان لأنه قاتل لأبيه أفتى الصحابة بتعزيره لا بقتله لأنه مفتئت على الإمام لأن الأحكام على الناس لا يصدرها الا الحكام ومن يفوضونهم من القضاة، كما لا يجوز أن تتعدى العقوبة شخص الجاني، فلا يجوز أن تزيد عن حدود الاعتداء قال تعالى ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾(البقرة: ١٩).

وقد ذكرنا الله بحكمه الوارد عند اليهود في التوراة والذي حرفوه فقال تعالى ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصرف به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾(المائدة:٤٥)، انه ان تجاوز اليهود وغيرهم حكم الله الوارد في دينهم وحرفوه فلا يجوز للمسلم ان يتجاوز حكم الله لا في النفس ولا في المال ولا فيما دون ذلك، فما بالنا وقتل النفس من اكبر الكبائر، ولعلم الله ان اليهود سينحرفون حرّم عليهم هذا من قبل، فعندما اعتدى ابن آدم على أخيه وقتله كان قول الله تعالى ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾(المائدة: ٣٢).

إن شريعة الإسلام فرضت رد الاعتداء الواقع من بني صهيون على اخواننا في فلسطين المحتلة، وأوجبت تحرير كل شبر من ارض فلسطين اما تجاوز ذلك الى المسالمين من السياح والمقيمين داخل البلاد العربية والإسلامية او غيرها في غير فلسطين فالإسلام لا يحل الاعتداء على المسالمين بل امر بالعدل معهم والبر بهم قال تعالى ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة:٨)، وقد روى ابن ماجه في باب الديات ان النبي ﷺ قال ﴿من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»، والمعاهد هو غير المسلم الذي دخل بلداً إسلامياً بطريق مشروع سواء للزيارة او للاقامة او للعمل، وروى الامام مسلم في صحيحه في باب الجهاد عن ابن عمر رضي الله عنه قال «لما دخل رسول الله ﷺ مكة رأى امرأة مقتولة فقال ما كانت هذه لتقاتل ونهى قتل النساء والصبيان».

ويوضح البهنساوي رحمه الله حدود العلاقات الاجتماعية مع غير المسلمين فيقول: لا توجد لدى المسلمين مشكلة في العلاقات الاجتماعية مع غير المسلمين، ذلك أنهم ان انكروا الإسلام وحجدوا حقوق المسلمين فان الإسلام لم ينكر الديانات السابقة ولم يجحد حقوق أهلها ولا حقوق غيرهم، وأقام علاقة المسلمين معهم على أساس التعايش السلمي وذلك في قوله تعالى ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾

(الممتحنة: ٨)، لقد اعترف الإسلام بغير المسلمين وبحقوقهم لأن الله يجعل الرضا والاقتناع هما سبيل الدخول في الدين، فقد نهى سبحانه وتعالى عن الاجبار والقهر قال تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾(البقرة: ٢٥٦) انه نص واضح انه لا يجوز اجبار أحد على الدخول في الدين، وهذا معلوم من الدين بالضرورة.

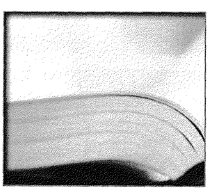
وهذا الحكم العام لا يتعارض مع آيات قتال غير المسلمين لانها ليست عامة، وكذلك الأحاديث في قتال الناس حتى يسلموا لقول الله سبحانه وتعالى ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾(التوبة: ٥).

هذا الحكم نزل في أهل الجزيرة العربية الذين اختارهم الله لحمل الرسالة، فأنزل القرآن الكريم فيهم وبلغتهم، وقد ترك لهم مهلة كافية بعد المعجزات الحسية على يد النبي ﷺ بخلاف المعجزة القرآنية التي تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة مثل القرآن الكريم، وتركهم الله عشرين عاماً بعد نزول القرآن الكريم ولكن وجد منهم من ظلوا على عنادهم وتجبرهم وتسلطهم واصرارهم على التحريف في مناسك الحج ودخول بيت الله وهم عرايا، وفي هؤلاء قال النبي ﷺ «امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله» (رواه البخاري).

فالنص القرآني والحديث النبوي بشأن قتال غير المسلمين هو حكم خاص بالعرب في الجزيرة العربية، وليس عاماً في جميع الناس للحديث المتفق عليه «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

ولما رواه أحمد ومسلم «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً» وقد قال الحافظ في الفتح في كتاب الجهاد نقلا عن الجمهور أن هذا المنع هو للحجاز خاصة «مكة والمدينة واليمامة».

فالنص القرآني ورد في سياق خاص بالمعاهدين الذين نقضوا عهدهم من عرب الجزيرة حيث قال الله تعالى فيهم ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول



وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ (التوبة: ١٢-١٣).

والحديث النبوي خاص بهؤلاء العرب وليس عاماً في جميع الناس، فلفظ الناس هنا عام أريد به الخصوص كقول الله تعالى ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (آل عمران: ١٧٣)، فالقائل هو نعيم بن مسعود وليس جميع الناس والذين جمعوا لقتال النبي ﷺ والصحابة ليسوا جميع الناس بل أبو سفيان، لهذا فالناس في الحديث النبوي هم عرب الجزيرة.

أما نص القرآن بقتال من لا يؤمنون بالله حتى يعطوا الجزية فهم فئة خاصة جداً من أهل الكتاب، فيهم نزل قول الله تعالى ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾(التوبة: ٢٩)، فعند نزول هذه الآية كانت الجزيرة العربية قد دانت بالإسلام، وكان نصارى الروم قد تجمعوا في نحو مائة ألف مقاتل لغزو المدينة، ومن ثم كانت غزوة مؤته في مواجهة هذا الحشد.

وغير هؤلاء من المسالمين يعيشون بين المسلمين ويتمتعون بظلال الإسلام دون حقوق توجبت عليهم، ومعلوم ان الجزية مقابل اعفائهم من تبعات الدفاع عن أرض الإسلام.

من هنا تقرر

ان الذين استدلوا بالحديث السابق «أمرت ان اقاتل الناس حيث يشهدوا ان لا اله الا الله وأني رسول الله» قد غاب عنهم ان الفقهاء قد اجمعوا على ان هذا من العام المخصوص، فكلمة الناس من العام لكنها مخصوصة بالمشركين بجزيرة العرب ولا تشمل جميع الناس، وأكد هذا التطبيق العملي في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بعده، فقد تصالحوا مع غير المسلمين على دفع الجزية، بل وضع النبي ﷺ دستوراً يحكم العلاقة بين المسلمين وغيرهم، هذا الدستور هو المسمى بالوثيقة او الصحيفة فوادع اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وجعل القاعدة في الشؤون الدنيوية «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

يستدل هؤلاء بالقاعدة الفقهية «ما لم يتم الواجب إلاّ به فهو واجب» وهذا الاستدلال يعني ان رد عدوان اليهود في فلسطين المحتلة المستمر ضد الفلسطينين امر واجب شرعاً، لكن لا سبيل للقيام بهذا الواجب الا بالاعتداء على المدنيين من اليهود في كل مكان حتى يكف الاسرائيليون عن قتل الفلسطينين، وهذا الاستدلال ينطوي على أخطاء شرعية أهمها:

أ- ان هذه القاعدة ليست نصاً في القرآن الكريم أو السنة النبوية، فلا تطبق على اطلاقها، فهي اجتهاد من الفقهاء في امور العبادات، وليس في القتل والسرقة، فنطاق هذه القاعدة عند الفقهاء خاص بأداء العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج، فمن شروط الصلاة الوضوء لهذا اصبح البحث عن الماء واجبا شرعيا.

ب- أن هذه القاعدة لا تعني ان حكم الواجب الاصلي هو نفس الواجب الفرعي، فالزنى محرم، وكذلك النظرة الآثمة قد تؤدي الى الزنى محرمة شرعاً، لكن عقوبة الزنى الرجم أو الجلد، أما عقوبة النظرة الآثمة فهي التعزير ومنه النصح والتوبيخ، فالواجب الفرعي عقوبته اخف.

ج- ان قتل المسالمين محرم بالنصوص الصريحة سالفة الذكر فلا ينسخها قاعدة بشرية مخصوصة بالعبادات، ولم يقل احد من الفقهاء على مرّ التاريخ بتطبيقها في غير ما وضعت له، ولا يجرؤ مسلم على القول بأن تلك القاعدة نسخت تحريم قتل المسالمين وغير المحاربين، ذلك انه لا يجوز لبشر نسخ حكم القرآن او السنة باجتهاد او رأي، فالوحي لا ينسخه الا الوحي.

د- قرر الفقهاء أن سبب القتال مع غير المسلمين هو الاعتداء من جانبهم، فلم يقتل غير المسلم لكفره بل لاعتدائه، ولهذا امر النبي ﷺ بعدم قتال من ليسوا أهلاً للقتال فقال «ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا امرأة»(سنن أبي داود).



إعداد : علي الحربي

الكويتية أفضل موقع إلكتروني بالكويت



حازت مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية على المركز الأول في مسابقة سمو الشيخ سالم العلي الصباح للمعلوماتية لعام ٢٠٠٩ في مجال الحكومة الإلكترونية كأفضل موقع على الإنترنت للمؤسسات والهيئات الحكومية للعام الثاني على التوالي.

وقال مدير دائرة تكنولوجيا المعلومات في المؤسسة خالد الوقيان إن لجنة التقييم المشكلة لهذا الغرض قد اختارت موقع المؤسسة للمركز الأول نظراً لما يمتاز به الموقع من تطور وتنوع في الخدمات المقدمة لجمهور العملاء.

وأضاف الوقيان أن دائرة تكنولوجيا المعلومات تهدف إلى إبراز وجه مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية الحضاري محلياً وعربياً وعالمياً، مشيراً إلى أن المؤسسة قد حصدت الكثير من الجوائز، وكان آخرها هذا الإنجاز الذي أضيف إلى سجل المؤسسة في مجال تكنولوجيا المعلومات.

برامج مكافحة الفيروسات كاذبة

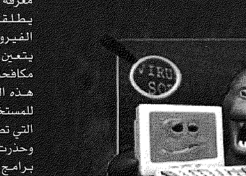
أكد خبراء الكمبيوتر أن الجيل الحالي من برامج مكافحة الفيروسات تحسن كثيرا عن الأجيال السابقة، ولكن من عيوبها أنها أصبحت تميل إلى إصدار إنذارات كاذبة، خاصة لدى تحميل برنامج جديد على الكمبيوتر، حيث أنها ترصده باعتباره من البرامج الضارة وتحذر المستخدم من مغبة تنزيله.

وتوصلت الدراسة المتخصصة في مجال الكمبيوتر إلى هذه النتيجة بعد اختبار عشرة برامج مكافحة فيروسات مختلفة

ويظهر هذا التحسن بوضوح في قدرة البرامج على رصد فيروسات لم تكن معروفة من قبل وتحييد خطرها.

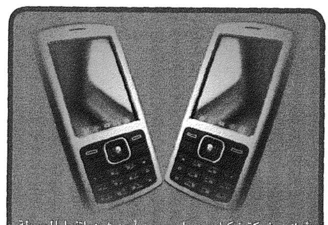
وأضافت الدراسة أن معظم برامج مكافحة الفيروسات توفر الآن حماية جيدة من برامج التجسس.

وتقول الدراسة في كثير من الأحيان يستحيل على المستخدم معرفة سبب التحذير الذي يطلقه برنامج مكافحة الفيروسات مشيرة إلى أنه يتعين على منتجي برامج مكافحة الفيروسات برمجة هذه البرامج بحيث تفسر للمستخدم أسباب التحذيرات التي تصدرها باستمرار.



وحذرت الدراسة من استخدام برامج مكافحة الفيروسات المجانية حيث إنها كثيرا ما تفتقر إلى الوظائف المهمة التي لا تتوافر إلا في النسخ غير المجانية.

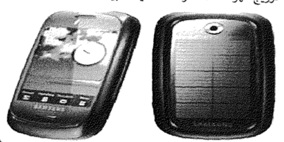
نسخة رياضية من هاتف Nokia N٧٩



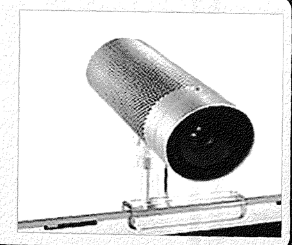
أعلنت شركة نوكيا عن واحد من أحدث هواتفها المحمولة وهو N٧٩ الذي يأتي الآن مع حزام Polar Bluetooth WearLink لقياس ضربات القلب ويأتي الهاتف أيضا مع برنامج Nokia Sports Tracker الذي يسمح للمستخدم بمراقبة أدائه الرياضي ووضع المعلومات التي يريدها على شبكة الإنترنت وسيأتي مع الهاتف أيضا سماعات رياضية لاستخدام هاتف نوكيا كمشغل إم بي ثري مع إمكانية حمل الهاتف على ذراع المستخدم عند ممارسة الرياضة ويحتوى الهاتف أيضا على كاميرا ٥ ميجابيكسل مع بطاقة ذاكرة ٤ جيجابايت وإمكانية الاستماع لراديو إف إم .

بلو إرث أول هاتف محمول بالطاقة الشمسية

طورت شركة سامسونج الكورية للإلكترونيات أول هاتف محمول في العالم مجهز بلوحة شمسية لشحن بطاريته.
ويعد هذا أول هاتف محمول في العالم مجهز ببطارية يتم شحنها عن طريق لوحة شمسية في الجزء الخلفي من الجهاز تولد طاقة كافية لإجراء المكالمات.
وقد تم تصنيع الهاتف بمواد بيئية، حسبما أشارت الشركة التي تؤكد أن شحن الجهاز لمدة ١٠ دقائق في اللوحة الشمسية يكفي لإجراء مكالمة مدتها ثلاث دقائق.
وأضافت سامسونج أن الجزء الخارجي للهاتف تم تصنيعه من مواد أعيد تدويرها مثل زجاجات المياه البلاستيكية مما يساعد على إعادة استخدام الموارد وتخفيض انبعاث غاز ثاني إكسيد الكربون.
وخلال مؤتمر برشلونة ستبدأ سامسونج للإلكترونيات حملة بعنوان «ذا بلو إرث دريم» أو «حلم الأرض الزرقاء» بهدف الترويج للهواتف المحمولة الصديقة للبيئة.



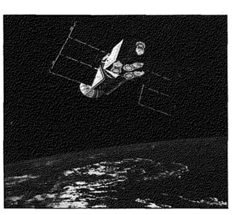
برنامج يسجل ملفات الفيديو من كاميرا الويب



يمكنك من خلال برنامج (Super Webcam Recorder) تسجيل الفيديو من خلال الكاميرا المثبتة بالكمبيوتر، ويمكن أخذ لقطات من ملف التسجيل، كما يمكن حفظها بالأنساق (AVI/WMV)ويتميز البرنامج بسهولة وسرعة الفيديو، مع إمكانية اختيار انساق الفيديو وضغطه من بين (AVI -WMV) وأخذ لقطات من الفيديو وحفظها، كما أنه يحتوي على العديد من الأشكال التعبيرية يمكن الاستفادة منها، كما ورد بمجلة العالم الرقمي ويحتوي البرنامج على واجهة استخدام سهلة وبسيطة للمستخدم، وهو متوافق مع Windows ٩٥/٩٨/NT/Me/٢٠٠٠/XP/٢٠٠٣ Server))
ويبلغ حجمه حوالي (٤,٦٩) ميجا بايت ويمكن تحميل البرنامج من خلال هذا الرابط:
/http://www.free-screen-capture.com

إعداد : هالة محمد

كيف ظهرت الحياة على الأرض؟



ذكر مركز ادارة التحليقات في بيان له ان طاقم المحطة الفضائية الدولية يستعد لإجراء تجربة قد تساعد على فهم طبيعة ظهور الحياة على الأرض.

واشير في البيان الى ان المهندس الفضائي الروسي على متن المحطة الفضائية الدولية يوري لونتشاكوف يقوم بالاستعدادات اللازمة لإجراء تجربة EXPOSE_R الاوروبية.

ومن المتوقع ان يقوم لونتشاكوف وزميله الاميركي مايكل فينك في الثالث والعشرين من ديسمبر بالخروج الى الفضاء المفتوح لينصبا على سطح المختبر الأوروبي «كولومبوس» حاوية تضم نماذج من جزيئات عضوية وجدت في نوى المذنبات.

وقد نقلت هذه الحاوية الى المدار بواسطة سفينة الشحن الفضائية الروسية «بروغرس م ٠١-م» التي التحمت بالمحطة الفضائية الدولية في الثلاثين من نوفمبر الماضي، وستبقى هذه الحاوية على السطح الخارجي للمحطة لمدة سنة ونصف كي يتسنى اثبات ان الجزيئات استطاعت ان تصمد امام الاشعاع الشمسي الشديد، الامر الذي قد يكون دافعا لظهور الحياة على الأرض.

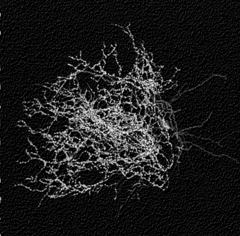
الحياة في المحيط

قال علماء دانماركيون ان الاحتباس الحراري قد يتسبب في تكون مناطق ميتة في المحيط، «ما قد يؤدي الى نهاية الحياة البحرية لفترة قد تستمر ألفي عام، وذكرت هيئة الاذاعة البريطانية (بي. بي. سي) ان العلماء استخدموا برامج محاكاة حاسوبية تتنبأ بما سيكون عليه الطقس خلال الـ ١٠٠ الف سنة المقبلة، حيث توصلوا الى ان نسبة ثاني أكسيد الكربون في الهواء سترتفع بثلاثة أضعاف مع نهاية القرن الحالي، ما سيؤدي الى ارتفاع درجة حرارة المحيطات، واضاف العلماء ان معدل جريان المحيطات سيتباطأ، ما سيؤدي الى انخفاض الاكسوجين في مساحات شاسعة منها، وبالتالي يؤدي ذلك الى انقراض اصناف من الاسماك ومظاهر اخرى من الحياة البحرية، وقال العلماء ان عودة الحياة البحرية الى سابق عهدها قد تتطلب قرونا عدة، نظرا الى مساحة الغطاء البحري الهائلة، الا انه يمكن التحكم في بعض هذه التغيرات بتقنين استعمال

خلايا عصبية من أنابيب كربونية

يحاول علماء اميركيون بناء خلايا عصبية من أنابيب كربونية متناهية الدقة، تضاهي في نشاطها نشاط الدماغ البشري.

وقالت الاستاذة أليس باركر من جامعة ساوثرن كاليفورنيا: «حتى هذه اللحظة لا نعرف ما اذا كان بامكاننا بناء دماغ اصطناعي»، مضيفة «قد تمضي عقود قبل صناعة اي شيء شبيه بالدماغ البشري»، وتابعت باركر ان صناعة اجزاء من دماغ تضاهي تلك الموجودة في الدماغ البشري، بما في ذلك قشرته الخارجية، قد



يتم خلال عقود واضافت ان تحديات بناء دماغ صناعي امر مذهل. لافتة الى انه على عكس ما هو الامر بالنسبة الى برامج العقل الالكتروني التي تحفز الدماغ على العمل، فان الدماغ الصناعي سيشمل مواد معدنية وسيضاهي الخلايا الدماغية، ما سيتيح للخلايا العصبية الصناعية التعلم عبر التجارب والتأقلم على المتغيرات في البيئة، كما هي الحال بالنسبة للخلايا العصبية الحقيقية. ويعكف العلماء حاليا على صناعة خلايا عصبية تستطيع التواصل مع غيرها بشكل دقيق وصحيح.

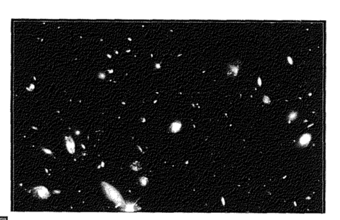
ـــــــات مهـددة



المخصبات الكيماوية، واوضح البروفيسيور المشرف على البحث جاري شافر من معهد نيلزبور بجامعة كوبنهاجن ان مستقبل المحيطات كاحتياطي غذائي ضخم مهدد، ومن الضروري خفض الانبعاثات الناجمة عن احتراق الوقود الاحفوري للحد من نقص الاكسوجين في المحيطات.

كيف تشكلت المجرات في الكون؟

عرض البروفيسور ايفشاي ديكيل نظرية جديدة حول الطريقة التي تكونت بها المجرات في العالم قبل مليارات السنين.
وقال البروفيسور المتخصص في علم الكون ان النظرية الجديدة تم التوصل اليها بعد الاستعانة ببرامج محاكاة عقل الكتروني وتقنيات مراقبة فلكية وعلمية متقدمة.
وأضاف ان الدراسة التي اجراها مع زملائه في الجامعة اظهرت ان المجرات تشكلت نتيجة كميات كبيرة من الغاز البارد وليس الحار كما ساد الظن لفترة طويلة.
وتابع ديكيل في الدراسة التي نشرتها مجلة «نايتشر» ان اندماج المجرات ببعضها كان له تأثير محدود على تركيب الكون.



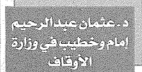
تراجع الضباب أسهم في سخونة المناخ

أكدت دراسة نشرتها المجلة المتخصصة «نيتشور جيوساينس» ان انخفاض الضباب في اوروبا - الناجم خصوصا عن التلوث خلال السنوات الثلاثين الأخيرة - يسهم في تفسير سخونة المناخ أكثر من المعدل الطبيعي في العالم.
وقال روبير فوتار، أحد المشاركين الثلاثة في الدراسة من مختبر علوم المناخ والبيئة في جيف سورايفيت قرب باريس، لوكالة فرانس برس «من المرجح أن تراجع الضباب الكثيف والخفيف اسهم بنسبة ١٠ في المئة كمعدل وسطي في الصيف و٢٠ في المئة في الشتاء في سخونة المناخ خلال النهار في أوروبا»، وفي اوروبا الشرقية يمكن تفسير ٥٠ في المئة من ارتفاع الحرارة خلال العقدين الاخيرين، خصوصا في



الشتاء، بهذه الطريقة بحسب الدراسة.
ومعدل ارتفاع حرارة الارض كان بنسبة ٠,٧٤ درجة مئوية على مدى مائة عام (١٩٠٦-٢٠٠٥)، لكنه كان اكبر في النصف الشمالي من الكرة الأرضية خصوصا في فصلي الشتاء والربيع.
ودرس الباحثون معطيات ٣٤٢ محطة لقياس الرؤية، خصوصا في المطارات، وهذا ما لم يفعله احد حتى الان على مستوى القارة الاوروبية.
واوضح العالم «لدينا ايام ضباب او سوء رؤية اقل بمرتين مام كان عليه الامر قبل ٣٠ عاما».
ويتحدث عن وجود ضباب عندما يكون مدى الرؤية الافقية اقل من كيلو متر، اما عندما تكون بين كيلو متر وكيلو مترين فإنه يتحدث عن سحابة ضباب خفيف.
وانخفاض الضباب ناجم عن تحسن نوعية الهواء، وبدرجة اقل عن جفاف التربة نتيجة الحركة الحضرية والبناء الاسمنتي، وكذلك عن سخونة المناخ بحد ذاته.
لذلك لا يتوقع فوتار ان تتراجع انبعاثات ثاني اكسيد الكبريت اكثر بكثير، و«يفترض ان نلاحظ ارتفاعا للحرارة اقل في اوروبا في السنوات المقبلة».

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.



د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية

لبس الساعة المطلية بالذهب للتزين

هل يجوز بيع أقلام وساعات تحتوي في جزء منها أو بكلها على عيار ١٤، ١٨، ٢١ من الذهب وما شابهها من أشياء يستخدمها الرجال مثال خاتم الذهب للرجال؟

الإجابة

إنه يجوز لبس الساعة المطلية بالذهب إذا كان يسيرا بحيث لا يمكن استخلاصه منها، أما إذا كانت في الساعة أجزاء من الذهب الخالص فإنه لا يجوز للرجال لبسها مطلقا، ويجوز لبسها للنساء دون الرجال وينطبق على البيع ما ينطبق على اللبس من أحكام.

موت راكب سيارة بلا تسبب من سائقها

تجاوزت الإشارة وهي خضراء و أثناء تجاوزي للإشارة وهي خضراء صدمتني سيارة، وقد توفي ابن عمي.

والسؤال هو: إن زوجات ابن عمي الثلاث وأولاده تنازلوا عن حق الدهم مني، فهل يلحقني شيء لأنني أريد أن أبرئ ذمتي؟

الإجابة

إنه إذا كان الأمر كما أفاد المستفتي من عدم مباشرته، أو تسببه في الحادث وأن الإشارة كانت مفتوحة له، وسرعته عادية، فإنه لاشيء عليه.

بيع وشراء المحار

يوجد حالياً سوق رسمي بالشويخ لبيع المحار عن طريق أكياس، وتقدر قيمة الكيس تقريباً من ٦ إلى ٤٥ ديناراً كويتياً، وقد يزن الكيس الواحد ٣ كيلو غرام تقريباً. ويعلم الجميع بأن المحار (نصيب) أي قد يجد فيه المشتري اللؤلؤ وقد لا يجد، وهذا معروف والكل يعلم ذلك، لذا أرجو إعطاءنا الفتوى الشرعية حول بيع وشراء المحار، وهل هو حلال أم حرام؟

الإجابة

إنه مادام الوضع . كما هو الآن في الكويت . على عدم اتجاه القصد في البيع إلى المحار نفسه لعدم الاستفادة من صدفه ولا من اللحم الذي بداخله، فإنه لا يجوز بيعه لما فيه من الغرر الفاحش، وقد «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وبيع الغرر» كما رواه مسلم، فهو من قبيل أكل المال بالباطل وشبيه بالقمار المحرم. لكن إن تغير الحال وصار صدف المحار أو ما بداخله من اللحم مما يقصد للشراء لجريان الانتفاع به فحينئذ يجوز بيع المحار أصالة، أما بيع اللؤلؤ الذي في المحار قبل فتحه فلا يجوز بأي حال لأنه لايعلم وجوده.

الزواج من مطلقته بعد الزوج الثاني

طلقت زوجتي ثلاث مرات، وقد تزوجت زوجتي برجل آخر وبقيت معه ثلاثة أشهر، ويريد أن يطلقها وأريد أنا أن أتزوج بها بعد انتهاء عدتها، فهل يجوز لي ذلك؟

الإجابة

بأنه إذا كان الأمر كما أفاد المستفتي أمام اللجنة من عدم وجود التواطؤ بينه وبين زوجها على أن يتزوجها ثم يطلقها فإنه يحل للأول أن يتزوجها إن طلقت من زوجها وانتهت عدتها. أما الآن فيحرم على المستفتي أن يشجعها على طلب الطلاق من زوجها، أو يصرح لها برغبته في عودتها إليه، أو يعرض لها بذلك، أو يعدها بشيء.

من قرارات المجمع الأوروبي للإفتاء



حكم تزوج الكافر للمسلمة وتزوج المسلم للكافرة

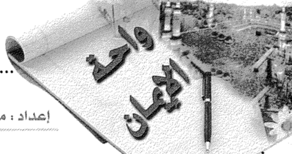
أولاً: إن تزوج الكافر للمسلمة حرام لا يجوز، باتفاق أهل العلم، ولا شك في ذلك لما تقتضيه نصوص الشريعة؛ قال تعالى: ﴿وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ (البقرة: ٢٢١) وقال تعالى ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ (الممتحنة: من الآية١٠). والتكرير في قوله تعالى ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ للتأكيد والمبالغة بالحرمة، وقطع العلاقة بين المؤمنة والمشرك، وقوله تعالى ﴿وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾. أمر أن يُعطى الزوج الكافر ما أنفق على زوجته إذا أسلمت، فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية، فإذا كانت المرأة المشركة تحت الزوج الكافر تحرم عليه بإسلامها ولا تحل له بعد ذلك، فكيف يقال: بإباحة ابتداء عقد نكاح الكافر على المسلمة؟ بل أباح الله نكاح المرأة المشركة بعد ما تسلم- وهي تحت رجل كافر- لعدم إباحتها له بإسلامها، فحينئذ يجوز للمسلم تزوجها بعد انقضاء عدتها، كما نص عليه قوله تعالى ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (الممتحنة: ١٠)

ثانيًا: وكذلك المسلم لا يحل له نكاح مشركة لقوله تعالى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة:٢٢١). ولقوله تعالى ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة: من الآية١٠). وقد طلق عمر، رضي الله عنه، امرأتين له كانتا مشركتين، لما نزلت هذه الآية. وحكى ابن قدامة الحنبلي: أنه لا خلاف في تحريم نساء الكفار غير أهل الكتاب على المسلم. أما النساء المحصنات من أهل الكتاب، فيجوز للمسلم أن ينكحهن، لم يختلف العلماء في ذلك، إلا أن الإمامية قالوا بالتحريم، والأولى للمسلم عدم تزوجه من الكتابية مع وجود الحرة المسلمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يكره تزوجهن مع وجود الحرائر المسلمات. قال في الاختيارات: وقاله القاضي وأكثر العلماء؛ لقول عمر رضي الله عنه، للذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب: طلقوهن. فطلقوهن إلا حذيفة امتنع عن طلاقها، ثم طلقها بعد، لأن المسلم متى تزوج كتابية، ربما مال إليها قلبه ففتنته، وربما كان بينهما ولد فيميل إليها.

من قواعد الدلالات

- الأصلُ في الكلام الحقيقةُ، فلا يُعْدَلُ به إلى المجاز-إن قلنا به-، إلا إذا تَعذَّرت الحقيقة
- العَملُ بنصوص الكتاب والسُنَّة واجبٌ على ما تقتضيه دلالتها، حتى يقوم دليل على خلاف ذلك
- الألفاظُ إذا وردت في نصٍّ شرعيٍّ، وكان لها حقيقة شرعيّة: فالأصلُ أن تُفسَّرَ بها ما لم تأتِ قرينة صارفة عنها، فتفسَّر بحسَب ذلك.
- إن لم يكن للفظ حقيقة شرعية: فإنّه يُفسَّرُ بالحقيقة العُرْفية (بعرف الصحابة: عرف زمن النزول والتشريع) إن وُجدت.
- فإن لم توجد أو جاءت قرينة صارفة عنها، فُسِّرَ بالمعنى اللغوي.

القواعد والضوابط الأصولية للشيخ عبد الرحمن السعدي



إعداد : محمد شفيق

حديث شريف

قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة، فقالو: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق، قالوا فإن لم يجد؟ قال:ك يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، ويمسك عن الشر، فإنها له صدقة» (صحيح البخاري).

الظالم

مر رجل برجل قد صلبه الحجاج بن يوسف الثقفي، فقال الرجل: يا رب إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين، فنام تلك الليلة، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، ورأى ذلك المصلوب وهو منعم في أعلى عليين وإذا بمناد ينادي، حلمي على الظالمين، أحل بالمظلومين أعلى عليين.

أسئلة عن الحياة

سئلت أم: ما الحياة؟ قالت: إنها ضحكة طفلي، وسئلت نحلة؟ ما الحياة؟ قالت: زهرة وعسل، وسئل المطر: ما الحياة؟ قال: أرض جرداء تنتظر قطراتي بلهف وشوق، وسئلت الشمس: ما الحياة؟ قالت: ظلام ينتظرني أبدده بنوري، وهكذا نجد لكل شيء خلقه الله تعالى غاية، ولم يخلق سدى، فسبحان الله الذي جلت قدرته، وتعالت عظمته.

دعاء

يا من لم يمنعه سمع عن سمع، ويا من لا تغلطه المسائل، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين، ولا مسألة السائلين، ارزقني برد عفوك، وحلاوة رحمتك.

القيام في الليل

ذكروا أنه كان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم، فلما كان في جوف الليل قامت الجارية، فقالت: يا أهل الدار: الصلاة الصلاة، فقالوا: أأصبحنا؟ أطلع الفجر؟ فقالت: ما تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا نعم: فرجعت إلى الحسن فقالت: يا مولاي بعتني لقوم لايصلون إلا المكتوبة: فرجع وردها إليه.

النابغة والنعمان بن المنذر

دخل النابغة على النعمان بن المنذر وأنشده:

تخف الأرض إن فقدتك يوماً

وتبقى – ما بقيت بها– ثقيلاً

فنظر إليه النعمان مغضباً، وكان كعب بن زهير الشاعر حاضراً فقال: أصلح الله الملك إن مع هذا بيتاً ضل عنه وهو:

لأنك موضع القسطاس منها

فتمنع جانبيها أن يميلا

فضحك النعمان وسري عنه

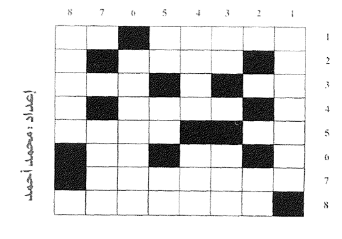
محادثة الإخوان

إن محادثة الإخوان حياة القلوب، وجلاء النفوس، وتذكير من النسيان، والدنيا سرورها أحزان، وإقبالها إدبار، وآخرها الموت، فكم من مستقبل يوما لا يستكمله، ومنتظر غدا لا يبلغه، ولو ينظر المرء الى الأجل ومروره، لأبغض الأمل وغروره!

الله يكفيك

قال حاتم الأصم لرجل أتاه يستنصح: الزم بيتك فإن أردت الصاحب فالله يكفيك، وإن أردت الرفيق، فرفيقك رقيبك، وإن أردت الدنيا فالقرآن يؤنسك، وذكر الموت يعظك!

الكلمات المتقاطعة



إعداد: محمد أحمد

أفقياً

١- من سور القرآن الكريم، بداية آياتها من: (٢-٦) هي من الاعجاز الغيبي بالمستقبل للقرآن الكريم، وتتحدث تلك الآيات عن حرب جرت بين الفرس والرومان، وفيها لقي الرومان هزيمة ساحقة على أيدي الجيش الفارسي عام ٦١٦م، وكانت دولتا الفرس والرومان (واللتان تجاوران أرض العرب) هما أكبر قوتين عسكريتين حينذاك، وكان بينهما تنافس كبير.

ملحوظة: ذكر الله في الآية (٣) من تلك السورة الكريمة ان المعركة التي غلبت فيها الروم من الفرس كانت في ﴿أدنى الأرض﴾، وقد جرت تلك الحرب بالقرب من البحر الميت، بفلسطين، وقد ثبت مؤخراً ان تلك المنطقة التي جرت فيها تلك الحرب هي أكثر مكان على سطح الأرض انخفاضا عن مستوى سطح البحر، ونجد هذا واضحاً ومذكوراً في الخرائط الجيولوجية، اي ان تلك الآيات التي تتحدث عن تلك المعركة لم تشمل فقط إعجازاً غيبياً بالمستقبل، وانما شملت ايضا اعجازاً علمياً - حرف نفي.

٢- عشق. ٣- بدر (معكوسة) - الكلب الصغير (معكوسة).

٤- نهر صغير. ٥- إله - شاطر. ٦- اسم صوت، لا محل له من الإعراب، يستخدم للنداء على الخيل، والبغال، والحمير، لتمشي - سئم. ٧- طائر حسن الصوت، لقبه البعض بـ «طائر الليل الحزين» (معكوسة). ٨- من سور القرآن الكريم، الآية (٤) منها هي من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وفي هذه الآية يرد الله على تساؤل للكافرين الذين قالوا إنه لن يستطيع أن يجمع عظام من يموت، فقال لهم إنه قادر ايضاً على ان (يسوي) بنانهم (اصابعهم)، وقد اثبت العلم الحديث استحالة تطابق بنان انسان مع انسان آخر، بمن فيهم التوأم المتطابق، منذ بدء الخليقة، وحتى قيام الساعة، وفي هذا الصدد فاننا نورد - على سبيل المثال - ما جاء في الموسوعة العربية العالمية عام ١٩٨٩م، من ان سجل مكتب التحقيقات الفيدرالي الاميركي (F. B. I) Federal Bureau OF Investigaton فحص حوالي ١٧٥,٠٠٠,٠٠٠ (مائة وخمسة وسبعين مليوناً) من البصمات، في الولايات المتحدة الأميركية، فلم يجد بينها اثنتين متشابهتين.

رأسياً

١- مملكة عربية، عبارة عن أرخبيل صغير (الأرخبيل: مصطلح جغرافي يعني مجموعة من الجزر المتجاورة)، وهي تقع بالخليج العربي بين قطر والسعودية، وتبلغ مساحتها ٥٩٨كم٢، وعاصمتها المنامة، وعدد سكانها أربعمائة ألف نسمة (تقدير عام ١٩٨٥م).

٢- متشابهان. ٣- جاهل، كذا: غافل (معكوسة) - سنة، كذا: قوة، كذا: حيلة.

٤- الاسم الأصلي لـ (هاشم) والد جد النبي محمد ﷺ، حيث ان اسم سيدنا محمد السداسي هو محمد بن عبدالله بن شيبة (عبدالمطلب) بن... (هاشم) بن المغيرة (عبد مناف) بن زيد (قصي)، حيث غلب اللقب على الأربعة اسماء الاصلية الاخيرة (معكوسة) - عدم استطاعة النوم ليلا. ٥ - حرف نفي - مهارة - للتعليل. ٦- المشقوق بشق غير نافذ (معكوسة).

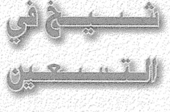
٧- الوالدة. ٨- كلمة يونانية، ذات اصل يرجح انه آرامي، تعني: البشارة، اي: الخبر السعيد، وهي اسم كتاب سماوي، انزل على رسول كريم، وصفه الله بأنه سيكون وجيهاً في الدنيا وفي الآخرة ومن المقربين (انظر: سورة آل عمران: آية ٤٥).

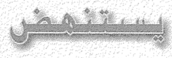
حل العدد السابق

	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12
1	ب	ع	و	ض	ة		غ	ن	ا	ز	ي	ر
2	ا	ن	ح	ف		ر	م	ح		ج	ن	ا
3	د	ك	ل	ا		ر		ل	م	ن		م
4	ر	ب		د	ا	ر	ج		م	ا	ز	ح
5		و	ر	ع			م	ي	م		ع	
6	ح	ت	ى		ا	ب	ل			ق	م	ل
7	ي		ز	هـ	و	ر		ق	م	ر		ح
8	ة	ر	و	س	ق		ب		هـ	د	هـ	د
9		ل		ر	ر		ب	ق	ر	ة		
10	ب	ا	ر	غ		ذ	ب	ا	ب		و	س
11	ل	ي	ف			ء		س	هـ	ر	ا	ن
12	ك	ب	ش		س	ب	ع			ح	و	ت











كان مجلسًا حافلاً بدا لي أن الرحمةَ تغشاه والملائكةَ تحفُّه.. ذاك الذي دعاني إليه أخي الحبيب وصاحبي القريب الأستاذ أيمن بن أحمد ذو الغنى في بيته بمدينة الرياض العامرة، وقد سعدت بكلِّ من ضمَّه ذلك المجلس من أهل العلم، وما اشتمل عليه من الأطايب واللذائذ، إلا أن سروري الذي لم يعادله سرور إنما كان بلقاء عَلَمَين من أعلام هذا الزمان طالما تطلَّعت إلى لقائهما.. أما الأول فهو الشيخ الجليل د.محمد بن لطفي الصبَّاغ، صاحب الفصاحة والنصاعة والداعية الإسلامي المعروف، أمتع الله به وزاده من فضله، وأما الآخَر فهو شيخ أشياخنا العلامة الجليل عبد الرحمن الباني الذي ما إن حلَّ بالمجلس حتى بدأ يُعِد العدَّة للسماع! وأي سماعٍ هذا؟ إنه سماع أهل العلم، يريد أن يُصغيَ لأهل المجلس، فلا بد إذن من وضع سمَّاعات الأذن بعد أن كلَّ السمع.. ثم ماذا؟ سيل من الأسئلة، ومحاولة للإحاطة بموضوع يتحاماه الناس من المتخصصين، بَلْهَ المثقفين وذوي المعارف العامَّة من أهل العلم.. أما الموضوع فهو علمُ التعمية واستخراج المعمَّى (الشِّفرة وكسرها) وريادة العرب المسلمين فيه! وما صنَّفوا من مخطوطات سبقوا بها علماء أوروبا، بل سبقوا العالم كلَّه، ولم يكتفوا بذلك بل كشفوا اللِّثام عن رموز الأقلام القديمة التي كان الحكماء يخفون بها كتاباتهم، ومن بين هذه الأقلام الكتابة الهيروغليفية القديمة!

وهنا بدأ الشيخ الجليل يسألُ عن صاحب أول مخطوط عَرَض لهذه اللغة وهو ابن وحشيَّة النَّبطي، وعن تتبُّعنا لآثاره، ومعرفتنا بمواطن نُسَخ هذا المخطوط النادر.. لم يَدُر بخَلَدي أن الشيخ يسألُ هذه الأسئلة ليكونَ له أجر المشاركة بهذا العمل العلميِّ، بل قدم لنا في صباح اليوم التالي صفحات تتبَّع فيها تراجمَ ابن وحشيَّة في مظانِّها من كتب التراجم والتاريخ والموسوعات، وتتبَّع أيضًا مؤلفات الرجل، ثم ختمها بصفحتين كانتا كالتاج لما كتب جعلهما تحت عنوان «حقائق لاستنهاض الهمم» جاء فيهما:

١- الخوارزمي محمد بن موسى (ت نحو ٢٣٢هـ- ٨٤٧م) مؤسِّس علم الجبر.

٢- عبَّاس بن فرناس (ت ٢٧٤هـ- ٨٨٧م) أول من حاول الطيران، والجوهري إسماعيل بن حمَّاد (ت ٣٩٣هـ- ١٠٠٣م) صاحب الصَّحاح.

٣- الرازي أبو بكر محمد بن زكريا (ت نحو ٣١٣هـ- ٩٢٥م) مؤسِّس علم الكيمياء، وأبو الكيمياء الحديثة (راجع لمحات في تاريخ العلوم الكونية عند المسلمين، للدكتور عبدالله حجازي، الرياض ١٤١٧هـ)، ومؤسِّس علم طبِّ الأطفال (راجع تاريخ طب الأطفال عند العرب، للدكتور محمود الحاج قاسم محمد، ط٢، مكتبة تهامة- جُدَّة، ١٤٠٣هـ).

٤- الكَرَجي (وفي بعض المصادر الكَرْخي) محمد بن الحسن (ت نحو ٤١٠هـ- ١٠٢٠م)، أول من اكتشف طرقًا علمية لاستخراج المياه الجوفية من باطن الأرض في كتابه «إنباط المياه الخفيَّة»، وهو مبدع مثلَّث المعادلات ذات الحدَّين المعروف بمثلَّث باسكال نسبة إلى الفرنسي بْليز باسكال (ت ١٠٧٣هـ- ١٦٦٢م)، والأولى أن يسمَّى مثلث الكَرَجي (انظر «كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه؟» للدكتور خالد عزب، الصادر عن المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإسيسكو)، فصل: علم استنباط المياه عند المسلمين).

٥- ابن الهيثم محمد بن الحسن (ت نحو ٤٣٠هـ- ١٠٣٨م) مكتشف قوانين الضوء، وليس الألماني يوهانز كبلر (ت ١٠٤٠هـ- ١٦٣٠م) (راجع «ابن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية»، لمصطفى نظيف، ١٣٦١هـ- ١٩٤٢م).

٦- الغزالي أبوحامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ- ١١١١م) (ت ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م) مكتشف الفعل المنعكس الشرطي، لا الروسي إيفان بافلوف (د.فايز الحاج).

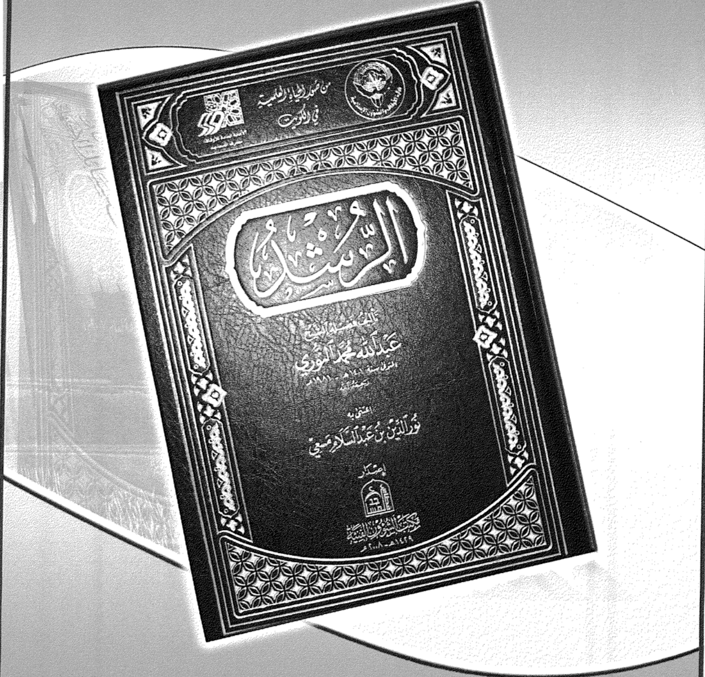
٧- ابن النفيس علي بن أبي الحزم (ت ٦٨٧هـ- ١٢٨٨م) مكتشف الدورة الدموية، لا الإسباني مايكل سرفيتوس (ت ٩٦٠هـ- ١٥٥٣م)، ولا البريطاني وليم هارفي (ت ١٠٦٨هـ- ١٦٥٧م): (راجع «ابن النفيس» لبول غلبونجي).

٨- ابن الشاطر علي بن إبراهيم (ت ٧٧٧هـ- ١٣٧٥م) في بيان القوانين الفلكية، لا البولندي نيكولاس كوبرنيكوس (ت ٩٥٠هـ- ١٥٤٣م).

٩- ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ- ١٤٠٦م) مؤسِّس علم الاجتماع، لا الفرنسي أوغست كونت (ت ١٢٧٣هـ- ١٨٥٧م)، ولا الفرنسي إميل دوركهايم (ت ١٣٣٥هـ- ١٩١٧م) (راجع «ابن خلدون» للدكتور علي عبدالواحد وافي، وله كتب أخرى عن ابن خلدون). وابن خلدون لا الفرنسي شارل مونتسكيو (ت ١١٦٨هـ- ١٧٥٥م) في ربط علم الاقتصاد بعلم التاريخ (علماء العرب وما أعطوه للحضارة، لقدري حافظ طوقان).



من إصدارات مكتب الشئون الفنية
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية



هذا الكتاب عبارة عن سلسلة من الدروس الوعظية ألقاها فضيلة العلامة الشيخ عبدالله النوري - رحمه الله - في مساجد الكويت ودوّنها لتكون مرجعاً وذكرى لمن أراد الإستفادة منها